أوشو

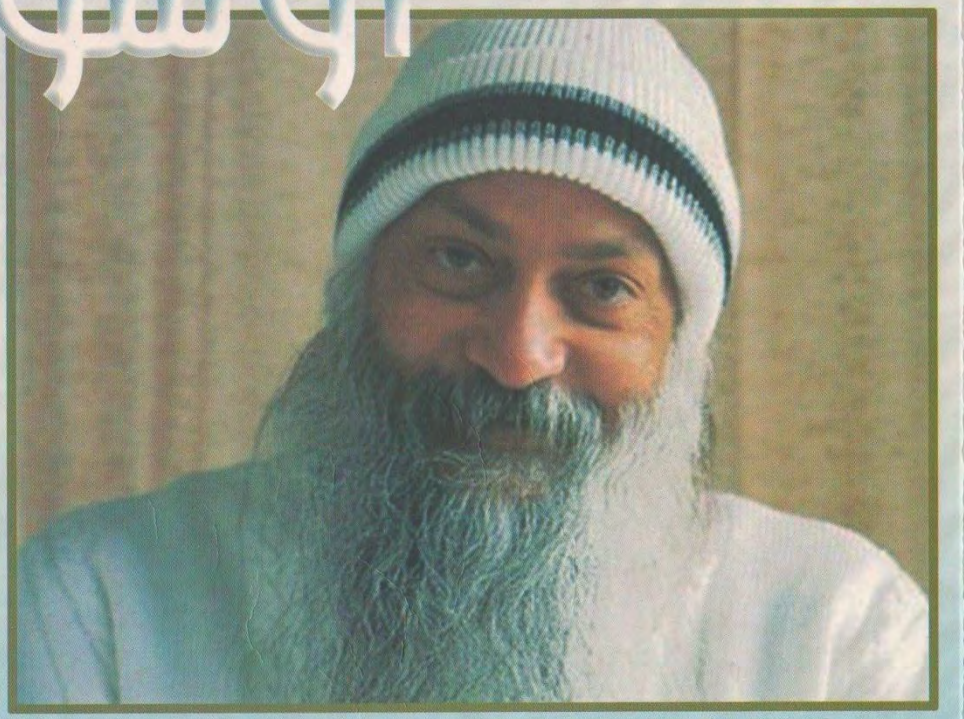

من الجنس
إلى أعلى مراحل الوعي

ترجمة: أيمن أبو ترابي

أوشو

من الجنس
إلى أعلى مراحل الوعي

ترجمة أيمن أبو ترابي

أوشو
من الجنس إلى أعلى مراحل الوعي
ترجمة أيمن أبوترابي
heirmiz@scs-net.org

الطبعة الأولى 2008
جميع الحقوق محفوظة للمترجم

التنفيذ
دار الطليعة الجديدة
سورية - دمشق - ص ب: 34494
تلفاكس: 2311378
E-mail:marwanfa@scs-net.org

صمم الغلاف: جمال سعيد

المحتويات

ما هو الحب 5
ثروات الحياة 35
الراعي ذي الوجه الملائكي 63
لا حاجة لإنجاب هذا النوع من البشرية 91
الجنس الروحي 113

الفصل الأول

ما هو الحب

ما هو الحب؟

من السهل أن تشعر بالحب، أمّا أن تعرّفه فذلك صعب بالفعل. لو سألت سمكة: ماذا يشبه البحر؟ فستجيبك: "هذا هو البحر.. إنه في كل مكان، وهذا كل شيء". ولكن إذا ألححت على السؤال: "من فضلك عرّفني البحر" .. عندئذ تصبح المشكلة أصعب بكثير. ذلك أن أروع الأشياء وأجملها في الحياة هي التي يمكن أن تُعاش، والتي يمكن معرفتها، ولكن من الصعب وصفها، ومن الصعب تعريفها.

إن تعاسة الإنسان تكمن في أنه في الأربعة أو الخمسة آلاف سنة الماضية، قد تَكلّمَ كثيراً عن شيء كان ينبغي أن يعيشه بصورة جدّية، وكان ينبغي أن يدركه من الداخل.. وهو الحب. لقد كانت هناك أحاديث عظيمة عن الحب، كما أُنشدت له أغاني كثيرة، وتراتيل دينية لا تُعدّ ولا تحصى، لا تزال تنشد في المعابد والكنائس وغيرها .. فما الذي بقي ولم تفعله البشرية باسم الحب؟.. في الحقيقة، لم يعد للحب مكان في حياة الإنسان. وإذا فتّشنا عميقاً في لغات البشرية فلن نجد كلمة أكثر زيفاً من كلمة "حُب". فكل الأديان تُواصلُ الحديث عن الحب، لكنّ نوع الحب الموجود في كل مكان، ذلك الحب الذي غلّف الإنسان بالوراثة، نجح هذا النوع من الحب للأسف في سد كل منافذ الحب الحقيقي في حياة الإنسان. والغريب أن عامة الناس تعبد رجال الدين على أنهم آلهة الحب. في حين أنهم هم الذين زيّفوا الحب وأعاقوا كل مجاريه من التدفق.

وفي هذا لا يوجد فرق جوهري بين الشرق والغرب، بين الهند أو أمريكا. فجداول الحب في الإنسان لم تظهر على السطح بعد. ونحن نعزو ذلك

للإنسان نفسه حين نقول أنه بسبب فساد الإنسان لم يتطوّر الحب، وبأنه ليس هناك مجرىً للحب في حياتنا. كما أننا ننحي باللائمة على العقل فنقول أن العقل سامّ. وهؤلاء هم الذين حطّوا من قدر العقل وهم الذين سمموا الحب؛ ولم يسمحوا له بالنمو. غير أنه في الحقيقة لا شيء سامّ في هذا العالم. لا شيء سيّئ في كامل خلق الله، فكل خلقه رحيق. والإنسان وحده هو من حوّل هذا الكأس الممتلئ بالرحيق إلى سمّ. والمذنبون الرئيسيون هم من يسمّون بالأساتذة، ومن يسمّون بالرجال الأتقياء، والقدّيسين، والسياسيين.

فكّروا في هذا الكلام ملياً. لأنه إذا لم يتم استيعاب وفهم هذه العلل في الحال، وإذا لم يتم تصحيحها .. فليست هناك إمكانية .. لا الآن ولا في المستقبل .. لوجود الحب في حياة الإنسان.

والأمر المثير للسخرية، هو أننا قبلنا أسباب هذه العلل بصورة عمياء، في المقام الأول، من المصادر نفسها التي تنحي باللائمة على الحب الذي لا يبزغ فجره على أفق الإنسانية. فإذا استمرّت مبادئ الخداع التي ما انفكّت تتكرر ويعاد تكرارها منذ قرون، سنفشل في رؤية المغالطات الأساسية التي تتلظّى خلف المبادئ الأصلية، وبعدها تسود الفوضى، ذلك أن الإنسان غير قادر بالسليقة على أن يتكوّن وفق ما تنصّ عليه هذه القوانين، وقد قبلنا ببساطة أن الإنسان خاطئ.

في قديم الزمان، اعتاد بائع متجوّل، يبيع مراوح يدوية، على المرور كل يوم من أمام قصر الملك. وهذا البائع اعتاد أيضاً على التفاخر بالمراوح المدهشة التي يبيعها، والتي يزعم أنه لم يرَ أحد مثلها من قبل.

وكان لدى الملك مجموعة من كل أنواع المراوح من كافة أنحاء العالم، لهذا انتابه الفضول. وذات يوم وقف على شرفة قصره ليلقي نظرة على هذا البائع، وعلى هذه المراوح العجيبة. فبدت له هذه المراوح عادية، فهي بالكاد تساوي فلساً واحداً. وعلى أية حال، فقد نادى الملك الرجل من شرفة قصره وسأله: "بماذا تتميّز هذه المراوح عن غيرها، وما هو ثمنها؟"

فأجاب البائع: "إنها لا تكلّف الكثير بالنسبة لجلالتك. ونظراً لنوعية هذه المراوح، فإن ثمنها رخيص جداً: مئة روبية للمروحة الواحدة".

فدهش الملك: "مئة روبية! هذه المروحة التي تساوي فلساً والمتوفرة في أي مكان من السوق، تطلب فيها مئة روبية؟ ما هو المميز جداً في هذه المراوح؟"

فقال البائع: "جودتها! فكل مروحة منها مكفولة لمئة عام. بل لن تتلف حتى في مئة عام".

فقال الملك: "يبدو من شكلها: استحالة أن تصمد حتى لنهاية الأسبوع، فهل تحاول خداعي؟ أليس هذا احتيالاً صريحاً؟ ومع الملك أيضاً؟"

فأجاب البائع: "مولاي، هل أجرؤ على خداعك؟ أنت تعرف جيداً يا سيدي أنني أمرّ من تحت شرفة قصرك يومياً لأبيع مراوحي. إن ثمن المروحة مئة روبية، وأنا مسؤول عنها لمدة مئة عام.

إنني موجود يومياً في الشارع، وعلاوة على ذلك، أنت حاكم هذه البلاد، فكيف أنجو بنفسي إذا خدعتك؟".

تمّ شراء المروحة بالسعر المطلوب. ورغم أن الملك لم يثق بالبائع المتجوّل، إلاّ أن الفضول كاد يقتله لمعرفة ما الذي استند عليه الرجل لكي يقول ما قاله. فأمر البائع بأن يحضر مجدداً في اليوم السابع.

خرج المحور الذي يثبت المروحة عن مكانه في ثلاثة أيام، بعد ذلك تحطمت قبل نهاية الأسبوع.

كان الملك متأكداً من أن بائع المراوح لن يعود أبداً، غير أن الملك دهش تماماً عندما حضر البائع مجدداً في اليوم السابع.

"أنا في خدمتك يا مولاي"

كان الملك غاضباً. فقال للبائع: "إنك نذل مخادع! انظر إلى مروحتك المرمية هناك، لقد تحطمت إلى أجزاء. وكان الشرط أن تبقى سليمة لمدة أسبوع، وأنت كفلتها لمئة عام على الأقل! فهل أنت مجنون، أم أنك مخادع من الطراز الأول؟"

أجاب الرجل بتواضع: "مع كل احترامي، يبدو أن مولاي لا يعرف كيف يستخدمها، فالمروحة يجب أن تدوم لمئة عام؛ إنها مكفولة. إذن كيف كنت تُهوّي بها؟"

أجاب الملك: "يا إلهي، عليّ الآن أن أتعلم أيضاً كيف أقوم بالتهوية".

قال الرجل: "أرجوك لا تغضب، وأخبرني كيف آلت المروحة إلى هذه النهاية في سبعة أيام فقط؟ كيف كنت تهوّي؟..

فرفع الملك المروحة، مظهراً الطريقة التي يهوّي بها المرء.

فقال الرجل: "الآن فهمت. إذ لا ينبغي أن تهوّي بتلك الطريقة".

فسأله الملك: "هل هناك طريقة أخرى؟".

فأخذ الرجل يشرح له قائلاً: "أبق المروحة ثابتة، أبقها ثابتة أمام وجهك، بعد ذلك حرّك رأسك يميناً ويساراً، وسوف تدوم المروحة مئة عام. سوف تموت أنت.. أمّا هي فستبقى سليمة. لا عيب في المروحة، لكن طريقتك في التهوية خاطئة. أبقِ المروحة ثابتة ثم حرّك رأسك. فأين العيب في مروحتي إذن؟ إن العيب فيكَ وليس في مروحتي".

إن الإنسانية متهمَة بعيب مشابه. انظر إليها. لقد أصبح الإنسان مريضاً جداً، مريضاً بعلل تراكمت منذ خمسة، أو ستة، أو عشرة آلاف سنة. ومع ذلك يقال: إن الإنسان هو الخاطئ، وليس الثقافة. والحقيقة: هي أن الإنسان متعفّن، ورغم ذلك تُمتدَحُ الثقافة: يا لديننا العظيم! ويا لثقافتنا الغرّاء! ولكن، فلننظر إلى ثمارها.

يقولون: "الإنسان خاطئ؛ على الإنسان أن يغيّر نفسه". وفي الحقيقة، لم يتطّح أحد إلى الآن كي يتساءل عمّا إذا كانت المسألة ليست على هذا النحو، بل إن الإنسان خاطئ بسبب ثقافتنا وديننا، اللذَين لم يستطيعا بعد عشرة آلاف سنة أن يملأا الإنسان بالمحبّة، وذلك لأن ثقافتنا ومعتقداتنا ترتكز على قيم زائفة. فإذا لم يتطور الحب في العشرة آلاف سنة الأخيرة: -خذها مني- لن تكون هناك إمكانية لوجود مستقبل يرتكز على هذه الثقافة وعلى هذا الدين، أو لأن ترى إنساناً محباً. فالشيء الذي لم يتحقق في العشرة آلاف سنة الماضية، لا يمكن أن يتحقق في العشرة آلاف سنة القادمة. إن إنسان اليوم سيكون نفسه غداً. وبالرغم من أن الأغلفة الخارجية لآداب التعامل والحضارة والتكنولوجيا تتغيّر من زمن إلى زمن، إلاّ أن الإنسان بقي على حاله، وسيبقى على حاله إلى الأبد.

والحقيقة أننا لسنا على استعداد لأن نعيد النظر في ثقافتنا وديننا، فما زلنا نمتدحها بأعلى صوتنا، وما زلنا نقبّل أقدام كهنة أديانّا، وأقدام القائمين

عليها. بل إننا لا نقبل حتى بإلقاء نظرة عليها، أو تفحّص طرائقنا، أو منحى تفكيرنا، أو ننظر فيما إذا كانت مضللة، أو فيما إذا كانت خاطئة برمّتها.

ما أريد قوله: هو أن الأساس هشّ، وأن القيم زائفة. وما الدليل على هذا سوى إنسان اليوم، فأيّ دليل أهم من ذلك؟

إذا زرعنا بذرة، وكانت الثمرة مُرّة وسامة، فعلام يدل ذلك؟ إنه يدل على أن البذرة لابد وأنها كانت بذرة سامة ومرّة. غير أنه من الصعب، بطبيعة الحال، أن نتنبّأ فيما إذا كانت بذرة معيّنة ستعطي ثمرة مرّة، أم حلوة. ربما ننظر إليها بإمعان، وقد تعصرها، أو تسحقها، لكنك لا تستطيع التنبّؤ بصورة مؤكّدة بأنها ستكون ثمرة حلوة، أم مرّة. عليك إذن أن تنتظر محكّ الزمن.

إن زرعت بذرة، فسوف تنبت، وستمضي السنوات.. والشجرة ستكبر، وتمتدّ أغصانها نحو السماء، وستحمل الثمر؛ آنذاك فقط، ستعرف ما إذا كانت تلك البذرة التي زرعتها حلوة، أو مرّة. فالإنسان العصري هو ثمرة بذور تلك الثقافة وتلك الأديان التي زُرِعَت منذ عشرة آلاف سنة، والتي تربّى عليها منذ ذلك الحين. فهاهي الثمرة مرّة، كما أنها مليئة بالتناقض والتعاسة.

لكننا نحن الذين نمتدح تلك البذور ومن ثم نتوقع منها أن تُزهر بالحُب.

أكرر: إنها لن تُزهر بالحُب، لأن الدين عمل على تسميم وقتل كل إمكانية لولادة الحُب. إذ يمكن أن نرى الحُب لدى الطيور والحيوانات والنباتات أكثر مما لدى الإنسان بكثير. تلك الكائنات التي ليس لديها دين، ولا ثقافة. إن الحُب يَظهر جليّاً عند الشخص غير المتحضّر، وعند إنسان الغاب المتخلّف أكثر مما هو موجود لدى ما يسمّى بتقدّميي، ومثقفي، ومتحضّري هذه الأيام. وتذكّرْ بأن البشر البدائيين لم يبتكروا أية حضارة، أو أية ثقافة، أو دين.

فلماذا أصبح الإنسان تدريجياً أكثر افتقاراً للحب، في حين يصرّح بأنه أصبح أكثر تحضّراً وثقافة وتديّناً، ويذهب إلى دور العبادة بانتظام؟ في الحقيقة، هناك بضعة أسباب أرغب في مناقشتها؛ وإذا أمكن فهم تلك الأسباب، يمكن لجدول الحب الخالد أن يبدأ بالتدفّق؛ لكنه مطمور داخل الأحجار ولا يمكنه أن يظهر. فهو مطوّقٌ من كل الجوانب، ونهر الغانج هذا لا يمكنه التدفّق في هذه الحالة.. ولا يمكنه الجريان بحريّة.

إن الحب موجود ضمن الإنسان، ولا يمكن استحضاره من الخارج، وهو ليس سلعة نشتريها عندما نذهب إلى الأسواق. إنه موجود كرائحة الحياة. موجود في داخل كل شخص. إن البحث عن الحب والسعي لكسبه، ليس عملاً إيجابيّاً؛ وليس فعلاً صريحاً حيث يتوجّب عليك أن تذهب إلى مكان ما وتجلبه.

كان نحات يقوم بنحت صخرة. لكنّ أحد الذين جاءوا لمشاهدة كيفية صنع التمثال، لم ير أي شيء يدل على وجود تمثال، بل شاهد أحجاراً مقطّعة، ومرمية هنا وهناك.

سأله الرجل: "ماذا تفعل؟" ألن تصنع تمثالاً؟ لقد جئتُ لأرى كيف يُصنع التمثال، لكني لا أرى سوى أنك تقطّع حجراً."

فقال النحّات: "إن التمثال يختفي أصلاً داخل الحجر، ولا حاجة لصنعه. ولكن على أية حال، ينبغي إزالة الأشياء الزائدة عنه، عندئذ سيُظهر التمثال نفسه. إن التمثال لا يُصنعُ، بل يُكتَشَف. يتم كشف الغطاء عنه لكي يرى الضوء".

وبالمثل، فإن الحب مُحتجزٌ داخل الإنسان؛ ويحتاج فقط لأن يُطلق سراحه. والمسألة ليست في كيفية خلقه، بل في كيفية الكشف عنه. والسؤال هو: ما الذي غطّينا أنفسنا به؟ ما الذي يمنع الحب من الظهور؟

حاول أن تسأل طبيباً: ما هي الصحة؟ إنه في الحقيقة سؤال غريب جداً، إذ لا يوجد طبيب في العالم يستطيع أن يقول لك ما هي الصحة! ولا يوجد من بين جميع المهتمّين بعلم الطب شخصٌ بمقدوره أن يقول لك ما هي الصحة. فإن سألت طبيباً، سيقول لك ما هي الأمراض، أو ما هي الأعراض. وقد يَعرِف المصطلح الطبي لكل علة ومرض، وربما يكون قادراً أيضاً على وصف العلاج، لكنه لا يعرف أي شيء عن الصحة وما يتعلّق بها. إذ يمكنه أن يقرر فقط أن الذي يبقى -عندما لا يكون هناك مرض- هو الصحة. ذلك أن الصحة تتوارى داخل المرء. فالصحة إذن تتجاوز تعريف الإنسان.

إن المرض يأتي من الخارج، وبناء على هذا يمكن تعريفه. أما الصحة فتنبع من داخل الإنسان، وبالتالي لا يمكن تعريفها. فالصحة عصيّة على التعريف. ويمكننا القول فقط بأن غياب المرض هو الصحة. أما الحقيقة فهي

إذا لا يجب أن نخلق الصحة؛ فهي إمّا أن تتوارى بسبب المرض، أو تكشف نفسها عندما يذهب المرض أو عندما يُعالَج. فالصحة إذن هي في داخلنا. الصحة هي طبيعتنا.

والحب أيضاً في داخلنا؛ وهو طبيعتنا المتأصّلة فينا. ومن الخطأ أساساً أن نطلب من شخص أن يخلق الحب. فالمشكلة ليست في خلق الحب، بل في كيفية التحري والكشف عن سبب عدم مقدرة الحب على إظهار نفسه؟ وما هي العقبة؟ ما هي الصعوبة؟ وأين هو السدّ الذي يعيقه؟

إذا لم تكن هناك حواجز فسيُظهر الحب نفسه، ولا حاجة إلى إرشاده أو حثه على الظهور. فكل شخص سيمتلئ بالحب إذا لم تكن هناك حواجز أو إضافة زائفة أو تقاليد مؤذية أو ما يحط من قدره. لا يمكن لشيء أن يُخمدَ الحب، فهو شيء حتمي وهو طبيعتنا.

إن نهر الغانج يتدفّق من جبال الهملايا. إنه مياه تتدفق ببساطة.. وهو لا يسأل الكاهن عن الطريق إلى المحيط. فهل شاهدت نهراً يتوقّف عند تقاطع طرق ليسأل شرطيّاً عن مكان المحيط؟ إذن مهما كان المحيط بعيداً، ومهما كان محجوباً فسيجد النهر طريقه بالتأكيد. وذلك أمر حتمي: فلديه حافزاً داخلياً وليس كتاباً يسترشد به، غير أنه سيصل إلى هدفه بطريقة لا تخطئ. سوف يشق طريقه خلال الجبال، ويعبر السهول، ويجتاز الأقطار في جريانه ليصل إلى المحيط. ففي صميم قلبه تتواجد القوّة والطاقة والرغبة العارمة.

ولكن لنفترض بأن عوائقَ وضعت في طريقه من قبل الإنسان؟ لنفترض وجود سدود بناها الإنسان؟ فمما لا شك فيه أن النهر يستطيع التغلّب على الحواجز الطبيعية واختراقها.. والتي هي في المحصّلة ليست حواجز على الإطلاق.. ولكن إذا تم خلق حواجز صناعية، أو إذا بنيت السدود في وجهه، فمن الممكن أن لا يصل النهر إلى المحيط. فالإنسان، وهو الذكاء الأسمى الخارقة، يستطيع منع النهر من الوصول إلى المحيط إذا قرر القيام بذلك. هناك إذن وحدة جوهرية في الطبيعة، وهناك تناسق. فالعوائق الطبيعية والمعاكسات الظاهرة في الطبيعة، هي تحدّيات لاستثارة الطاقة. وهذه العوائق والمعاكسات تعمل كنفير يستثير ما يكمن في الداخل، وبالتالي لا يوجد في الطبيعة أي تنافر.

عندما نزرع بذرة، فقد يبدو الأمر كما لو أن طبقة التربة تدفعها نحو الأسفل لكي تعيق نموّها. ربما يبدو الأمر كذلك، ولكن في الحقيقة، تلك الطبقة من التربة ليست عائقاً؛ لأنه من دون تلك الأرض لا يمكن للبذرة أن تنمو. إن التربة تضغط فوق البذرة حتى تتمكن من النمو، فتتفكك وتحول نفسها إلى شتلة. ظاهرياً، قد يبدو الأمر كما لو أن التربة تخنق البذرة، لكنّ التربة تؤدّي واجب الصديق فحسب. إنها عملية سريرية؛ فإذا لم تتحول البذرة إلى نبتة، فسنعزو السبب إلى أن التربة ربما لم تكن ملائمة، أو أن البذرة لم تحصل على ما يكفي من الماء، أو أنها لم تحصل على ضوء الشمس بصورة كافية.. ولن نلقي اللوم على البذرة.

وإذا لم تتفتح الأزهار في حياة الإنسان، نقول: إن الإنسان نفسه هو المسؤول عن ذلك، إذ لا أحد يفكر في السماد على الأقل، أو في نقص الماء أو نقص في ضوء الشمس لكي يقوم بفعل شيء حيال ذلك، فالإنسان نفسه متهم بالفساد. وهكذا تبقى نبتة الإنسان غير متطوّرة، فقد قمعت بالعداوة: فكانت غير قادرة على بلوغ مرحلة الإزهار.

إن الطبيعة هي تناغم إيقاعي، لكن العامل الاصطناعي الذي فرضه الإنسان على الطبيعة، والأشياء التي صممها في وجه الطبيعة، والآلات المبتكرة التي رمى بها في مجرى نهر الحياة، قد أحدثت تعارضات في أماكن كثيرة فأوقفت التدفّق؛ فكان النهر هو المتهّم: أي أن "الإنسان سيء، بمعنى أن البذرة سامة".. كما يقولون.

أريد لفت انتباهكم إلى حقيقة أن العوائق الأساسية هي عوائق مصطنعة أوجدها الإنسان نفسه.. وإلاّ لتدفق نهر الحُب بحرّية وبلغ محيط الله. إن الحب صفة متأصّلة في الإنسان، فإذا أزيلت العوائق بوعي، يمكن للحب أن يتدفّق. آنذاك يمكن للحب أن يرتفع ليلامس الله، ليلامس الأسمى.

فما هي تلك الحواجز المصطنعة؟

إن أبرز عقبة كانت معارضة الجنس والعاطفة، وهذا الحاجز حطّم إمكانية ولادة الحب في الإنسان.

والحقيقة أن الجنس ببساطة هو نقطة البداية للحب. الجنس هو بداية الرحلة إلى الحب. إن منبع نهر غانج الحب هو الجنس، والعاطفة.. بينما الجميع يتصرّفون كأعداء له.

فجميع الثقافات والأديان والمعلّمين والعرّافين قد هاجموا هذا النبع.. هذا المصدر، وبقي النهر في الأعلى معبأ في قوارير زجاجية، فكان الاستنكار والصراخ دائماً: الجنس خطيئة، الجنس كُفْر، الجنس سُم، ولكن لا يبدو أننا ندرك بأن الجنس بالمطلق هو طاقة بحد ذاته تسافر لكي تصل إلى المحيط الداخلي للحب. فالحب هو تحول لطاقة الجنس، وازدهار الحب ينبثق من بذور الجنس.

انظر إلى الفحم، لن يخطر في ذهنك أن الفحم عندما يتحول يصبح ماساً. إن العناصر الموجودة في قطعة الفحم هي نفسها الموجودة في ماسة، إذ لا يوجد بينهما فرق جوهري، فبعد المرور بعملية تستغرق آلاف السنين يصبح الفحم الماساً.

لكن الفحم لا يُعتبَر شيئاً مهمّاً، فعندما يتم حفظ الفحم داخل المنزل فإنه يُخزَنُ في مكان بحيث لا يراه الضيوف، بينما يلتف الماس حول الرقبة، أو يوضع على الصدر بحيث يراه الجميع. إن الفحم والماس هما الشيء ذاته: هما يقطنان على رحلة العنصر ذاته. فإذا كنت ضد الفحم لأنه ليس لديه شيء يقدّمه من النظرة الأولى أكثر من السخام الأسود، فإن إمكانية تحوّله إلى الماس تنتهي تماماً عند هذا الحد. إن الفحم ذاته كان يمكن أن يتحوّل إلى الماس. لكننا نكره الفحم، وبالتالي تنتهي أي إمكانية للتقدّم.

إن طاقة الجنس وحدها يمكن أن تتحول إلى حب، غير أن الجميع يعارضون الجنس، بمن فيهم مفكّري البشرية العظماء. وهذه المعارضة لن تسمح للبذور بأن تنبت، فقصر الحب يُدَمّرُ من الأساس.

إن العداوة تجاه الجنس قد دمّرت إمكانية الحب. فالفحم لهذا السبب غير قادر على أن يصبح ألماساً.

وبسبب المفاهيم الأساسية الخاطئة، لا أحد يشعر بضرورة المرور بمراحل الاعتراف بالجنس وتطويره، وبضرورة المرور في عملية تحوّله. فكيف نحوّله إذن ونحن أعداء له؟ كيف نحوّله ونحن نعارضه؟ كيف نحوّله ونحن نواصل

الحرب ضدّه؟ لقد أُرغِمَ الإنسان على إحداث نزاع بينه وبين طاقته. كما لُقّن كيف يحارب طاقته الجنسية، وكيف يعارض دوافعه الجنسية. فقد قيل له: "إن الفكر سام، فحاربه". والحقيقة أن الفكر موجود في الإنسان، وكذلك الجنس.. ومع ذلك فما زال الإنسان يتوقّع أن يكون خالياً من النزاعات الداخلية، متوقعاً لنفسه كينونة متناغمة.

كما أن عليه أن يحارب ويسالم أيضاً. هذه إذن أساليب زعمائه؛ يقودونه نحو الجنون من جهة، ويفتتحون المصحات لمعالجته من جهة أخرى. ينشرون الجرائم، وبعد ذلك يبنون المستشفيات للعناية بالمرضى.

ثمة فكرة أخرى مهمة وهي أن الإنسان لا يمكنه الانفصال عن الجنس، ذلك أن الجنس هو أولويته الرئيسية؛ فالإنسان وليد الجنس، وقد جعل الله طاقة الجنس نقطة بداية الخلق. أما أولئك العظماء فاعتبروها خطيئة، في حين أن الله ذاته لم يعتبرها خطيئة!

ألم تدرك أن تفتّح زهرة هو تعبير عن عاطفة، وأنه فعل جنسي؟ إن الطاووس يرقص بأبّهة كاملة، والشاعر يتغنّى به؛ والقدّيس أيضاً يمتلئ منه فرحاً.. وبالتالي ألا يدركون أن الرقص هو تعبير علني عن العاطفة، وأنه فعل جنسي أصلاً؟ لمن يرقص الطاووس مبتهجاً؟ إنه ينادي محبوبته، ينادي زوجته. وكذلك يغني طير الوقواق أغنيته. إن الولد يصبح مراهقاً، والبنت تصبح امرأة. فلمَ كل هذا؟ ما هذه اللعبة؟ إن كل هذه الأشياء هي مؤشرات الحب، مؤشرات الطاقة الجنسية. وتعبيرات الحب هذه، ما هي إلاّ تعبيرات جنسية متحوّلة.. تفور بالطاقة، ومعترفة بالجنس. وطوال حياة الإنسان، فإن كل أفعال الحب، وكل مواقفه ودوافع الحب لديه، تزدهر من طاقة الجنس الأولية.

إن الدين والثقافة يسمّمان الجنس في عقل الإنسان. يخلقان النزاع والحرب. يزجّان بالإنسان في معركة ضد طاقاته البدائية.. وبالتالي أصبح الإنسان ضعيفاً، وأصبح منفّراً وفظّاً، خالياً من المحبة ومليئاً بالتفاهة. فلا ينبغي إذن أن نخلق عداوة مع الجنس، بل صداقة. يجب أن يرتقي الجنس إلى أسمى حالات النقاء.

أثناء مباركته لزوجين حديثين، قال الحكيم للعروس "أتمنى أن تصبحي أماً لعشرة أطفال، وأخيراً: أتمنى أن يكون زوجك هو الطفل الحادي عشر".

إذا تحوّلت العاطفة، يمكن أن تصبح الزوجة أماً؛ وإذا تحوّلت الرغبة، يتحول الجنس إلى حب.

وحدها طاقة الجنس يمكن أن تتحول إلى طاقة للحب؛ غير أننا ملأنا الإنسان بالعداوة نحو الجنس، فكانت النتيجة أن الحب لم ينمو. ولكن ما يزال لاحقاً، أي الشكل البديل القادم، هو أنه بمقدورنا خلق إمكانية نمو الحب، وذلك فقط من خلال قبول الجنس. إن جدول الحب لا يمكن أن يشقّ طريقه بسبب المعارضة القوية له. وفي حين يواصل الجنس من جهة أخرى الاضطراب في الداخل فقد اختلط وعي الإنسان بالرغبة الجنسية.

إن وعي الإنسان أصبح أكثر جنسوية. أما أغانينا وقصائدنا ورسوماتنا، وإعلاناتنا، كل الأشكال في معابدنا تتمحور حول الجنس. في حين أنه لا يوجد في العالم حيوان شهواني كالإنسان. فالإنسان شهواني في أي وضع كان.. مستيقظاً كان أم نائماً، في أساليبه كما في سلوكه. يطارده شبح الجنس في كل لحظة.

وبسبب هذه العدائية تجاه الجنس، وبسبب هذه المعارضة، وهذا القمع الجنسي، أصبح الإنسان فاسداً من الداخل. فلا يمكنه أن يحرر نفسه من شيء متجذّر في حياته، وبسبب هذا الصراع الداخلي المستمر أصبح كيانه بالكامل كياناً عصابياً. فهو إذن إنسان مريض. وهذا النشاط المفسد والواضح جداً في الجنس البشري هو خطأ ما يسمّى بزعمائه وقدّيسيه، وهم من يقع اللوم عليهم. فإذا لم يحرر الإنسان نفسه من مثل هؤلاء المعلّمين، والواعظين، وزعماء الدين، ومن عظاتهم المزيفة.. فإن احتمال ظهور الحب هو احتمال معدوم.

أتذكّر حكاية تقول:

بينما كان مزارع فقير على وشك مغادرة منزله في عطلة الأحد، التقى عند مدخل المنزل بصديق طفولته الذي جاء لرؤيته.

فقال له المزارع: "أهلاً وسهلاً! ولكن أين كنت طوال هذه السنوات؟ تفضّل! ولكن مهلاً، لقد وعدت بأن أرى بعض الأصدقاء، وسيكون من الصعب تأجيل

الزيارة، فأرجو أن تمكث في منزلي وسأعود في نحو ساعة تقريباً. سوف أعود قريباً، ويمكننا عندئذ أن ندردش طويلاً".

فقال الصديق: "أوه كلا، أليس من الأفضل أن أذهب معك، رغم أن ملابسي متسخة جداً؟ إذا أمكنك أن تعطيني الآن بعض الثياب الجديدة، فسأستبدل ثيابي بها، وأذهب معك".

وكان الملك في وقت سابق قد أعطى المزارع بعض الملابس الثمينة، فاحتفظ بها المزارع لمناسبة فخمة، فأخرجها من الخزانة بفرح، وارتدى صديقه المعطف الثمين والقبّعة والمئزر والحذاء الجميل، فبدا كالملك ذاته. شعر المزارع بالغيرة قليلاً وهو ينظر إلى صديقه، فقد بدا مثل الشحّاذ مقارنة به. وأخذ يتساءل فيما إذا كان قد ارتكب خطأً، فقد تبرّع بأفضل ثيابه، وبدأ يشعر بالدونية. ففكر في قرارة نفسه: الآن سوف ينظر الجميع إلى صديقه، وسيبدو هو مثل المرافق أو الخادم.

حاول أن يهدّئ عقله معتبراً نفسه صديقاً جيّداً ورجلاً تقيّاً. وسيفكر في الله وفي الأشياء النبيلة فقط، ثم قرر أنه: "في المحصّلة، ما أهمية معطف ناعم أو قبّعة ثمينة؟" بيد أنه كلما حاول إقناع نفسه بذلك، كلما خطر على باله المعطف والقبّعة.

وفي الطريق، ورغم أنهما كانا يسيران معاً، فقد كان المارّون ينظرون إلى صديقه فقط، ولم ينظر أحد إلى المزارع قط. فبدأ يشعر بالكآبة. تجاذب أطراف الحديث مع صديقه، لكنه في قرارة نفسه لم يكن يفكر سوى بالمعطف والقبّعة!

وصلا إلى المنزل الذي كانا يعتزمان زيارته، فقدّم صديقه قائلاً: هذا صديقي، صديق الطفولة، إنه رجل وسيم جداً. ثم فجأة أفلتت منه عبارة: "أما الملابس فهي لي!!"

فذهل الصديق. وكان مضيفوهم مدهوشين أيضاً. فأدرك بدوره أنه لم يكن من داعٍ لذلك التعليق، غير أن ذلك الإدراك جاء متأخراً جداً، فندم على زلة لسانه ووبخ نفسه ضمنياً.

وعندما خرجا من المنزل، اعتذر لصديقه.

فقال الصديق: "كنت مذهولاً، فكيف أمكنك قول شيء كهذا؟"

فأجاب المزارع: "آسف، لقد زل لساني، لقد أخطأت".

غير أن اللسان لا يكذب أبداً، فالكلمات تندفع من فم المرء إذا كان هناك شيء ما في ذهنه؛ واللسان لا يرتكب أخطاءً أبداً.

فقال: "سامحني، لا أعلم كيف تلفّظت بمثل هذا". بيد أنه يعرف حق المعرفة بأن الفكرة صعدت من عقله.

ثم شرعا بزيارة منزل صديق آخر، وقد أصر الآن على ألا يقول أن الملابس كانت ملكه؛ وصلّب عقله بإحكام. وبينما وصلا إلى بوابة المنزل، كانا قد توصّلا إلى قرار غير قابل للنقض بأن لا يقول إن الملابس مُلكه.

لم يدرك هذا الرجل الفقير أنه كلما أصر على أن لا يقول أي شيء، كلما غرس في وعيه الباطني بإحكام أن الملابس تخصّه. علاوة على ذلك، لننظر متى تُتّخذ مثل هذه القرارات الحازمة؟ عندما يتّخذ المرء قراراً حازماً مثل التعهّد بالعزوبة على سبيل المثال، فهذا يعني أن نشاطه الجنسي سيندفع من الداخل بإلحاح شديد. أو إذا أصر شخص على أن يأكل أقل، أو أن يصوم بدءاً من اليوم فصاعداً، فهذا يدل على أن لديه رغبة عميقة في المزيد من الأكل. والحقيقة أن مثل هذه الجهود تتسبب حتماً بحدوث نزاع داخلي؛ إذ من نحن سوى عيوبنا. غير أننا نقرر السيطرة عليها، ونصر على محاربتها.. وبالطبع سيتحوّل هذا الأمر إلى مصدر نزاع لاشعوري.

وهكذا انغمس مزارعنا في نزاع داخلي. ثم دخل إلى المنزل، وأخذ يقول لنفسه بحرص شديد: "إنه صديقي". لكنه لاحظ أن أحداً لا يعيره أي انتباه، وأن الجميع كانوا ينظرون إلى صديقه، وإلى ملابسه برهبة، فعادت الفكرة تقرع رأسه مجدداً: "إنه معطفي! إنها قبّعتي!" غير أنه ذكّر نفسه من جديد بأن لا يتحدث عن الثياب. وكان مصمّماً. وقال موضّحاً لنفسه: "إن كل إنسان لديه ثيابٌ بشكل أو بآخر، غنياً كان أم فقيراً، وإنها لمسألة تافهة". لكن الملابس تأرجحت أمام عينيه كالبندول ذهاباً وإياباً، ذهاباً وإياباً. ثم استأنف التعريف بصديقه من جديد: "إنه صديقي. صديق الطفولة. وهو شخص جيّد جداً، أما تلك الملابس.. فهي ملكه، وليست لي".

وكانت دهشة الحاضرين كبيرة، ذلك لأنهم لم يسمعوا من قبل بمثل هذه الطريقة في التعريف: "الملابس ملكه وليست لي"!

بعد أن غادرا المنزل، اعتذر مجدداً بشدّة: "أيُ حماقة هذه؟". وكان الآن مرتبكاً حول ما ينبغي أو ما لا ينبغي فعله. "لم تكن الملابس تسيطر عليَّ بهذا الشكل من قبل! يا إلهي، ما الذي حصل لي؟"

ماذا حصل له؟ الآن كان الصديق مستاءً جداً، وقال إنه لن يذهب معه إلى أي مكان آخر، فأمسك المزارع بذراعه قائلاً: "أرجوك لا تفعل ذلك. سأكون حزيناً لبقية حياتي بعد أن أبديت ذلك السلوك السيئ تجاه صديقي، أقسم لك أنني لن أذكر الثياب مرّة أخرى. أقسم بالله من كل قلبي بأني لن أذكر الثياب بعد الآن".

غير أن المرء يجب أن يكون حذراً من هؤلاء الذين يقسمون، ذلك لأن هناك شيئاً أكثر تعقيداً يحدث عندما يصر الإنسان على شيء ما، فالقرار يُتّخذ بواسطة الفكر الظاهري، وبالتالي فإن الشيء الذي يعارض القرار المتّخذ سيبقى داخل متاهات العقل الباطن. فإذا قسّمنا العقل إلى عشرة أجزاء، في حين أنه قسم واحد فقط، فإن الجزء العلوي فقط هو الذي سيلتزم بالقرار؛ أما الأجزاء التسعة الباقية فستكون ضدّه. وعلى سبيل المثال: فإن عهود العزوبة تتخذ بجزء واحد فقط من العقل، وفي حين يكون العقل مهتاجاً لأجل الجنس.. فإن باقي الأجزاء تبكي لأجل ذلك الشيء بالذات، الشيء الذي زرعه الله في الإنسان، ولكن حاليًا ليس بالإمكان أفضل مما هو كائن الآن.

ثم ذهبوا إلى منزل صديق آخر، فكبت المزارع نفسه بصرامة؛ والناس المكبوتون خطرون جداً، لأن في داخلهم بركان يغلي. تراهم في الظاهر صارمين وممتلئين بضبط النفس، في حين أن رغباتهم التي تريد الانطلاق.. تكون ملجومة بإحكام في الداخل.

ولكن تذكّر من فضلك: أن أي شيء يحصل قسرياً، فإنه لن يستمر ولن يكتمل. عليك أن تسترخي أحياناً.. عليك أن تستريح، فإلى متى يمكنك أن تبقي قبضتك مشدودة؟ أربعاً وعشرين ساعة؟ إنك كلما شددت قبضتك أكثر، كلما تعبت أكثر، وبالتالي كلما سارعت أكثر إلى فتحها وكلما كان العمل أصعب، كلما أنفقت طاقة أكثر، وبالتالي ستتعب بسرعة أكبر. إذن، دائماً هناك ردّة فعل، وهي دائماً تحصل بسرعة. فقبضة يدك يمكن أن تظل مفتوحة طوال الوقت، لكنها لا يمكن أن تظل دائماً مطبقة بشدة. إن أي شيء

يسبب لك التعب لا يمكن أن يكون جزءاً طبيعياً من الحياة. فعندما تدفع شيئاً ما بقوة، سيتطلب أن تعقبه فترة من الراحة. وهكذا، كلما كان القدّيس أكثر براعة، كلما كان أكثر خطورة. إذ بعد أربع وعشرين ساعة من ضبط النفس، تليها تعاليم الكتب المقدّسة، عليه بعد ذلك أن يستريح لمدة ساعة على الأقل، وخلال هذه الفترة ستتفاقم تلك الآثام المكبوتة ليجد نفسه عندئذٍ وسط الجحيم.

وهكذا، ضبط المزارع نفسه بصرامة كي لا يتحدث عن الثياب. فتخيلوا حالته.

وإذا كنت متديناً، ولو قليلاً، فيمكنك أن تتخيل حالته العقلية. وإذا سبق أن أقسمت أو قطعت عهداً بالرهبنة، أو كبحت نفسك لسبب ديني، فسوف تفهم جيّداً حالته العقلية الجديرة بالشفقة.

بعد ذلك دخلا إلى المنزل التالي. كان المزارع منهكاً، يتصبب عرقاً من رأسه حتى أخمص قدميه. أما صديقه فكان قلقاً أيضاً.

الآن، وفي اللحظة التي كان المزارع يتجمد فيها لشدّة قلقه. لفظ كل كلمة من المقدّمة ببطء وعناية قائلاً: التقيت بصديقي، وهو صديق قديم جداً. رجل لطيف جداً، وهو.. ثم انهار في لحظة واحدة: فقد أتته دفعة هائلة من الداخل، وأدرك أنه قد انهار تماماً، فقال بصوت جهوري ومن دون تفكير: "أما الملابس.. فاعذروني، لن أقول عنها أي شيء، لأنني أقسمت بأن لا أتفوّه بشيء عنها!"

إن ما حصل لهذا الرجل قد حصل للبشرية برمّتها. فبسبب التنديد والاستنكار، أصبح الجنس هاجساً، أصبح مرضاً وانحرافاً. لقد أصبح مسموماً.

يتم تلقين الطفل منذ نعومة أظفاره أن الجنس خطيئة. ثم يكبر الولد، وكذلك الفتاة؛ بعدها تأتي سن المراهقة، فيتزوّجان.. وتبدأ الرحلة العاطفية بعدئذٍ على أساس الاقتناع بأن الجنس خطيئة. ففي الهند أيضاً يقال للبنت بأن زوجها هو إله. ولك أن تتخيل كيف يمكنها آنذاك أن تحترم شخصاً، يشبه الله، وهو يجرها نحو الخطيئة. كما يقال للولد أيضاً: "هذه زوجتك، وشريكتك، ورفيقة دربك". وفي الوقت ذاته تقول الكتب المقدّسة بأن المرأة هي

بوابة جهنّم، ونبع الخطيئة، فيشعر الولد حينها بأنه يعيش مع شيطان حي شريك له. فيفكّر الولد: "أهذا هو نصفي الأفضل.. مقادٌ بالإثم ومربوط بالجحيم؟ فكيف يمكن أن يحدث أي تناغم في حياته؟

لقد دمّرت التعاليم التقليدية الحياة الزوجية للعالم برمّته. فعندما تكون الحياة الزوجية مليئة بالتحيّز ومليئة بالسمّ، فليست هناك إمكانية للحب. وإذا لم يتمكن الزوجان من أن يحبّا بعضهما بحرّية، وبشكل حقيقي وطبيعي، فمن يحب من؟ غير أن هذا الوضع المقلق بالإمكان تصحيحه، وهذا الحب (المُلَخبَط) يمكن تنقيته، ويمكن أن يرتقي إلى قمم رفيعة المستوى بحيث يحطم كل الحواجز ويحل كل التعقيدات، ويغمر الزوجين بفرح إلهي نقي. وفي الحقيقة، إن هذا الحب السامي يمكن تحقيقه، ولكن إذا تم إفساده، وإذا تم خنقه وإذا تم تسميمه، فكيف يمكن أن يتحول إلى زهرة حب سامية؟

خيّم حكيم متجوّل في قرية. فجاءه شخص وقال أنه يريد أن يدرك الله. فسأله الحكيم: "هل سبق أن أحببت أي شخص؟"

أجاب الرجل: "كلا، فأنا لا أقترف مثل هذه الخطايا الدنيوية، ولم أهبط إلى هذا المستوى؛ لأنني أريد إدراك الله".

فسأله الحكيم مرّة أخرى:" ألم تشعر بوخزات الحب أبداً؟"

أجابه الساعي إلى الله مؤكّداً: "لقد قلت لك كل شيء".

لقد تحدّث الرجل بشكل صادق. ففي عالم الدين، أن يكون لديك محبوب، يعني أنك غير جدير بإدراك الله. وكان متأكّداً من أنه لو قال بأنه أحب شخصاً ما، فسيطلب منه الحكيم عندئذ بأن يخلّص نفسه من الحب، وأن يشجب التعلّق ويهجر كل العواطف الدنيوية قبل أن يطلب الإرشاد. وحتى إذا أحب شخصاً، فسيشعر بأن عليه نفي هذا الأمر. فأين يمكن أن تجد شخصاً لم يحب، ولو قليلاً؟

بعد ذلك سأله الحكيم للمرة الثالثة قائلاً: "قل شيئاً ما، فكّر بعناية، ألم تحب شخصاً ما..أي شخص، ولو قليلاً؟"

فأجاب الطامح: "عفواً، لماذا تواصل الطَرق على نفس السؤال؟ لم أقترب من الحب، ولو مع عمود بطول عشرة أقدام. أريد نيل الإدراك الذاتي. أريد الألوهة".

عندئذ أجابه الحكيم: "إذن لا بد أن تعذرني. من فضلك اقترب من شخص ما، فتجربتي تقول لي أنك إذا أحببت شخصاً، أي شخص، وإذا كانت لديك محبة، ولو بقدر ومضة، فسوف أساعدك على تكبيرها، سأساعدك على تنميتها .. وربما أساعدك على بلوغ الله. ولكن إذا لم تكن قد أحببت أبداً: فأنت لا تملك في داخلك شيئاً، ليس لديك البذرة لتنمو وتصبح شجرة.. اذهب واستفسر من شخص آخر. يا صديقي، إنني لا أرى أي منفذ إلى الله في غياب المحبة".

وبالمثل، إذا لم يكن هناك حب بين الزوجين...فستكون مخطئاً إذا اعتقدت أن الزوج الذي لا يحب زوجته سيكون قادراً على أن يحب أطفاله. والزوجة ستحب ابنها تماماً بنفس الدرجة التي تحب فيها زوجها، لأن الطفل هو انعكاس لصورة زوجها. ولكن إذا لم يكن الحب موجوداً تجاه الزوج فكيف يكون موجوداً تجاه الطفل؟ وإذا لم يمنح الحب للطفل، إذا لم يتغذّى ويترعرع على المحبة فكيف تتوقع منه أن يحب أبويه؟ إن الأسرة هي الوحدة الأساسية للحياة، والعالم نفسه هو أسرة كبيرة.

غير أن الحياة الأسرية قد سُمّمت من خلال إدانة الجنس هذه. وبعد ذلك نندب ونلطم لأننا لا نجد الحب في أي مكان! فكيف تتوقع تحت هذه الظروف أن تعثر على الحب في أي مكان؟ إن كل شخص يقول أنه يحب. فالأمهات والزوجات والأبناء والأخوة والأخوات والأصدقاء، جميعهم يقولون أنهم يحبون. ولكن لو نظرت إلى الحياة برمّتها فستجد أن ليس هناك حب واضح على الإطلاق. فلو كان هناك أناس كثر ممتلئين بالحب لوجب أن يمطروا به، ولامتلأت الأرض بالأزهار، بل بالمزيد والمزيد من الأزهار. إذا كان هناك مصباح محبة يضيء في كل بيت، فتصوّروا حينها كم من النور سينتشر في هذا العالم! إلاّ أنه بدلاً من ذلك نجد أن المناخ السائد هو النفور والاشمئزاز. ولا يوجد شعاع واحد من المحبة في المنطق المؤسف لهذه الأشياء.

إننا نأبى أن نصدّق أن الحب موجود في كل مكان. وطالما بقينا غارقين في هذا الوهم، فلا يمكننا حتى البدء في البحث عن الحقيقة، إذ لا أحد يحب أحد. وما لم نتقبل الجنس الطبيعي من دون تحفّظ، فلن تكون هناك محبّة. وحتى ذلك الحين، ما من أحد يمكن أن يحب الآخر.

ما أريد قوله هو أن الجنس شيء إلهي. فالطاقة الأولية للجنس هي انعكاس للعَظَمة الإلهية، وإنه من البيّن أن الجنس هو الطاقة التي تخلق حياة جديدة. وتلك الطاقة هي الأعظم والأكثر غموضاً من كل شيء.

فلننه هذه العداوة مع الجنس، وإن أردت أن تغمر المحبة حياتك، فارفض هذا النزاع مع الجنس. تقبّله بفرح واعترف بقداسته.

تلقّفه بامتنان واحتضنه بشدة أكثر فأكثر، وستفاجأ بأن الجنس يمكن بأن يبوح بمثل هذه القداسة؛ وهو سيبوح بقداسته حسب درجة تقبّلك له. ولكن طالما أنك تستهين به وتعتبره خطيئة كلما اقتربت منه، فسوف تواجه جنساً بشعاً وآثماً.

عندما يدنو رجل من زوجته، ينبغي عليه أن يشعر بالقداسة كما لو أنه ذاهب إلى معبد. وعندما تُقدم الزوجة على زوجها، فيجب أن تمتلئ بالاحترام كما لو أنها تقترب من الله. ففي لحظات الجنس، يَعبُرُ الأحبة (الأطفال) من خلال الجماع.. وتلك المرحلة قريبة جداً من معبد الله.. يعبرون إلى حيث يُظهر العلي ذاته في حالة إبداعية لا يحدّها شكل. وحسب ظنّي أن الإنسان قد حصل على ومضات أولى من السامادهي[1] أثناء تجربة الجماع؛ ففي لحظات الجماع فقط يدرك الإنسان بأنه يمكنه الشعور بهذا الحب العميق، واختبار ومضات من النشوة. والذين يتأملون في هذه الحقيقة في إطار فكري سليم، أولئك الذين يتأملون في ظاهرة الجنس، في ظاهرة الجماع، يخلصون إلى حقيقة أنه في لحظات ذروة النشوة يصبح العقل خالياً من الأفكار، لأنه في تلك اللحظة تفرغ كل الأفكار. وهذا الفراغ، هذا الخلاء، وهذا التجمّد للفكر، هو سبب حصول وابل النشوة المقدّسة. إذن بعد أن انكشف سر هذه النقطة، ذهب الإنسان إلى أبعد منها. فإذا كان للعقل أن يتحرر من الأفكار، وإذا أمكن لتموجات الفكر أن تهدأ بعملية أخرى ما، فمن المنطقي أن يحقق نشوة نقيّة! ومن هنا نشأ نظام اليوغا، ومن هنا جاء التأمل وجاءت الصلاة.

هذه النظرة الجديدة أثبتت أنه من الممكن أن تهدأ تموّجات الفكر وتتبخّر حتى من دون جماع. فقد اكتشف الإنسان أن بهجة الأبعاد المدهشة التي

[1] السامادهي: هي مرحلة الاستغراق في المطلق. (المترجم)

حصل عليها أثناء فعل الجماع، يمكن الحصول عليها أيضاً من دون هذه العملية.

وبحكم طبيعة الجماع، فإن أثره هو أثر آني لأنه يستلزم إتمام تدفّق الطاقة. وبالتالي فإن الفرح المحض، والحب المثالي والسلوان الجميل الذي يتواجد فيه اليوغي طوال الوقت، لا يوصل الزوجين إلى هذه الحالة إلا للحظة فقط أو نحو ذلك. ولكن في الأساس لا يوجد فرق بينهما. والذي قال أن الفيشياناند والبراهماناند، أي الذي ينغمس في أحاسيسه والذي ينغمس في الله هما أخوة، قد أدلى بحقيقة عن غير قصد. فكلاهما يأتي من الرحم نفسه. أما الفرق بينهما فهو بحجم المسافة التي بين الأرض والسماء.

عند تلك المرحلة أرغب بإعطائكم المبدأ الأول. فإذا أردتم أن تعرفوا الحقيقة الأولية للحب فالمطلب الأول هو أن تتقبّلوا قداسة الجنس، أن تتقبّلوا قداسته بالطريقة نفسها التي تتقبّلوا فيها الوجود.. وبقلب مفتوح. فكلما تقبّلت الجنس بصدر رحب وبعقل منفتح بصورة كاملة، كلما تحررت منه أكثر. ولكن كلما قمعته أكثر، كلما أصبحت مستعبداً له أكثر، كمثل المزارع الذي أصبح عبداً لثيابه. إن معيار تقبلّك هو معيار نجاتك من العبودية. وإن تقبّلك الكلّي للحياة ولكل ما هو طبيعي وكل ما هو إلهي في الحياة، سيقودك إلى أعلى ممالك الألوهة.. إلى أرقى مستويات الغيب.. إلى أعلى المرتفعات.

وأنا أسمّي ذلك التقبّل بالإيمان، وذلك الإيمان بالله هو الباب إلى التحرر. كما أعتبر تلك التعاليم التي تمنع الإنسان من تقبّل ما هو طبيعي في الحياة ضمن المنظومة الإلهية إلحاداً. هذه التعالم التي تقول لك: "قاوم ذلك، اقمعه. الطبيعي هو خطيئة، وسيء، ورغبة شَبِقة. اترك هذا، واترك ذاك". إن كل هذه التعاليم هي إلحاد حسب فهمي، وإن أولئك الذين يعظون بنكران الذات هم أناس ملحدون.

إذن تقبّل الحياة في شكلها الصافي والطبيعي وامتلئ منها.. فالامتلاء بحد ذاته سوف يهذّبك خطوة فخطوة. وهذا التقبّل ذاته للجنس سيرفعك نحو قمم من السكينة لم تكن تتخيّلها. وإذا كان الجنس فحماً، فسيأتي بالتأكيد ذلك اليوم الذي يُظهر فيه نفسه ألماساً، وذلك هو المبدأ الأول.

أما المبدأ الأساسي الثاني الذي أريد قوله: هو عن شيء لديك، والذي أصبح الآن متصلّباً في داخلك بسبب الحضارة والثقافة والدين، وذلك الشيء هو الأنا.

إن طبيعة الطاقة الجنسية تستثير الأنا لكي تتدفّق باتجاه الحب، لكنّ حاجز الأنا أحاط بالحب كالجدار، وبالتالي أعاق تدفّقه. فالأنا قوية جداً عند الأشخاص السيئين والأخيار على حد سواء، عند الأشرار بالإضافة إلى القدّيسين. والأشخاص السيئون يؤكدون الأنا بعدة طرق، لكن الأشخاص الجيّدين أيضاً يطبلون ويزمرون للأنا عالياً: فهم يتبرّؤون من العالم، ويبنون المعابد، ولا يرتكبون الخطايا، ويريدون أن يفعلوا هذا وذاك.

لكن تلك "الأنا"، إشارة التوجيه تلك، حاضرة في أي وقت. وكلما كانت أنا الشخص أقوى كلما صعب عليه الالتقاء مع أي شخص، فما إن يتواجد الغرور في الوسط حتى تؤكد الأنا نفسها وتتحوّل إلى جدار، قائلة: "أنت هو أنت، وأنا هو أنا". وهكذا فإن حتى أكثر التجارب حميمية لا تقرّب الناس من بعضهم البعض. ربما تكون الأجساد متقاربة، لكنّ البشر متباعدون جداً. وبالتالي طالما أن هذه الـ "أنا" موجودة في الداخل، فلا يمكن تجنب هذا الإحساس بالتمايز.

ذات يوم قال سارتر كلاماً مدهشاً: "الآخر هو جهنّم". لكنه لم يفسّر لماذا كان الآخر جهنّم، أو حتى لماذا الآخر هو آخر.

إن الآخر هو آخر لأن الأنا هي أنا، وطالما أن الأنا هي أنا، فإن العالم من حولي هو الأخر.. مختلفاً ومنفصلاً ومنعزلاً.. ولا يوجد أي رابط.

وطالما أن هذا الشعور بالانفصال موجود، فلا يمكن لأحد أن يعرف الحب. لأن الحب هو تجربة الاتحاد. إن هدم الجدران واندماج طاقتين ما هو إلا تجربة الحب. والحب هو النشوة عندما تنهار الجدران بين شخصين، وعندما تتلاقى روحان، أي عندما تتحد روحان معاً.

عندما يتواجد هذا التناغم بين اثنين من البشر أسميّه حبّاً. وعندما يتواجد بين شخص واحد، وبين عامة الناس.. أسميه اللقاء مع الله. وإذا أصبحتَ مندمجاً معي في هذه التجربة.. بحيث تتبدد كل الحواجز، ويحدث التجانس على المستوى الروحي.. عندئذٍ أسمي ذلك حبّاً.

وإذا حصل مثل هذا الاتحاد بيني وبين الآخرين جميعهم، وفقدت هويتي في الجميع، فإن ذلك الإنجاز.. ذلك الاندماج، يكون مع الله، مع العلي القدير، مع العليم بكل شيء، مع الوعي الكوني، مع الأسمى، أو مهما شئت تسميته. لهذا أقول: إن المحبة هي الخطوة الأولى والله هو الخطوة الأخيرة.. الخطوة النهائية والرائعة.

كيف يمكن أن أمحو ذاتي؟

ما لم أذيب نفسي، فكيف يتحد الآخرون معي؟ لقد خُلق الآخر كرد فعل على أناي، فكلما صرخت عالياً "أنا"، كلما أصبح حضور الآخر أقوى. فالآخر إذن هو صدى "الأنا".

ثم ما هي "الأنا"؟ هل سبق وأن فكّرتَ فيها بهدوء؟ هل هي موجودة في رجلك أو في يدك، في رأسك أو في قلبك؟ أم هي مجرّد غرور؟ ما هي أناك، أو غرورك، وأين تكون؟ إن الشعور بها موجود رغم أنها ليست موجودة في مكان محدد. اجلس للحظة بهدوء وابحث عن تلك "الأنا". وربما تُفاجأ، رغم بحثك الشديد، بأنك لا تجد "أناك" في أي مكان. عندما تبحث في الداخل عميقاً: ستدرك بأنه ليس هناك "أنا"، كما أنه ليس هناك غرور. وعندما تتواجد حقيقة الذات: لا تكون "الأنا" موجودة.

دُعي الراهب المبجّل ناجسين من قبل الإمبراطور ليشرّف بلاطه. فذهب رسول الإمبراطور إلى ناجسين وقال له: "إيها الراهب، إن الإمبراطور يودّ رؤيتك، وقد جئت لدعوتك".

فأجاب ناجسين: "إذا أردتني أن أذهب إليه فسأذهب، ولكن لا يوجد هنا ناجسين. إنه مجرّد اسم، إنه عنوان مؤقت فقط". فأبلغَ الرسول الإمبراطور بأن ناجسين رجل غريب الأطوار: فقد أجاب بأنه سيأتي، لكنه قال بأنه لا يوجد ناجسين. فذهل الإمبراطور.

وصل ناجسين في المركبة الملكية في الوقت المحدد، فاستقبله الإمبراطور عند بوابة القصر قائلاً: "مرحباً بك أيها الراهب ناجسين". فأخذ الراهب يضحك لدى سماعه هذا الكلام وقال: "إني أتقبّل ترحيبك على أنني ناجسين، ولكن من فضلك تذكّر بأنه لا يوجد أحد بهذا الاسم".

فقال الإمبراطور "إنك تتحدث بالألغاز. فإذا لم تكن أنت، فمن الذي قبل دعوتي؟ ومن الذي يجيب الآن على هذا الترحيب؟"

فنظر ناجسين خلفه وسأل: "أليست هذه هي المركبة التي جئتُ فيها؟"

- أجل، إنها هي، إنها ذاتها".

- "إذن أرجوك، فك الأحصنة عنها" ...ففعل الملك.

فسأل الراهب وهو يشير إلى الأحصنة: "هل هذه عربة؟"

فقال الإمبراطور: "كيف يمكن أن تسمى الأحصنة عربة؟"

وبإشارة من الراهب، أبعدت الأحصنة وأزيلت الأعمدة التي تُربَط بها الأحصنة.

فقال الراهب: "هل هذه الأعمدة هي عربتك؟"

"بالطبع لا"، أجاب الإمبراطور، "فهذه أعمدة وليست عربة".

واستمر الراهب يطلب إزالة أجزاء العربة الواحدة تلو الأخرى، في حين كان الإمبراطور يجيب على كل سؤال، "هذه ليست عربة". وفي النهاية لم يبقَ منها شيء.

فسأل الراهب: "أين هي عربتك الآن؟ لقد تفككت إلى أجزاء، وكما قلتَ أنت، هذه ليست عربة، إذن، قل لي أين هي عربتك الآن؟"

فباغت هذا الإيحاء الإمبراطور. ثم تابع الراهب حديثه: "هل توافقني؟ العربة كانت متجمعة؛ لقد كانت مجموعة أشياء معيّنة، والآن يعد للعربة كيانها الخاص. من فضلك انظر في داخلك: أين هي "أناك"؟ أين هو غرورك؟

في الحقيقة، لن تجد الأنا في أي موضع، فهي ليست سوى تعبير عن عدّة طاقات، وهذا كل شيء. إذن فكّر في كل طرف من أطراف جسدك، وفي كل مظهر من مظاهر ذاتك، وفي كل شيء، بعد ذلك تخلّص من كل شيء.. الواحد بعد الآخر، ففي النهاية لن يتبقّى سوى اللاشيء، والحب يولد من هذا اللاشيء، وهذا اللاشيء هو الألوهة.

في إحدى القرى، افتتح رجل محلاً لبيع السمك بوضع يافطة كبيرة كُتب عليها: "هنا يباع سمك طازج".

في اليوم الأول جاء شخص إلى المحل وقرأ "هنا يباع سمك طازج". فضحك الرجل وقال: "سمك طازج؟ هل يباع سمك غير طازج في أي مكان؟ ما هو المغزى من كتابة 'سمكٌ طازج'؟"

فرأى بائع السمك أن الرجل كان محقّاً، ووجد أن كلمة "طازج" تخلّف انطباعاً لدى الزبائن بأنه غير طازج. فمحا كلمة "طازج" من اليافطة، وأصبحت الآن على الشكل التالي: "هنا يباع سمك".

وفي اليوم التالي، زارت المحل سيدة عجوز وقرأت بصوت عال: "هنا يباع سمك". عجباً! هل تبيع السمك في مكان آخر؟" فمحا كلمة "هنا" من اليافطة وأصبحت تقرأ: "مبيع سمك".

وفي اليوم الثالث، ما إن جاء زبون آخر إلى المحل، حتى قال: "مبيع سمك؟" وهل يعطي أحد السمك بشكل مجاني؟"

ثم مُحيت كلمة "مبيع" ولم يبقَ الآن سوى كلمة "سمك".

فجاء رجل عجوز وقال للبائع: "سمك"؟ حتى الشخص الأعمى سيعرف من مسافة بعيدة، بسبب الرائحة، بأن ثمة سمك يباع هنا".

فأزيلت كلمة "سمك"، وأصبحت اليافطة فارغة. فمر عابر سبيل وسأل البائع: "لما هذه اليافطة الفارغة؟". فأزيلت اليافطة أيضاً ولم يبقَ شيء؛ لقد أزيلت كل كلمة.. الواحدة تلو الأخرى، وما بقي خلفها هو اللاشيء، الفراغ.

والحب يمكن أن يولد من الفراغ فقط. ووحده الفراغ هو القادر على الاندماج بفراغ آخر؛ ووحده الصفر من يمكنه الاتحاد بشكل مطلق مع صفر آخر. لا يمكن أن يتحد شخصان بل فراغان، لأنه لم يعد يوجد حاجز الآن، فكل الأشياء الأخرى لديها جدران ما عدا الفراغ.

أما الشيء الثاني الذي ينبغي تذكّره هو أن الحُب يولَد عندما تختفي الشخصية، وعندما لا تعود "الأنا و"الآخر" موجودَين. والذي يبقى عندئذٍ هو كل شيء، يبقى غير المحدود.. وليس "الأنا".

بهذا الإنجاز تنهار كل الحواجز ويتدفق نهر الغانج المستعد أبداً لكي يأخذ موقعه.

وعندما نحفر بئراً. سيتدفّق الماء الموجود فيه أصلاً، ولا حاجة لجلبه من أي مكان آخر. فما علينا سوى أن نحفر التراب والحجارة، ونزيلهما. وبالتالي:

ما الذي نفعله بالضبط؟ إننا نخلق فراغاً بحيث يتمكن الماء الذي يتوارى في الداخل من إيجاد فراغ يتحرك فيه، الفراغ الذي يُظهرُ فيه نفسه.

إن ذلك الذي في الداخل يريد مكاناً، يريد حيّزاً. إنه يتلهّف لفراغ.. الفراغ الذي ليس بمتناوله.. وذلك لكي ينفجر ويتمكن من الخروج. فإذا كان البئر مليئاً بالرمل والحجارة، فسيتدفق الماء إلى الأعلى حالما نزيل تلك الأشياء.

وبالمثل، فإن الإنسان مليء بالحب، لكن الحب يحتاج إلى فسحة لكي يظهر على السطح. وطالما أن قلبك وروحك يقولان "أنا"، فأنت بئر يملؤه الرمل والحجارة، وبالتالي لن يتدفق جدول الحب من داخلك.

سمعت ذات مرة عن شجرة مهيبة وقديمة، ذات أغصان ممتدّة نحو السماء. عندما كانت هذه الشجرة في طور النمو، كانت تتراقص حولها فراشات من كل الأحجام والأشكال والألوان. وعندما تفتحت أزهارها وحملت الفاكهة، أتت الطيور من أماكن بعيدة وغرّدت فيها. وبأغصانها الممدودة كالأيدي، باركت كل الذين جاءوا وجلسوا في ظلّها. وكان هناك ولد صغير اعتاد أن يأتي ويلعب تحتها، وقد أضمرت تلك الشجرة مودّة تجاه الولد الصغير، ذلك أن الحب ممكن بين الصغير والكبير إذا لم يدرك الكبير بأنه كبير. وهذه الشجرة لم تكن تعرف بأنها كانت كبيرة؛ فالإنسان فقط هو من يمتلك تلك المعرفة. والكبار دائما لديهم الأنا كاعتبار رئيسي لهم، أما بالنسبة للحب فلا يوجد صغير أو كبير، فهو يحتضن كل من يقترب منه.

إذن، أضمرت الشجرة حباً لهذا الولد الصغير الذي كان يأتي ليلعب تحتها. كانت أغصانها عالية، لكن الشجرة كانت تميل وتنحني لأجل أن يتمكن الطفل من قطف أزهارها وتناول ثمارها.

إن الحب مستعد للانحناء في أي وقت؛ أما الأنا فليست مستعدة لذلك أبداً. وإذا اقتربتَ من الأنا، فسترتفع أغصانها إلى الأعلى أكثر وتتصلّب حتى لا تصل إليها.

جاء الطفل اللعوب، فأحنت الشجرة أغصانها، وكانت مسرورة جداً حينما قطف الطفل بعضاً من أزهارها. كان كيانها بأكمله ممتلئاً ببهجة الحب. فالحب يكون مسروراً دوماً عندما يتمكن من إعطاء شيء ما، أما الأنا فتكون مسرورة دائماً عندما تستطيع الأخذ.

كبر الولد الذي كان ينام أحياناً على حضن الشجرة؛ يأكل من ثمارها حيناً، ويضع فوق رأسه تاجاً من أزهارها حيناً آخر ويتصرّف مثل ملك الأدغال. والمرء يصبح كالملك عندما تكون أزهار المحبة موجودة. لكنه يصبح فقيراً وبائساً عندما تكون أشواك الأنا موجودة.

إن مشهد الولد وهو يرتدي تاجاً من أزهارها ويرقص حولها، قد ملأ الشجرة بالفرح. فأومأت بحبها، وأنشدت بنسماتها.

كبر الولد أكثر. وبدأ يتسلّق الشجرة ليتأرجح على أغصانها، فشعرت بسعادة غامرة حينما استراح على أغصانها. فالحب يكون سعيداً عندما يعطي الراحة لشخص ما، أما الأنا فتكون سعيدة عندما تقدم المتاعب للآخرين.

مع مرور الزمن ترتبت على الولد مسؤوليات وواجبات عدّة، فقد كبر طموحه؛ وكانت لديه امتحانات عليه أن يجتازها، وأصبح لديه أصدقاء يتحدث ويتجول معهم. لذلك لم يعد يأت في أغلب الأحيان، وكانت الشجرة تنتظر مجيئه بقلق، فنادته من صميم روحها: "تعال. تعال. إنني أنتظرك".

الحُبُ ينتظرُ ليل نهار.. والشجرة انتظرت.

بالحزن شعرت.. حين لم يأت الولد.

حزيناً يكون الحب.. عندما لا يستطيع مشاركة الآخرين؛ وحزيناً عندما لا يتمكن من العطاء.

ممتنّاً يكون بالمشاركة.. والأسعد تَراهُ.. حينما يستسلم بالكامل.

عندما كبر الولد، قل تردده على الشجرة أكثر فأكثر. فالشخص الذي كبر وكبرت معه طموحاته، لا يعود لديه وقت للحب. أما الولد فقد استحوذت عليه الآن الشؤون الدنيوية.

وذات يوم، بينما كان يمر بجانبها، قالت له الشجرة: "لقد انتظرتك لكنك لم تأت، وكنتُ يومياً أتوقع مجيئك".

فقال لها: "ماذا لديك؟ لماذا يجب أن آتي إليك؟ هل لديك أية نقود؟".

إن الأنا متحفّزة دوماً، وهي لا تأتي إلاّ إذا كانت هناك غاية نفعية ما. لكنّ الحب لا يُستثار بمنفعة، لأنه مكافأة في حد ذاته.

فقالت الشجرة المذهولة: "أفلا تأتي إلاّ إذا أعطيتك شيئاً ما؟" إن من يبخل لا يكون محباً.

إن الأنا تعمل على تكديس المال، أما الحب فيعطي من دون قيد أو شرط.

"نحن ليس لدينا ذلك المرض، ونحن مسرورون"، قالت الشجرة. "تتفتح الأزهار، وتنمو علينا ثمار كثيرة. نمنح ظلاً ملطّفاً، ونرقص في النسيم، وننشد الأغاني. والطيور الساذجة تتقافز على أغصاننا وتزقزق، رغم أننا لا نملك مالاً. واليوم الذي نصبح فيه معنيين بالمال، سيتوجب علينا أن نذهب إلى المعابد كما يفعل الرجال الضعفاء مثلك، ذلك لكي يتعلّموا كيف يحصلون على السلام، ولكي يتعلّموا كيف يجدون الحب. كلا، لا حاجة لنا للمال".

فقال الولد: "إذن لماذا يجب أن آتي إليك؟ سأذهب إلى حيث يوجد المال، فأنا بحاجة له".

إن الأنا تطلب المال لأنها تحتاج للقوة.

فكرت الشجرة قليلاً، ثم قالت: "لا تذهب إلى أي مكان يا عزيزي، التقط ثماري وبعها، وستحصل بتلك الطريقة على المال".

وفي الحال أشرق وجه الولد، فتسلق الشجرة وقطف كل ثمارها؛ لا بل التقط حتى الثمار التي لم تنضج بعد، وكذلك التي تساقطت على الأرض.

فبدت الشجرة سعيدة، رغم تكسّر بعض الفروع والأغصان، ورغم سقوط بعض أوراقها على الأرض. فالانكسار أيضاً يجعل الحب سعيداً، بينما الأنا لا تكون سعيدة حتى بعد الأخذ. فالأنا ترغب دائماً بالمزيد.

لم تلاحظ الشجرة أن الولد لم يتذكّر أن ينظر إلى الوراء ولو مرة ليشكرها. فقد حصلت على شكره عندما قبل عرضها بأن يقطف ثمارها ويبيعها.

لم يأت بعدها لفترة طويلة، فهو الآن يملك المال، وكان مشغولاً بمضاعفة المال الذي كسبه، وقد نسي الشجرة تماماً. سنوات مضت كانت الشجرة أثناءها حزينة، تتلهّف لعودة الولد.. كالأم التي امتلأ صدرها بالحليب، لكن ابنها ضائع. وهي تشتاق لابنها من كل كيانها، تبحث عنه بجنون لكي يأتي ويخفف عنها. هكذا كان البكاء الداخلي لتلك الشجرة التي كان كيانها بأكمله يتلوّى من شدة الألم.

بعد عدة سنوات رجع الولد إلى الشجرة وقد أصبح الآن راشداً.

فقالت الشجرة: "تعال يا ولدي، تعال واحضنّي".

فقال لها: "أوقفي تلك الوجدانيات، فقد كان ذلك شيئاً طفولياً، وأنا لم أعد طفلاً".

إن الأنا ترى الحب حماقة.. تراه وهماً طفولياً.

غير أن الشجرة دعته قائلة: "تعال وتأرجح على أغصاني، تعال وارقص، تعال لتلعب معي".

فأجاب الرجل: "توقفي عن هذا الكلام الذي لا نفع منه! أحتاج لبناء منزل، فهل بمقدورك أن تعطيني منزلاً؟"

فصرخت الشجرة: "أتريد منزلاً؟ انظر، ها أنا من دون منزل".

البشر فقط هم من يعيشون في المنازل. لا أحد يعيش في منازل سوى الإنسان، فهل لك أن ترى حالته بعد سَجنه بين أربعة جدران؟ إذ كلما كبرت مبانيه، كلما أصبح الإنسان أصغر. نحن لا نمكث في منازل، ومع ذلك يمكنك أن تقطع أغصاني وتأخذها، فربما تستطيع بعد ذلك بناء منزل".

وبدون إهدارٍ للوقت، أحضر الرجل فأساً وبدأ بتقطيع أغصان الشجرة.

أصبحت الشجرة الآن جذعاً عارياً تماماً، لكن الحب لا يكترث لهذه الأشياء.. حتى لو تقطّعت أوصاله لأجل المُحب، فالحب معطاء، وهو مستعد دوماً للعطاء. وهذا الرجل لم يزعج نفسه حتى بالتفكير بالشجرة؛ فشيّد منزله.

تحوّلت الأيام إلى سنوات والجذع ينتظر وينتظر. أراد أن يناديه، لكنه لم يعد لديه أغصان ولا أوراق لتمنحه القوّة على ذلك. هبّت الريح بجانبه، لكنه لم يتمكن حتى من تحميل الريح رسالة. وظلّت روحة تدوّي بصلاة واحدة: "تعال. تعال يا حبيبي تعال"، ولكن لم يحصل شيئاً. ثم مضت السنون وأصبح الرجل عجوزاً.

ذات مرّة بينما كان يمر بجانب الشجرة، جاء ووقف بقربها.

فسألته الشجرة: "ما الذي يمكنني فعله لك غير الذي فعلتُه؟ لقد عدتَ بعد زمن طويل جداً".

فقال العجوز: "ماذا تستطيعين أن تفعلي لي غير ذلك؟ أريد الذهاب إلى بلاد بعيدة كي أجني المزيد من المال، لذا أحتاج إلى قارب لكي أسافر".

فأجابت الشجرة بكل بشاشة: "لكن هذا ليس بمشكلة يا حبيبي، فلتقطع جذعي ولتصنع منه قارباً، وسأكون في غاية السعادة إذا أمكنني مساعدتك على السفر إلى بلاد بعيدة لتكسب المزيد من المال، ولكن تذكّر من فضلك بأنني سأكون دائماً في انتظار عودتك".

فجلب العجوز منشاراً وقطع جذع الشجرة ثم صنع قارباً وأبحر بعيداً.

غدت الشجرة الآن جذعاً صغيراً جداً تنتظر عودة حبيبها. انتظرت وانتظرت وطال انتظارها.

في الحقيقة لن يعود الرجل أبداً، فالأنا تذهب إلى حيث يوجد شيء تكسبه، والشجرة الآن لا تملك شيئاً؛ لا تملك مطلقاً أي شيء تقدمه.

إن الأنا لا تذهب إلى مكان لا مكسَب فيه، فالأنا شحّاذ أبدي في حالة دائمة من التطلّب، أما الحب فهو برّ وإحسان. الحب ملك، إمبراطور! فهل يوجد ملك أعظم من الحب؟

ذات مساء كنت أستريح بجانب ذلك الجذع الصغير، فهمس لي: "ذلك الصديق لم يعد بعد. وأنا قلقة جداً، فربما غرق أو تاه، أو ربما ضاع في تلك البلاد البعيدة. ربما لم يعد حياً، فكيف أحظى بأخبار عنه! ولأنني أقترب من نهايتي، فسأرضى ببعض أخبار عنه على الأقل. عندئذ أموت وأنا سعيدة، لكنه لن يأتي حتى لو ناديته، لأنه لم يبقَ لدي شيء كي أعطيه له، وهو لا يفهم سوى لغة الأخذ".

الأنا لا تفهم سوى لغة الأخذ؛ أما الحب فهو لغة العطاء.

ولا يمكنني قول شيء أكثر من ذلك. علاوة على هذا، لا يوجد شيء يقال أكثر من ذلك: بمعنى أنه إذا من الممكن أن تصبح الحياة مثل حياة الشجرة، تنشر أغصانها في كل مكان بحيث يمكن للجميع أن يتّخذوا لهم مأوى في ظلها، آنذاك سنفهم ما هو الحب، فليست هناك كتب دينية ولا رسوم بيانية ولا قواميس تشرح معنى الحب.

لقد تساءلت عما ينبغي أن أقوله عن الحب! فالحب عصي على الوصف. الحب موجود فحسب. ربما استطعتَ أن تراه في عيني إذا وقفت ونظرت

فيهما. وأتساءل عما إذا كان بمقدورك أن تشعر به عندما تمتد ذراعيّ للمعانقة.

الحب. . ما هو الحب؟

إذا لم تشعروا بالحب في عيناي، في ذراعيّ، في صمتي، فلا يمكنكم أن تدركوه في كلماتي أبداً.

إني ممتنٌ لصبركم في الاستماع لي. وفي النهاية أنحني للعلي الساكن فينا جميعاً. وتقبلوا احترامي.

الفصل الثاني

ثروات الحياة

ذات صباح، وقبل شروق الشمس، ذهب صياد سمك إلى نهر. وعند ضفة النهر شعر بشيء ما تحت قدميه، فوجد أنه كيس صغير من الأحجار. فالتقط الكيس ووضع شبكته جانباً ثم جلس القرفصاء على ضفة النهر ينتظر شروق الشمس. كان ينتظر حلول الفجر ليبدأ عمله اليومي. وبتكاسل أخرج حجراً من الكيس وقذف به إلى الماء، ثم ألقى بحجر آخر إلى النهر، ثم بحجر آخر. وبسبب عدم وجود أي شيء يفعله، استمر برمي الأحجار في النهر بشكل متتابع. أثناء ذلك أخذت الشمس تشرق ببطء وانبلج الصبح.

في ذلك الوقت كان قد ألقى بكل الأحجار في النهر باستثناء حجر واحد، الحجر الأخير الذي بقي في راحة يده. وكاد أن يتوقف قلبه حينما نظر إلى ما كان في يده بعدما طلع النهار. فقد كان حجراً كريماً! وكان قد ألقى بكيس الأحجار بأكمله أثناء الظلمة! وما خسره كان عن غير قصد! فلعن نفسه وهو يطفح بالندم. نشج وبكى بحرقة وكاد أن يفقد عقله من شدة الحزن.

لقد عثر بشكل عرضي على ثروة تكفي لإغناء حياته مرات عديدة، لكنه خسرها في الظلام من دون معرفة. غير أنه كان محظوظاً إلى حدّ ما: فلا زالت هناك جوهرة واحدة؛ إذ سطع الضوء قبل أن يرمي بها إلى النهر. وبشكل عام فإن معظم الناس لا يملكون حتى ذلك الحظ الذي يملكه هذا الصياد.

إن الوقت يمضي والظلمة تنتشر في كل مكان. والشمس لم تشرق بعد وقد أهدرنا بالفعل كل جواهر حياتنا الثمينة. فالحياة كنز دفين شاسع، والإنسان لم يفعل شيئاً سوى التخلص منه. وبمرور الوقت أدركنا أهمية الحياة بعد أن هدرناها. فالسر واللغز والنعيم والخلاص والجنة.. ضاعت كلها. وانقضت حياة المرء.

في الأيام القليلة القادمة أعتزم التحدّث عن ثروات الحياة، غير أنه من الصعب تنوير الناس الذين يتعاملون مع الحياة على أنها كيس أحجار، فالناس ينزعجون منك إذا لفتَ انتباههم إلى حقيقة أن الأشياء التي يرمون بها بعيداً هي جواهر وليست أحجاراً. وهم يثورون في وجهك، ليس لأن ما قيل لهم غير صحيح، بل لأن حماقتهم بانت، ولأنهم ذُكّروا بما فقدوه، فقد تدخّل غرورهم وأصبحوا غاضبين.

ورغم ما تمت خسارته لغاية الآن، فحتى لو كانت الحياة المتبقية قصيرة، وحتى لو بقي حجر واحد، فلا زال بالإمكان إنقاذ حياتك، ولم يفت أوان التعلّم أبداً، فالمساعدة ما زالت ممكنة، وخاصة في البحث عن الحقيقة، ولم يفت الوقت أبداً. ولا زال هناك سبب للشعور بالطمأنينة والثقة.

ولكن بسبب جهلنا وبسبب وجودنا في الظلام، اعتبرنا بصورة بديهية أن كيس الحياة لا يحتوي إلاّ على الأحجار. فالشخص الجبان الضعيف القلب، يقبل بالهزيمة ببساطة قبل أن يبذل أي جهد للبحث عن الحقيقة.

بدايةً، أريد التحذير من شرك القدرية، ومن وهم الهزيمة المؤكدّة. فالحياة ليست كومة رمل أو حجارة؛ وإذا كانت لدى المرء عينان سليمتان، فسترون بأن هناك الكثير من الأشياء الجيدة في الحياة.

في الحياة سنجد السلّم لبلوغ الله. فضمن هذا الجسد المكوّن من الدم واللحم والعظام، يتواجد شيء ما أو شخص ما بمعزل عن هذه الأشياء، وهو لا يمت بصلة إلى الدم واللحم والعظام، لأنه أبدي خالد، لا بداية له ولا نهاية. لا شكل له، وهو في قلب كل واحد منّا. وبسبب ظلمة الجهل، أحتكم على السعي بتوق إلى تلك الشعلة الخالدة!

غير أن الشعلة الخالدة تتوارى في دخان الفناء، وبالتالي لا نستطيع مشاهدة نورها .. ونصادف الدخان فنتراجع.

وأولئك الذين لا يملكون سوى القليل من الشجاعة، يبحثون قليلاً في الدخان فقط، ولهذا لا يستطيعون الوصول إلى الشعلة، أو إلى مصدر النور. فكيف نستطيع القيام بهذه الرحلة إلى الشعلة التي تقبع خلف الدخان.. أي إلى الذات ضمن الجسد؟ كيف ندرك ذاتنا .. كيف ندرك الكوني؟ كيف نتوصّل إلى معرفة الذي موّهته الطبيعة .. إلى ذاك الذي يتوارى في الطبيعة؟

سوف أتحدث عن ذلك على ثلاثة مراحل.

ففي المقام الأول، خنقنا أنفسنا بمثل هذه التحيّزات والأفكار المتضخّمة والفلسفات المزيّفة، فحرمنا أنفسنا من إمكانية رؤية الحقيقة المجرّدة، وكانت لدينا فرضيات جاهزة حول الحياة من دون معرفة ومن دون بحث ومن دون أي فضول. ومنذ آلاف السنين، يتم تلقيننا بأن الحياة لا معنى لها، وأنها بائسة وعديمة الفائدة. وتم تنويمنا مغناطيسياً لكي نعتقد بأن وجودنا عديم الفائدة وبلا هدف، ومليء بالأسى، وبأن تلك الحياة ينبغي احتقارها وتجاوزها.

وهذا التكرار المتواصل يستمر بتشديد الطوق الذي يخنقنا، بحيث بتنا نشعر الآن بأن الحياة ليست سوى صخب وضجيج هائل ومرتع للبؤس.

وبسبب هذه الكراهية للحياة، فَقَدَ الإنسان الفرح والحب، وأصبح الآن مجرّد كتلة هلامية، فهو بحر مضطرب من الحزن. وليس أمراً مستغرباً على الإطلاق أن الإنسان قد توقف عن محاولة التأمل في ذاته بسبب تلك المفاهيم الخاطئة، فلماذا يحاول إذن البحث عن الجمال في كتلة قبيحة؟ وحينما يعتقد المرء بشكل جازم أن الحياة تعني ببساطة وجوب رفضها والتخلص منها، فما هو المغزى من الاعتراف بها وتنظيفها وتجميلها؟ فكل هذه المساعي تبدو عقيمة.

إن موقفنا تجاه الحياة لا يختلف عن ذلك الرجل الذي يستخدم غرفة الانتظار في محطة قطارات. إذ يدرك بأنه موجود هنا لفترة، وبأنه سيغادر بعد قليل. فما هي إذن أهمية غرفة الانتظار؟ إذ لا أهمية لها مهما كانت؛ وهي تافهة تماماً، فيرمي بها النفايات، ويبصق فيها، ويوسّخها؛ إنه شخص عديم التفكير ولا يبالي بسلوكه: فبعد كل هذا سيتركها في لحظة. ونحن بالمثل، نعتبر الحياة مسكناً مؤقّتاً.

فالنزعة الحالية للإنسان هي: لماذا يزعج نفسه بالبحث عن الحقيقة والجمال في الحياة. غير أنني أريد التأكيد على أن الحياة ستنتهي في الوقت المناسب، وبالتالي لا مجال للتهرّب من حقيقة الحياة. نستطيع أن نبدّل منازلنا، وأن نبدّل أجسادنا، لكن جوهر حياتنا يظلّ معنا. وذلك الجوهر هو الذات. وليست هناك على الإطلاق طريقة للتخلّص منها.

إن أفعالنا هي التي تشكّلنا . وبشكل أساسي هي التي تصنعنا، أو تشوّهنا . وهي التي تغيّر حياتنا . هي التي تشكّل حياتنا وتصوغ أرواحنا . وإن ما نفعله بحياتنا والطريقة التي نعيش بها، هي التي تشكّل مستقبلنا . إن موقف المرء تجاه الحياة يوجّه مسار روحه: أي كيفية تطوّر روحه، والألغاز الغامضة التي ستتكشّف لغاية الآن. فإذا كان الإنسان مدركاً في أن موقفه تجاه الحياة يتناغم مع مستقبله، فسوف يُسقط على الفور هذه النظرة الكئيبة في أن الحياة فوضى، وبأنها بلا معنى وغير مفيدة، وربما يدرك عندئذ خطأ الاعتقاد بأن الوجود أريد له أن يكون ممتلئاً بالكرب، وبأنه ليس هناك مخططاً مرسوماً للأشياء، وربما يتوصّل إلى معرفة أن كل شيء يتعارض مع الحياة هو كُفر.

بيد أننا تعلّمنا أن نرفض الحياة باسم الدين، ففلسفة الدين كانت تتجّه دائما نحو الموت بدلاً من أن تتجه نحو الحياة. والدين يعظ بأن ما سيأتي بعد الموت هو شيء مهم، بل إن ما يحدث قبل الموت ليس له أهمية على الإطلاق. فالدين لغاية الآن يُبجّلُ الموتَ ولا يحترم الحياة. إذ لا يوجد في أي مكان قبول بهيج لأزهار الحياة وثمارها، بل تشبث عنيد بالأزهار الميّتة. وحياتنا ما هي إلاّ قصائد رثاء على قبور أزهارنا الميّتة!

لقد تركز التفكير الديني دائماً على الجانب الأخر للموت: على الجنة والموشكا[1] والنيرفانا[2].. كما لو أن الذي يحدث قبل الموت لا أهمية له على الإطلاق. وهنا أريد أن أسأل: إذا لم تكن قادراً على أن تعيش ما يحدث قبل الموت، فكيف ستكون قادراً على التعامل مع ما سيأتي بعد الحياة؟ سيكون هذا مستحيلاً تقريباً! إذا لم نستطع أن ننتفع قبل الموت بما هو موجود، فلا يمكننا أبداً أن نتأهل ونستعد لما سيأتي بعده. إن تحضير الإنسان للموت يجب أن يتم أثناء حياته! وإذا كان هناك عالم آخر بعد الموت، فسوف تتم مواجهتنا هناك أيضاً بما اختبرناه في هذه الحياة، إذ لا يوجد مهرب من

[1] الموشكا تعني التحرر أو الانعتاق من دورة الحياة والموت. (المترجم)

[2] النيرفانا هي الفناء الكامل في الله. (المترجم)

النتائج المترتبة علينا في هذه الحياة رغم أن الجميع يعزفون على قيثارة التبرؤ منها .

أقول بأنه إذا كان هناك ثمة إله، فهو الحياة بحد ذاتها . وأقول أيضاً : إن الحياة العاطفية هي الساداهانا ذاتها[1]، وهي طريق الإنسان إلى الله. وإن الدين الحقيقي هو الاستفادة من الحياة نفسها . كما أن إدراك الحقيقة المطلقة الموجودة في الحياة هي أول خطوة ناجحة تجاه تحقيق الخلاص الكلّي. والشخص الذي يتجنّب الحياة هو بصورة مؤكّدة شخص يفوّت على نفسه كل شيء.

لكن نزعة الدين هي عكس ذلك تماماً : فهي تلقي بالحياة بعيداً وتتنكّر للدنيا . والدين لا ينصح بالتمعّن في الحياة، ولا يساعدك على أن تعيش حياتك، ولا يقول إنك ستكشف الحياة عندما تعيشها فقط، بل يقول: إذا كانت حياتك بائسة، فذلك لأن فهمك للحياة غير طاهر. وفي الحقيقة فإن الحياة لا يمكن أن تمطر عليك بالسعادة إلاّ إذا عرفت الطريقة الملائمة لتعيشها . وأنا أعتبر الدين الحق هو فن العيش.

إن الدين ليس طريقة لتقويض أسس الحياة، بل وسيطاً للبحث بشكل متعمق في ألغاز الوجود . كما أن الدين ليس أن تدير ظهرك للحياة، بل أن تواجهها بعدل وإنصاف. وهو ليس التهرّب من الحياة، بل معانقتها بالكامل. إن الدين هو حصيلة إدراك الحياة. ونتيجة لتلك المفاهيم الخاطئة، فإن العجائز وحدهم الذين يبدون اهتماماً في الدين هذه الأيام. فلن تجد في المعابد والأماكن المقدّسة والكنائس والجوامع سوى العجائز فقط. لن ترى أيّ شاب هناك. لماذا؟ في الحقيقة هناك تفسير واحد فقط: وهو أن أديانا أصبحت أديانا للناس المتقدمين في السن؛ لهؤلاء الذين يسكنهم الخوف من الموت، للذين شارفوا على نهاية حياتهم، ولهؤلاء الممتلئين بالقلق مما سيأتي بعد الموت.

فكيف يمكن لدين مبني على أساس الموت أن يضيء الحياة؟ حتى بعد خمسة آلاف سنة من التعاليم الدينية نرى أن الأرض بؤرة دائمة للرذيلة

[1] الساداهانا هي الممارسة الروحية. (المترجم)

والفساد، وحالها من سيء إلى أسوأ. وبالرغم من عدم وجود نقص في المعابد والجوامع والكنائس والكهنة والمرشدين والنسّاك وما شابه ذلك على هذا الكوكب، إلا أن البشر لم يصبحوا متديّنين بعد. ذلك لأن الدين يرتكز على قاعدة زائفة. فالحياة ليست من أساس الدين، فقد بني الدين على قاعدة الموت، وهو بالتالي ليس رمزاً حياً بل شاهدة قبر. وهذا النوع من الدين المتحيّز لا يمكن أن يجلب الحياة لحياتنا أبداً.

فما سبب كل هذا؟

سوف أناقش لاحقاً دين الحياة، دين الإيمان المفعم بالحياة.. ومبدءاً أساسياً معيّناً لم يتم تشجيع الإنسان العادي على اكتشافه، ولا حتى أخبره أحد به.

لقد بُذلت في الماضي أقصى الجهود للتعتيم على هذه القاعدة الرئيسية للحياة، وقَمع هذه الحقيقة الأساسية. ونتيجة لهذا الخطأ الفادح، فقد تحول التعتيم إلى مرض عام.

فما هو المدخل الرئيسي للإنسان العادي؟

هل هو الله؟ كلا.

هل هو الروح؟ كلا.

أهي الحقيقة؟ كلا.

ما هو جوهر الإنسان؟ ما هي الرغبة الأساسية في أعماق الإنسان العادي.. في حياة الإنسان العادي، ذلك الإنسان الذي لا يتأمل أبداً، ولم يفتّش عن روحه أبداً، والذي لم يشرع في أي ترحال ديني أبداً؟

هل هي التقوى؟ كلا.

هل هي الصلاة؟ كلا.

هل هو التحرر؟ كلا.

أهي النيرفانا؟ قطعاً كلا.

إذا نظرنا إلى الدافع الأساسي للإنسان العادي، وإذا بحثنا عن القوة التي تكمن خلف هذه الحياة، فلن نجد التقوى، ولا الله، ولا الصلاة، ولا العطش للمعرفة، بل سنجد في الحقيقة شيئاً مختلفاً.. شيئاً يدفع نحو الظلمة، شيئاً

لم يواجَه بشكل واعٍ، ولم يُقَدَّرُ أبداً. فما هو ذلك الشيء؟ ماذا ستجد إذا شرّحت وحللت جوهر الإنسان العادي؟

حالياً لنضع الإنسان جانباً وننظر إلى الحيوان أو إلى مملكة النباتات، فماذا سنجد في صميم أيّ من هذه الكائنات؟ إذا راقبنا نشاط نبتة فماذا نجد؟ إلى أين يؤدّي نموّها؟ في الحقيقة سنجد أن طاقتها بالكامل تتجه نحو إنتاج بذور جديدة، وإن كيانها منشغل بأكمله بتشكيل بذور جديدة.

ماذا يفعل الطير؟ ما الذي يفعله الحيوان؟ لو راقبنا عن كثب نشاطات الطبيعة، فسنجد أن هناك عملية واحدة فقط، عملية صادقة تحدث بشكل مستمر. وتلك العملية هي إحدى عمليات الخلق المتواصلة: عملية التوالد، عملية خلق ذاتي لأشكال جديدة ومختلفة. فالأزهار لها بذور، والفاكهة لها بذور، فما هو قَدَرُ البذرة؟

إن قدر البذرة هو أن تنمو وتتحول إلى نبتة جديدة، وإلى زهرة، وإلى ثمرة ومن ثم إلى بذرة جديدة.. وبهذا تكرر الدورة نفسها. إن عملية التوالد هي عملية أبدية؛ والحياة هي قوّة تجدد نفسها باستمرار. فالحياة مبدعة، وهي عملية خلق ذاتي.

والأمر نفسه يصحّ على الإنسان. فقد عمّدنا العملية تحت اسم "عاطفة"، و "جنس"، وسمّيناها أيضاً "شهوة". وهذه العنونة بلغت حد السخرية؛ وهي ضرب من الإساءة، وهذا الاستخفاف بحد ذاته قد دنّس مناخ العملية برمتها.

إذن، ما هي الشهوة؟ ما هي العاطفة؟ ما هي تلك القوة التي تسمّى بـ "الجنس"؟

منذ زمن سحيق، والأمواج تتوالى وترتطم بالشاطئ. تأتي الأمواج وتتكسر عليه، ثم ترتد راجعة، ثم تهجم مجدداً. تندفع وتكافح، ثم تتشظى، بعدها تتقهقر مرتدّة مرة أخرى. والحياة لديها رغبة داخلية للتقدّم، للسير إلى الأمام. وهناك نوع من الاضطراب في هذه الموجات وفي موجات الحياة أيضاً، هناك سعي متواصل لتحقيق شيء ما. فما هو الهدف من ذلك؟ إنها رغبة شديدة لتحقيق وضع أفضل، وهي عاطفة لبلوغ ارتفاعات أعظم. وخلف هذه الطاقة التي لا تنتهي أبداً، تكمن الحياة ذاتها.. فالحياة تكافح لأجل حياة مرفّهة، ولأجل وجود أفضل.

كما أن الحياة ليست طويلة على الإطلاق.. وهي مسألة بضعة آلاف من السنين فقط.. أي منذ ظهور الإنسان الأول على وجه البسيطة. فقبل ذلك، كانت هناك حيوانات فقط. وهي أيضاً لم تأت إلى حيّز الوجود منذ زمن بعيد جداً: إذ سبقها زمن لم يكن موجوداً فيه أيّ حيوانات، أي عندما كانت هناك نباتات فقط. والنباتات أيضاً لم تكن موجودة قبل ذلك لزمن طويل جداً، فقد كانت قبلها صخور وجبال وأنهار ومحيطات فقط. فما هو هذا العالَم المتكون من الصخور والجبال والأنهار والمحيطات المتوتّرة إلى حد ما؟

لقد كان العالَم يناضل لأجل إنتاج النباتات. وبالتدريج، بالتدريج البطيء جداً، نشأت النباتات. فأظهرت قوة الحياة نفسها في شكل جديد، وبعد ذلك اكتست الأرض بالنباتات، واستمرّت باستحضار الحياة، واستمرّت بالتكاثر، وتفتحت الأزهار ونمت الفاكهة.

غير أن النباتات كانت قلقة أيضاً، فهي لم تكن قانعة بنفسها. كانت رغبتها الداخلية تتطلع أيضاً نحو شيء أعلى. كانت تتلهف لإنتاج الحيوانات والطيور. ثم أتت الحيوانات والطيور إلى حيز الوجود، وشغلت هذا الكوكب لعصور. لكن الإنسان لم يكن يشاهَدُ في أي مكان، رغم أن الإنسان كان موجوداً دائماً، ومتأصلاً في الحيوانات، يكافح لاختراق الحاجز، ويكافح لكي يولد. بعد ذلك، وفي الوقت المناسب، دخل الإنسان الوجود.

والآن، ماذا عن الإنسان؟ يسعى الإنسان لخلق حياة جديدة دون انقطاع. وقد أطلقنا تسمية "الجنس" على هذه النزعة، أسميناها "عاطفة"، أسميناها "رغبة". ولكن ما معنى هذه الرغبة؟

إن الدافع الأساسي هو الخلق، هو إنتاج حياة جديدة. فالحياة ذاتها لا تريد أن تنتهي.

ولكن ما الغرض من ذلك كله؟ هل يسعى ذلك الإنسان ضمنياً لتوليد إنسان أفضل، لتوليد نموذج أرقى منه؟ هل تنتظر تلك الحياة كائناً أفضل بكثير من الإنسان نفسه؟ إن الحكماء بدءاً من نيتشه[1] وحتى أوروبيندو[1]، ومن

[1] فريدريك نيتشه: فيلسوف ألماني من القرن التاسع عشر(1844 -1900) (المترجم)

باتانجالي[2] حتى براتراند راسل[3]، قد كوّنوا صورة في أعماق أعماقهم، كونوا حلماً عن كيفية خلق إنسان أرقى منهم.. أي سوبرمان. لقد كانوا يتساءلون عن إمكانية إنتاج كائن آخر أفضل من الإنسان.

لقد أدنّا عمداً رغبة التناسل لآلاف السنين، فأسأنا لها بدلاً من أن نتقبّلها. أحططنا من شأنها إلى أدنى درجة ممكنة. أخفيناها عن الأعين

[1] شري أوروبيندو Sri Aurobindo : (1872 – 1950) عالم وفيلسوف وشاعر هندي، صوفي ومعلم يوغي. بعد أن امتهن السياسة لفترة قصيرة، والتي أصبح خلالها واحداً من زعماء حركة تحرير الهند من الحكم البريطاني، اتجه شري أوروبيندو إلى ممارسة وتطوير اتجاه روحي جديد أطلق عليه اسم : اليوغا التكاملية"، والتي تهدف إلى تطوير الحياة على الأرض بتأسيس وعي روحي على المستوى العالمي، والذي أسماه Supermind أي العقل الفائق، ويمثل الحياة القدسية المتحررة من الموت الطبيعي. كتب أريبندو باللغة الإنكليزية عن فلسفته الروحية وممارستها، وعن التطوير الاجتماعي والسياسي، عن الثقافة الهندية، كما ترجم الكتب المقدسة الهندية القديمة. كتب في الأدب والشعر وخصوصاً الشعر الصوفي. يعتبر شري أوروبيندو لغاية الآن أحد اليوغيين العظام في التاريخ الهندوسي. (المترجم)

[2] باتانجالي Patañjali : حكيم هندي فيدي جامع ومصنّف لليوغا سوترا، وهو الكتاب الرئيسي الذي يحتوي على حكم وأقوال مأثورة عن المظاهر الفلسفية للفكر والوعي، = =جمع اليوغا سوترا من المعرفة الفيدية. أصبحت اليوغا سوترا في العقود الأخيرة منتشرة في العالم على نطاق واسع ذلك أنها تنصح بممارسة الراجا يوغا، أي اليوغا الملكية. وهي الأساس الفلسفي لحركة "اليوغا لأجل الصحة والتناغم بين الفكر والجسد". تشتمل على نظام تأملي وأخلاقي صارم، وتدعو للولاء للروح المشتركة الواحدة، براهمن أي الله. (المترجم)

[3] برانند أرثر ويليام راسل (1872-1970) فيلسوف بريطاني، مؤرّخ وعالم رياضيات، أحد الدعاة البارزين للسلام والإصلاح الاجتماعي، نشر الكثير من المواضيع الفلسفية والاجتماعية الهامة. ناشط بارز ضد الحرب ومن ضمنها الحرب على فيتنام، وهو مناهض للاستعمار، وأحد أبرز دعاة نزع السلاح النووي. دافع عن حرية التجارة بين الأمم. في عام 1950 مُنح راسل جائزة نوبل في الأدب نظراً لكتاباته الهامة المتعددة التي دافع فيها عن النماذج الإنسانية وحرية الفكر. ولد راسل في ذروة الصعود السياسي والاقتصادي لبريطانيا، وتوفي بمرض الإنفلونزا بعد أن تجاوز المائة عام. (المترجم)

وادّعينا بأنها غير موجودة، كما لو أن لا وجود لها في الحياة، ولا مكان لها في مجرى الأحداث. والحقيقة أنه لا يوجد شيء أكثر حيوية من هذه الرغبة. ولا بد من إعطائها مكانها الشرعي. فلم يحرر الإنسان نفسه منها بتغطيتها والدوس عليها، بل على العكس، شبكَ نفسه بها أكثر، وهذا الكبت أحدث نتيجة معاكسة لما هو متوقّع.

تخيّل شخصاً مبتدءاً يتعلم ركوب درّاجة. ربما يكون الشارع كبيراً وعريضاً، ولكن إذا كانت هناك صخرة صغيرة على قارعة الطريق فسيخشى سائق الدراجة من الاصطدام بها. ورغم أن هناك احتمال واحد بالمئة في أن يصطدم بذلك الحجر، إلى درجة أنه حتى الرجل الأعمى من المرجّح أن يتجاوزه بأمان.. ولكن بسبب خوفه، فإن راكب الدراجة يكون متيقّظاً للحجر فقط، فيتضخم الحجر في ذهنه ويختفي الشارع. فقد نومه ذلك الحجر تنويماً مغناطيسياً، وسحبه نحوه، ثم يصطدم بذلك الحجر بالذات، والذي بذل كل ما بوسعه لينجو بنفسه منه. لقد كان الشارع كبيراً وعريضاً، فكيف حصل الحادث لهذا الرجل؟

يقول عالم النفس "كوي": إن عقل الشخص العادي محكوم بقانون الأثر العكسي. فنحن نصطدم بذلك الشيء بالذات، والذي نحاول تفادي الاصطدام به، ذلك لأن موضوع خوفنا يصبح مركز وعينا. وبالطريقة نفسها، يحاول الإنسان منذ خمسة آلاف سنة حماية نفسه من الجنس، فكانت النتيجة أنه في كل ركن، وفي كل زاوية، وفي كل مكان، كان يواجَه بالجنس بكافة أشكاله. في حين يقبض قانون الأثر العكسي على روح الإنسان. وبالتالي، ألم تلاحظ أن العقل قد سُحبَ ونُوِّمَ مغناطيسياً من خلال الشيء الذي يسعى لتجنّبه؟ فالذين علّموا الإنسان أن يكون ضد الجنس، مسؤولون بالكامل عن جعله مدركاً جداً للجنس.

إن النشاط الجنسي المُفرط الموجود في الإنسان يمكن أن يلام بسبب هذه التعاليم المُفسدة. ونحن اليوم نخشى أن نناقش الجنس. فلماذا نخاف إلى درجة الموت من مناقشة هذا الموضوع؟ ذلك بسبب افتراض أن الإنسان قد يصبح شهوانياً لمجرّد التحدّث عن الجنس. وهذه النظرة خاطئة تماماً. علاوة على هذا، هناك فرق شاسع بين الجنس والشهوانية. إن مجتمعنا سوف

يتحرر من شبح الجنس، فقط عندما تصبح لدينا الشجاعة للتحدّث عن الجنس بطريقة سليمة ومنطقيّة.

ولن نكون قادرين على تجاوز الجنس إلا من خلال فهمه بكل مظاهره. ولن تستطيع تحرير نفسك من مشكلة وأنت تغلق عينيك عنها، فوحده المجنون من يظن بأن عدوّه سيختفي إذا أغمض عينيه.. مثلما تفكّر النعامة في الصحراء بهذه الطريقة؛ فهي تدس رأسها في الرمل ولا تعود ترى عدوّها، فتظن أنه لم يعد موجوداً. وهذا النوع من المنطق يمكن أن نصفح عنه في حالة النعامة، أما عند الإنسان فهو خطأ لا يُغتفر.

عندما يتعلق الأمر بالجنس، نجد أن الإنسان لا يتصرّف بأفضل مما تتصرّف النعامة، فهو يعتقد أنه بمجرّد إغلاق عينيه، وتجاهله، سيختفي الجنس.

فإذا كان لمعجزة كهذه بأن تحدث، فستكون الحياة بمنتهى السهولة. لكن واحسرتاه، إذ لا شيء يختفي بمجرّد أن نسدل الستائر، بل على العكس، فهذا يثبت أننا خائفون من الجنس، وبأن جاذبيته أقوى من مقاومتنا. وبما أننا لا نستطيع قهر الجنس، فإننا نغمض أعيننا عنه، وهذا التصرف هو علامة ضعف، وكل البشرية مذنبة في ذلك.

ولم يتوقف التغاضي السافر للإنسان عن مسألة الجنس عند ذلك الحد، بل دخل معه أيضاً في نزاعات باطنية لا تعدّ ولا تحصى. فالنتائج المدمّرة لهذه الحرب مع الجنس معروفة جداً، ولا مجال لذكرها هنا، فثمان وتسعون بالمئة من الأمراض العقلية والعصاب سببها الكبت الجنسي. وإن تسعة وتسعون بالمئة من النساء يعانين من الهستيريا والأمراض المتعلّقة بالاضطرابات الجنسية، كما أن السبب الرئيس للخوف والشك والقلق والتوتّر والإجهاد، الواقع على الإنسان المعاصر هو الضغط العاطفي، فقد أدار الإنسان ظهره لرغبة قوية وملازمة له: تغاضينا عن الجنس بدافع الخوف دون أن نحاول فهمه. أما النتيجة فكانت مأساوية بالفعل. ولكي يرى الإنسان حقيقة ذلك، فهو يحتاج فقط لتفحّص أدبه الذي هو مرآة الفكر. فلو كان لرجل من القمر أو من المريخ أن يأتي هنا ويعاين أدبنا، فيقرأ كتبنا وشعرنا

وينظر إلى رسوماتنا، فسوف تصيبه الدهشة ويتساءل: لماذا يتركّز كل أدبنا وفننا حول الجنس؟ ولماذا كل قصائد الإنسان ورواياته وقصصه ومجلاته مشبّعة بالجنس؟ ولماذا توجد صورة لامرأة نصف عارية على غلاف كل مجلّة؟ لماذا تركّز الأفلام على الرغبة. وسوف يحتار لأمرنا: فالزائر الغريب سيتساءل لماذا لا يفكر الإنسان إلا بالجنس. وسيكون أكثر حيرة إذا قابل شخصاً وتحدّث معه، لأن ذلك الشخص سيحاول إبهاره بأقصى جهده أنه بريء تماماً من وجود الجنس لديه، وسيحدثه عن الروح وعن الله والجنة والانعتاق، لكنه لن يقول كلمة واحدة عن الجنس، رغم أن كيانه بأكمله مليء بأفكار عن الجنس. وسيكون ذلك الأجنبي مذهولاً لعلمه أن الإنسان قد اخترع آلاف الأجهزة لإشباع الرغبة التي لا يتلفظ بها نَفَس. وهكذا فإن الدين الذي لا يهتم إلاّ بالموت، قد جعل الإنسان جنسيّ التفكير. كما أفسده من زاوية أخرى أيضاً: فقد اظهر له القبة الذهبية للعزوبة، للبراهماتشاريا[1]، لكنه لم يقدّم له الإرشاد للحصول على موطئ قدم في أول درجة من سلّم فهم الجنس.

بدايةً، علينا أن ندرك الجنس ونفهمه؛ علينا أن نستوعب الرغبة الجوهرية. آنذاك فقط نستطيع أن نكافح لنتجاوزه ونترفّعَ عنه، وبذلك يمكننا أن نصل إلى مرحلة العزوبة. فبدون فهم قوة الحياة الأساسية هذه، في كل مظاهرها وأشكالها، فإن كل جهود الإنسان التي يبذلها لكبح وتقييد تلك القوة لن تساعده إلا على الانحلال والمرض والجنون. غير أننا لا نركّز على المرض الأساسي، بل نتحدّث بطلاقة عن المُثُل العليا للعزوبة. إن الإنسان لم يكن مريضاً جداً من قبل، ولم يكن عصابياً جداً، ولا بائساً جداً، لكنه أصبح الآن فاسداً بالكامل، فقد تسمم من جذوره.

ذات مرة كنت أمرُ بجانب مستشفى، فقرأت يافطة كتب عليها: "هنا عولج رجل لدغه عقرب، فشفي في يوم ثم خرج". ثم شاهدت يافطة أخرى كُتبَ

[1] البراهماتشاريا: هي السلوك القويم، والسيطرة على الدوافع الجنسية، وانتهاج طريق العزوبة. (المترجم)

عليها: "رجل لسعتهُ أفعى، فشُفي وخرج إلى منزله بصحة جيدة في ثلاثة أيام".

بعدها قرأت يافطة ثالثة تقول: "شخص عضّه كلب مسعور، فوضع تحت العلاج في الأيام العشرة الماضية، وسيتعافى قريباً".

وقرأت أيضاً تقريراً رابعاً مفاده: "تعرض رجل إلى عضّة من قبل رجل آخر، وهو فاقد للوعي منذ عدة أسابيع، ولا أمل في شفائه". فدُهشتُ وتساءلتُ: هل يمكن لعضّة الإنسان أن تكون سامّة إلى هذه الدرجة؟

إذا كنّا لمّاحين، فسنرى أن الكثير من السم قد تراكم في الإنسان، ربما بسبب أطباءه الثرثارين، لكن السبب الأهم هو رفضه قبول ما هو طبيعي فيه؛ رفضه قبول كيانه الأساسي، فقد حاولنا كبح وإهلاك رغبتنا الفطرية بلا جدوى، ولم نبذل أي محاولة لتحويلها وتهذيبها، وأجبرنا أنفسنا على ضبط تلك الطاقة بطريقة خاطئة.. تلك الطاقة التي تغلي فينا كالحمم المنصهرة، وهذه الحمم تندفع من الداخل دائماً. فإذا لم نكن حذرين، فستنقلب علينا في أية لحظة. فهل تعلم ماذا سيحدث إذا حصلت على أقل ثغرة؟

سأوضّح ذلك بمثال:

تتعرّض طائرة لحادث، وتكون قريباً منها: فتهرع إلى مكان الحادث لكي تشاهد.

فما هو السؤال الذي سيتبادر إلى ذهنك للوهلة الأولى عندما تشاهد جسداً متحطّماً؟

هل ستسأل إن كان هذا الشخص هندوسياً أم مسلماً؟ كلاّ.

هل ستسأل إن كان هذا الشخص هندياً أم صينياً؟ كلاّ.

في المقام الأول، وفي جزء من الثانية ستنظر لترى ما إذا كان هذا الجسد رجلاً أو امرأة. فهل تدرك لماذا يقفز هذا السؤال إلى ذهنك أولاً؟ إنه بسبب الجنس المقموع، بسبب الكبت الجنسي الذي يجعلك مدركاً جداً للفرق بين الرجل والمرأة. ربما تنسى اسمَ أو وجهَ أو جنسية شخص ما.. وإذا التقيت بك فقد أنسى اسمك، أو وجهك، أو طائفتك، أو عمرك، أو ربما أنسى كل شيء عنك، لكنك لن تنسى جنس الشخص أبداً، لن تنسى ما إذا كان الشخص ذكراً

أم أنثى، فهل سبق وأن كان لديك شك في أن الشخص الذي تحدّثت معه - ولنقل مثلاً في القطار إلى دلهي السنة الماضية- أنه كان رجلاً؟

لماذا؟ عندما تنسى أي شيء عن شخص ما، فلماذا لا تستطيع أن تمحو شكل ذلك الشخص من ذاكرتك؟

في الحقيقة، ذلك بسبب أن وعي الجنس متجذّر بإحكام في عقل المرء وفي عمليات تفكيره. فالجنس حاضر باستمرار، ومؤثّرٌ على الدوام. فلا مجتمعنا، ولا كوكبنا، يمكن أن يكون صحيحاً معافى طالما أن هذه الستارة الحديدية وهذه المسافة التي بين الرجل والمرأة موجودة. كما لا يمكن للإنسان أن يكون في سلام مع نفسه ،طالما أن هذه النار المتأججة تضطرم في داخله، وطالما أنه يريض فوقها بإحكام، ذلك أن عليه أن يناضل في كل لحظة لأجل قمعها يوميّاً. فالنار تحرقنا وتشوينا، ورغم ذلك لسنا مستعدين لمواجهتها ودراستها.

فما هي هذه النار؟

إنها ليست عدواً بل صديقاً.

فما طبيعتها إذن؟

أقول لكم إنه مجرّد أن تعرفوا هذه النار فلن تعود عدوّة، وستصبح صديقة. إذا فهمتم هذه النار فلن تحرقكم؛ ستدفئ منازلكم، وتطبخ لكم، وستصبح أيضاً صديقتكم مدى الحياة.

لقد ومضت الكهرباء في السماء منذ ملايين السنين. فكانت تقتل الناس أحياناً، لكن أحداً لم يكن يعتقد أبداً بأن هذه الطاقة نفسها سوف تُشغّل مراوحنا وتنير منازلنا ذات يوم. لم يكن أحد يتخيل هذه الاحتمالات آنذاك. لكنها أصبحت اليوم صديقتنا. كيف؟ لو كنا قد تغاضينا عنها لما كان بإمكاننا سبر أسرارها أبداً؛ وما كنا لننتفع منها، وكانت ستبقى عدوة لنا، ولكانت على الدوام موضوعاً للخوف. غير أن الإنسان اتخذ موقفاً ودوداً تجاه الكهرباء، وأخذ على عاتقه مسألة فهمها ومعرفتها، وشيئاً فشيئاً، تطورت معها صداقة دائمة، ولو لم يحصل ذلك، لكنّا اليوم بالكاد نتدبر أمرها.

فالجنس لدى الإنسان، ذلك الدافع الغريزي، هو أكثر حيوية من الكهرباء. لقد أهلكت ذرّة المادة في دقيقة واحدة مئة ألف شخص بالكامل في مدينة

هيروشيما، لكن ذرة طاقة الإنسان تخلق حياة جديدة.. تخلق شخصاً جديداً! فالجنس بالتالي هو أكثر قوة من القنبلة الذرّية.

هل سبق وفكّرنا في الإمكانات غير المحدودة لهذه القوة، وهل فكّرنا في كيفية تحويلها لتحسين أوضاع البشرية؟ فربّ جنين يمكن أن يصبح غاندي، أو مهافير[1]، أو بوذا، أو المسيح. كما يمكن أن يظهر منه أينشتاين أو نيوتن، فالذرة المتناهية الصغر للطاقة الجنسية أمكنها أن تخلق شخصاً شاهقاً مثل غاندي!

لكننا لا نميل حتى لفهم الجنس، إذ يتوجّب علينا أن نستجمع شجاعة هائلة لكي نتحدّث عنه بشكل علني. فأي نوع من الخوف هذا الذي أصابنا لدرجة أننا لسنا على استعداد لفهم القوة التي انبثق منها العالم بأكمله؟ ما هذا الخوف؟ ولماذا يثير موضوع الجنس حفيظتنا إلى هذه الدرجة.

لقد صُدم الناس عندما تحدّثتُ عن الجنس الشهر الماضي[2] في بومباي، فقد تلقّيت العديد من الرسائل الغاضبة التي تطلب مني أن لا أتحدّث عن الجنس بهذه الطريقة، وهناك رسائل تطلب مني أن لا أتحدث عن هذا الموضوع أبداً. وأنا أتساءل: لماذا لا ينبغي للمرء أن يناقش هذا الموضوع؟ ولطالما أن هذه الرغبة متأصّلة فينا أساساً، فلماذا ينبغي أن لا نتكلّم عنها؟ في الحقيقة، ما لم نتمكن من فهم سلوكها، فكيف نتمكّن من تحليلها، وكيف نأمل بالارتقاء إلى مستوى أعلى ؟ فمن خلال فهمها نستطيع تحويلها، ونستطيع التغلّب عليها، ونستطيع أن نتسامى عنها. ولكن ما لم يحصل ذلك، سنموت، ونظل غير قادرين على التحرر من قبضة الجنس.

---

[1] ماهافير أو ماهافيرا: لقّبَ أيضاً بالزاهد العاري. عاش ما بين 527-599 قبل الميلاد حسب ما ذكر في النصوص اليانية. ولكن بعض المؤرخين يقولون أنه عاش ما بين 477- 549 ق م.
كان معاصراً لبوذا، وهو ابن للملك سيدارثا. تزوج من الأميرة باشودارا وأنجب منها طفلة، بعدها ترك عائلته وتخلّى عن كل ممتلكاته وعاش في عزلة تامة مدّة اثني عشر عاماً. كان لدى ماهافير في ذلك الوقت ما يزيد عن 400000 تابعاً. ترك جسده وهو في الثانية والسبعين من عمره. (المترجم)

[2] (ربما كان شهر سبتمبر أو أكتوبر من عام 1968)

ما أقصده هو أن هؤلاء الذين يمنعون التحدث عن الجنس هم الأشخاص أنفسهم الذين دفعوا البشرية إلى هاوية الجنس، وهؤلاء المرعوبين من الجنس، والذين أقنعوا أنفسهم بسبب خوفهم بأنهم أبرياء من الجنس، هم أناس مجانين، وقد تآمروا لجعل العالم بأكمله مأوىً ضخماً للمجانين.

إن الدين معني بتحويل طاقة الإنسان. الدين يهدف إلى تكامل الكيان الداخلي للإنسان.. بطموحاته العفيفة، ورغباته الأساسية معاً. كما يصحّ أيضاً، أنه ينبغي على الدين أن يقود الإنسان من الأدنى إلى الأعلى، من الظلمة إلى النور، من الخيالي إلى الحقيقي، ومن الزائل إلى الأبدي.

بيد أنه لأجل الوصول إلى مكان ما، فلابد من معرفة نقطة البداية: إذ يتوجب علينا البدء من حيث نقف، ومن الضروري أن نعرف هذا المكان أولاً، وهذا أكثر أهمية الآن من المكان الذي نريد الوصول إليه. وفي هذا السياق، فإن الجنس هو الحقيقة، وهو الواقع، وهو نقطة البداية.

ولكن ماذا عن الله؟ في الحقيقة إن الله بعيد من هنا. ولا يمكننا الوصول إلى حقيقة الله إلاّ عبر فهم نقطة بداية الرحلة، وما لم يتم ذلك، فلا يمكننا التحرّك بوصة واحدة: سنراوح في مكاننا ولن نذهب إلى أي مكان، أو سنكون تائهين.

عندما تحدّثت إليكم في لقائنا الأول، أمكنني الشعور بأنكم لستم مهيئين لمواجهة حقائق الحياة. إذن ماذا بعد، وماذا بإمكاننا أن نفعل؟ ماذا يمكننا أن نحقق؟ إذن كل هذه الجلبة عن الله وعن الروح لا تعني شيئاً؛ كلها خالية من الإيمان، ومجرّد رياء.

إننا نستطيع الترفّع عن شيء ما فقط من خلال اكتساب المعرفة الحقيقية عنه. وفي الحقيقة، فإن المعرفة هي تجاوز، ولكن قبل كل شيء، لا بد أن ندرك حقيقة واحدة: وهي أن الإنسان يولد من الجنس، فكيانه برمّته موجود بسبب ممارسة الجنس، وتملأه طاقة الجنس، لا بل إن طاقة الحياة نفسها هي طاقة الجنس.

فما هي هذه الطاقة الجنسية ؟ ولِمَ كل هذا الاضطراب في حياتنا؟ لماذا تتغلغل في كامل كياننا؟ لماذا تدور حياتنا حولها حتى الممات؟ وما هو مصدر هذه الرغبة؟

لقد قلل الحكماء والعرّافون من شأن الجنس عبر آلاف السنين، لكن الإنسان مازال غير مقتنع، فقد كانوا عبر العصور يعظوننا بوجوب تحدّي الجنس، وإبعاد كل تفكيرنا ورغباتنا عنه، لكي نتحرر من المايا، من العالم المخادع.. ولكن لغاية الآن لم يتمكن الإنسان من كسر قيوده، إذ لا يمكن أن تتخلص من الجنس بهذه الطريقة، فالنظرة خاطئة بالأساس.

عندما اجتمعت مع عاهرات، وجدتهن لا يتحدّثن عن الجنس أبداً، بل كنّ يسألن عن الروح، وعن الله. كما التقيت أيضاً بالكثير من الرهبان والزهّاد: فلم يكونوا يسألون إلاّ عن الجنس عندما نكون وحدنا، وكنت مدهوشاً لعلمي بأن أولئك الزهّاد الذين يعظون دائماً ضد الجنس، يبدون مفتونون به. لقد كانوا فضوليين حيال الجنس، ومشوّشين، ويعانون بسببه من اضطرابات عقلية، رغم أنهم يعظون في الدين، وعن الغرائز الحيوانية في الإنسان. وفي حين أن الجنس شيء طبيعي.. فلا رغبنا به، ولا حاولنا فهم هذه الإشكالية. ولم ننفذ إلى سبب هذه الجاذبية الكبيرة نحو الجنس. فمن أين لك أن تتعلم الجنس؟

إن الآباء يشعرون أنه لا ينبغي السماح لأطفالهم بأن يعرفوا شيئاً عنه، والكتب المقدسة تقول الشيء ذاته، وليست هناك مدرسة أو جامعة تُدرّس شيئاً عن موضوع الجنس، فكل معهد تعليمي يمنع معرفته. ولكن في سن المراهقة: يكتشف الشاب بنفسه بأن كيانه بأكمله يطفح بالقلق بشأن الجنس، عندئذ تسقط كل الإجراءات الوقائية وينتصر الجنس. فكيف يحدث هذا؟ إن الحقيقَة والحب هي أشياء يتم الوعظ بها، لكن التعاليم لا تدعمها؛ وبذلك تثبت التعاليم هشاشتها.

إن الجنس متجذّر بقوّة في صميم كياننا، ولكن أين يرسو؟ أين يوجد مركز هذا الجذب الطبيعي.. هذا الجذب القوي والعميق جداً؟ هنا يكمن اللغز، ومن الضروري أن نتعرف على اللغز أولاً، آنذاك فقط نستطيع التغلّب عليه.

إن الجاذبية التي نشعر بها تجاه الجنس هي في الأساس ليست جاذبية تجاه الجنس مطلقاً. فبعد نهاية كل فعل جنسي، يشعر الإنسان بالإنهاك، وبالفراغ، والكآبة. كما يشعر بالأسف مع كل قرصة حموضة في المعدة، فيفكر بتجنب هذه الممارسة في المستقبل. إذن ما هو مصدر هذه الحالة المزاجية؟

السبب هو أن هذه الرغبة تسعى لشيء آخر غير الجنس، وليس لإرضاء رغبة جسدية. فالإنسان عادة لا يستطيع الوصول إلى أعماق كيانه بعد إتمام العملية الجنسية، ففي مسار حياته العادية، وفي روتينه اليومي، لديه تشكيلة من التجارب..فهو يتسوّق، ويقوم بعمله، ويكسب قوته.. لكن الجماع يوحي بأعمق التجارب بالنسبة له، وهذه التجربة لها أبعاد روحية عميقة: فهناك يصل المرء إلى ما هو أبعد من نفسه؛ هناك يتجاوز الإنسان نفسه. ويمكن القول بأن هناك شيئان يحدثان له في تلك الأعماق.

أولاً: في الجماع تتلاشى "الأنا" ego، وتنشأ اللا أنوية Egolessness . فلبرهة، لا تعود الأنا موجودة؛ للحظة، لا يعود المرء يعي نفسه. فهل تعلم أن "الأنا" تذوب بالكامل في الاختبار الروحي، وأن الأنا تتحول فيه إلى عدم؟ ذلك أنه في الفعل الجنسي تتلاشى الأنا، فالنشوة الجنسية هي حالة إنكار للذات.

والشيء الثاني حول التجربة الجنسية هو أن الزمن ينقطع للحظة، وتنشأ حالةٌ سرمدية. وكما قال السيد المسيح عن السامادهي: "هناك لن يكون للزمن وجود". ففي النشوة يختفي الإحساس بالزمن، فلا يوجد ماضٍ ولا مستقبل، لا وجود سوى اللحظة الحالية، فالحاضر ليس جزءاً من الزمن، بل هو الأبدية.

هذا هو سبب تلهّف الإنسان للجنس، فالاشتهاء ليس لجسد المرأة من قبل الرجل أو العكس، بل لشيء آخر وهو حالة اللا أنوية egolessness، حالة الأبدية.

إن نشوة الذروة الجنسية تستمر لبرهة فقط، غير أنه لأجل هذه اللحظة، يفقد الإنسان كمية كبيرة من الطاقة، ويفقد الحيوية، وبعدها يندب خسارته. فعند بعض أنواع الحيوانات، تموت الذكور بعد عملية جنسية واحدة. وهناك نوع من الحشرات في إفريقيا يمكن أن تقوم بهذا الفعل مرة واحدة فقط، فتنحسر طاقتها وتموت لحظة الإلقاح.

إن الإنسان لا يدرك أن الجماع يقلل من طاقته، لا بل يقلل من طاقته ويقربه من الموت أكثر. فبعد كل تجربة يندم على انغماسه، غير أنه بعد مدّة قصيرة يشعر بالعاطفة مجدداً. وبالتأكيد هناك معنى أعمق بكثير مما تراه

العين في هذا النمط من السلوك. فهناك مستوى أكثر دقة للتجربة الجنسية من كونها مجرّد روتين جسدي، وهو مستوى روحي من حيث الجوهر. ولكي تفهم هذه التجربة، عليك أن تنتبه بعناية، فإذا لم تستطع أن تستوعب معنى هذه التجربة فسوف تعيش وتموت في الجنس فقط.

إن البرق يلمع في ظلام الليل، لكن الظلام ليس جزءاً من البرق. والعلاقة الوحيدة بينهما، هو أن البرق يبرز في الليل فقط، أي في الظلام فقط.

والأمر ذاته يصحّ على الجنس. فهناك إدراك، وهناك ابتهاج، وهناك ضوء يومض في الجنس، غير أن هذه الظاهرة ليست ناتجة عن الجنس بحد ذاته، فهي نتاج ثانوي بالرغم من أنها مرتبطة به، لأن الضوء الذي يلمع إبّان الذروة يتجاوز الجنس، فهو يأتي من بعيد. فإذا استطعنا أن نستوعب تجربة الماوراء هذه فسوف نرتقي عن الجنس.

إن أولئك الذين يقفون ضد الجنس بشكل أعمى لن يستطيعوا أبداً تقدير هذه الظاهرة في منظورها المناسب، ولن يتمكنوا أبداً من تحليل سبب هذه الرغبة النهمة وهذا التلهّف العميق للجنس. وما أريد التأكيد عليه هو أن هذا الانشداد القوي والمتكرر نحو الجنس هو لأجل الإدراك اللحظي للسامادهي. فإن استطعت أن تتعلّم الوصول إلى السامادهي بدون الجنس، فسوف تتمكن من تحرير نفسك من الجنس. أي أنه إذا أراد شخص الحصول على شيء يكلّف ألف روبية، وهذا الشيء معروض في مكان حيث يمكن الحصول عليه بشكل مجاني، فسوف لن يكون سليم العقل إذا ذهب إلى السوق ليشتريه بثمن غال جداً. وبالمثل، إذا اتضح للإنسان كيف يمكنه الحصول على نفس النشوة التي يستمدّها من الجنس بوسائل أخرى وبمقدار أكبر بكثير، فسوف يكف عن التفكير بالاندفاع نحو الجنس؛ وسيبدأ بالركض مسرعاً في الاتجاه الآخر.

لقد حصل الإنسان على أوّل إدراك للسامادهي وذلك في تجربة الجنس. غير أن الجنس مسألة مكلفة، بل مسألة مكلفة جداً، وهي لن تدوم أكثر من لحظة، لأننا بعد لحظة الذروة سنعود إلى وضعنا الأصلي. إذن سنصل إلى مستوى وجود مختلف لمدة ثانية، نصعد فيها إلى قمة هائلة من الإشباع، نصعد إلى الأوج بزخم، ولكن بالكاد نصل حتى نعود القهقرى إلى حيث كنا. فالموجة تطمح بالوصول إلى السماء ولكن ما إن تصل إلى ذروتها حتى تبدأ

بالسقوط في نفس اللحظة. والحال ذاته بالنسبة لنا، فلأجل النشوة ولأجل المتعة ولأجل ذلك الإدراك، نستجمع طاقتنا من حين لآخر لنبدأ بالصعود مجدداً، فنلامس إلى حد ما ذلك المستوى الدقيق، وذلك العالم الشاهق، لكننا نتراجع مجدداً إلى ما كنا عليه في الأصل، مع نقص شديد في كمية الطاقة. ولطالما ظل فكر الإنسان منغمساً في نهر الجنس هذا فسيظل يرتفع ويسقط مراراً وتكراراً.

إن الحياة هي اندفاعات متواصلة نحو اللا أنوية egolessness، ونحو الأبدية timelessness، أو انعدام الزمن.. سواء بوعي أو بدون وعي. والرغبة الشديدة للكيان هي لأجل معرفة ذاته الحقيقية، ولمعرفة الحقيقة.. لمعرفة الشيء الأصلي، الخالد، لمعرفة مصدر الأبدي.. لأجل لاتحاد مع الذي يتعدّى حدود الزمن، ولتحقيق اللاأنوية الصافية. فالعالم بأكمله يدور حول محور الجنس وذلك لإشباع هذه الرغبة الداخلية اللاواعية للإنسان.

ولكن كيف نستطيع فهم أو تطوير أي نوع من أنواع التآلف مع هذا الإدراك إذا استمرّينا في إنكار وجود هذه الظاهرة الداخلية الطبيعية والمهيمنة. فعندما نعارض الجنس بشدة مثلما نفعل، سيصبح الجنس مركز وعينا، ولن نستطيع عندئذ تحرير أنفسنا منه، بل نصبح مقيّدين به. وسيدخل قانون الأثر العكسي حيّز التنفيذ، ونصبح مستعبدين له. فنحاول الهروب من الجنس، وكلما حاولنا تخليص أنفسنا منه كلما أصبحنا متورّطين فيه أكثر.

إن الإنسان مريض، ومرضه هو أنه يشعر بجوع شديد، ولكن في الحقيقة لا توجد به أية علة على الإطلاق. فكل ما هناك أنه قرأ بأن رفض الحياة هو طريق النجاة، وقرأ بأن من يصوم هو إنسان متديّن، وبأن من يأكل هو شخص مذنب. وقيل له أيضاً: إن الأكول هو شخص عنيف ويناقض وصايا اللاعنف.

غير أنه كلما اعتَبَر الأكل خطيئة، كلما قَمَع جوعه أكثر. في حين أن الجوع يؤكد نفسه بمقياس يوازي القمع. فهو يصوم لمدة ثلاثة، أو أربعة أيام، وفي اليوم التالي يريد أن يأكل أي شيء وكل شيء، كالمفجوع، وبعد الأكل يشعر بالندم على كسره للعهد الذي قطعه.. فالإفراط في الأكل له ردود أفعال..

ومن ثم، لكي يعوّض: سيكون لديه برنامج آخر للصوم، ومن جديد، بعد ذلك يريد أن يأكل لبعض الوقت.

قرر شخص أخيراً أنه كان من غير الممكن إتّباع الطريق القويم طالما أنه يعيش في البيت، لذا تنازل عن العالم وذهب إلى الغابة، ثم تسلق تلة فوجد كهفاً منعزلاً. والقوم في البيت كانوا حزانى، وزوجته تفترض أنه نجح في التغلّب على مرض الأكل لديه بانسحابه من العالم، فأرسلت له باقة أزهار متمنية له شفاءً مبكّراً وعودة سريعة.

فأجاب الرجل بملاحظة: "أشكرك كثيراً على الأزهار، فقد كانت لذيذة".

لقد أكل الرجل الأزهار، ونحن ربما لا نستطيع أن تخيّل رجلاً يأكل الأزهار بدلاً من الطعام، لكننا لم نعتمد هذه الطريقة الروحية في الصيام كما فعل ذلك الرجل، وبالطبع فإن هؤلاء المكرّسون للأكل سيكونون بالفعل قادرين على فهم الحالة بشكل جيد جداً، والنسبة بنفسها تقريباً فإن جميع الناس ملتزمون بالجنس.

لقد بدأ الإنسان حرباً ضد الجنس، ومن الصعب تقييم نتائج هذه الحرب بشكل صحيح. فهل يتواجد الشذوذ الجنسي في أي مكان سوى في ما يسمّى بالمجتمعات المتحضّرة؟ إن السكان الأصليين الذين يعيشون في المناطق المتخلّفة لا يمكنهم أن يتخيلوا رجلاً يجامع رجلاً آخر! لقد أقمت مع أناس قبليين، وعندما قلت لهم بأن المتحضّرين يفعلون هذا، ذُهلوا ولم يصدّقوا ذلك.

بيد أنه في الغرب توجد نواد للشذوذ، وهناك جمعيات تدّعي أن حظر الشذوذ الجنسي هو مسألة غير ديمقراطية حينما يمارسه الكثير من الناس، وهم يعلنون أن حظر الشذوذ الجنسي بالقانون هو انتهاك أساسي لحقوق الإنسان، وأنه فُرِضَ من قبل الأكثرية على الأقلية. فالعقلية التي أنجبت الشذوذ الجنسي، أنجبتها نتيجة الحرب على الجنس.

والدعارة أيضاً تتواجد بصورة تتناسب طرداً مع حضارة المجتمع. فهل سبق وأن فكّرت في المقام الأول كيف جاءت مؤسسة الدعارة إلى حيز الوجود؟ هل يمكنك أن تجد عاهرة في المناطق النائية الجبلية للشعوب القبلية؟ إن هذا لمستحيل، فلا يمكن لهؤلاء الناس أن يتخيّلوا بأن هناك نساء يبعن فضيلتهن،

واللائي يرضخن للجماع مقابل أجر. غير أن هذا الاتجار بالجنس قد تطور مع تقدم حضارة الإنسان، وهذا من عمل آكلي الزهور، وسوف نكون أكثر ذهولاً لو أخذنا في الحسبان جميع الانحرافات الجنسية الأخرى، وحيث نتفحّص المدى الأقصى لكل تعبيراتها البشعة. فما الذي حدث للإنسان؟ من المسؤول عن هذه البشاعة، وعن هذا الفسق؟

إنهم أولئك الذين علّموا الإنسان أن يكبت الجنس بدلاً من تفهّمه. وبسبب هذا الكبت: تتسرب الطاقة الجنسية للإنسان من مسام الخطيئة. فالمجتمع الإنساني برمّته مريض وبائس، وإذا كان لهذا المجتمع السرطاني أن يتغيّر، فمن الجوهري أن يوافق على أن طاقة الجنس هي طاقة إلهية، وبأن الانجذاب للجنس هو انجذاب روحي في الأساس.

لماذا الجاذبية الجنسية قوية جداً؟ لأنها قوية بالتأكيد. فإذا أمكننا أن نستوعب المستويات الأساسية للجنس: فيمكننا عندئذٍ أن ننتشل الإنسان من الجنس. آنذاك فقط، يستطيع عالَم الراما rama أن ينبثق من عالَم الكاما kama؛ آنذاك فقط يمكن لعالم الرحمة أن ينبعث من عالم الهوى.

ذهبت مع ثلة من الأصدقاء إلى "خاجوراهو"[1] لأرى المعبد الشهير عالمياً. كان الجدار الخارجي للمعبد مزركشاً بمشاهد للفعل الجنسي، وبأوضاع متنوعة للجماع، وكانت هناك منحوتات كثيرة ومختلفة الأوضاع، وكلها كانت في أوضاع جنسية. فسأل أصدقائي: لماذا وضعت تلك التماثيل لتزيين للمعبد؟ فشرحت لهم بأن المهندسين المعماريين الذين بنو المعبد كانوا أناساً أذكياء جداً، فقد عرفوا بأن العاطفة والجنس يوجدان على محيط الحياة،

[1] معابد خاجوراهو: نسبة إلى قرية خاجوراهو الواقعة في منطقة شاتاربور، تبعد 620 كم جنوب شرق نيودلهي عاصمة الهند. بنيت إبان حكم سلالة الملك تشانديلا راجبوت التي حكمت تلك المنطقة من الهند في القرون الوسطى. بنيت هذه المعابد على مدى مئة سنة (950-1050). كان هناك 80 معبد، بقي منها 22 معبداً فقط تنتشر على مساحة 21كم^2 لم تتعرض معابد خاجوراهو للدمار الهائل التي تعرضت له مثيلاتها في شمال الهند. وهذه المعابد هي أفضل مثال عن أنماط الفن المعماري الهندي والتي حازت على شعبية واسعة بسبب تصويرها الشبق لطريقة الحياة التقليدية التي سادت العصور الوسطى. (المترجم)

واعتقدوا أن أولئك الذين مازالوا منغمسين في الجنس: ليس لديهم الحق بدخول المعبد.

ثم دخلنا إلى المعبد، ولم يكن هناك وثن مقدّس للعبادة. وقد تفاجأ أصدقائي: فلم يشاهدوا داخل المعبد أي تمثال تعبّدي في أي مكان منه. فأوضحت لهم أن العاطفة والرغبة تتواجد على الجدار الخارجي للحياة نفسها، في حين أن معبد الله موجود في الداخل. وأولئك الذين مازالوا مفتونين بالعاطفة والهوى والجنس، لا يمكنهم الوصول إلى معبد الله في الداخل، ويظلون ببساطة يدورون حول الجدار الخارجي.

فالذين بنوا هذا المعبد كانوا أناساً متّزنون جداً، فقد كان هذا المعبد مركزاً للتأمل.. فالنشاط الجنسي على السطح، وفي كل الأنحاء، أما السلام والسكينة فهما في الجوهر.. في المركز.

كانوا يقولون للتلاميذ أن يتفكّروا في الجنس أولاً، ويتأمّلوا بالكامل صور الجماع على الجدار الخارجي، وعندما يتمكنون من فهم الجنس كلّياً، ويتأكدون من أن عقولهم أصبحت خالية منه، عندئذٍ يمكنهم المضي إلى الداخل، وفي تلك الحالة فقط سيَلْقَون الله في الداخل.

لكننا باسم الدين دمّرنا أي إمكانية لتفهّم الجنس، وباسم الدين أعلنّا الحرب عليه.. أي على غريزتنا الأساسية نفسها. فالقاعدة الأساسية ليست مشاهدة صور الجنس أبداً، بل هي أن تغلق عينيك وتقحم نفسك في معبد الله من دون إذن. ولكن هل يمكن لأحد الوصول إلى أي مكان بعينين مغمضتين؟ وحتى لو وصلت إلى الداخل، فلن تكون قادراً على رؤية الله بعينين مغمضتين، فبدلاً من ذلك سترى الشيء الذي كنت تهرب منه!

ربما يظن بعض الناس أنني داعية للجنس، فإذا كان الأمر كذلك، فقولوا لهم من فضلكم أن لا يستمعوا إلي على الإطلاق. أما الحقيقة: فهي أنه من الصعب هذه الأيام أن تجدوا شخصاً أكثر عداوة للجنس منّي على هذه الأرض. وإذا أمكن للناس أن يعيروا انتباههم لما أقول.. وبدون تحيّز.. فمن الممكن أن يتحرر الإنسان من الجنس، وهذا هو المنهج الوحيد لأجل بشرية أفضل. وإن علماء الدين الذين نعتبرهم أعداء الجنس، ليسوا أعداءه مطلقاً،

بل دعاته، فقد خلقوا فتنة حول الجنس، وبمعارضتهم العنيفة للجنس: خلقوا جاذبية جنونية تجاهه.

قال لي أحد الأشخاص باستياء وتحدّي: إنه "لم يكن يهتم لأي شيء غير مستنكَر. فكما نعلم جميعاً: أن الفاكهة المسروقة هي دائماً أطيب من التي نشتريها من السوق".

ولهذا السبب أيضاً لا تبدو الزوجة مثيرة للشهية كزوجة الجار، فالأخرى هي كالتفاحة المسروقة، وهي متعة محرّمة. وقد أعطينا الحالة نفسها للجنس، فهو شيء مغرٍ جداً. وقد أُلبس الجنس رداء من الأكاذيب ذات ألوان مفرحة بحيث أصبح شديد الإغواء.

لقد كتب برتراند راسل أنه في العهد الفيكتوري، عندما كان طفلاً، لم تكن تُرى سيقان النساء على الملأ أبداً. فالثياب التي كن يرتدينها كانت تكنس الأرض مغطّية أقدامهن بالكامل. وإذا حصل وبان إصبع قدم امرأة بالصدفة البحتة: يحملق الرجل فيه على الفور وتُستَنفَر غريزته.

ويضيف راسل: أما اليوم فتتنقل النساء شبه عاريات تقريباً وبسيقان مرئية تماماً، ولكن من الملاحظ أنها إلى حدّ ما لا تؤثر فينا بنفس القدر، وهذا يثبت، يضيف راسل، أنه كلما حجبنا الشيء، كلما أثار فضولنا.

فالخطوة الأولى لكي يتحرر العالم من الرغبة الجنسية هي أن نسمح لأطفالنا أن يظلّوا عراة في البيت قدر الإمكان. ومن المستحسن على قدر ما يسمح الوضع، أن نسمح لكلا الجنسين من الأطفال أن يلعبوا وهم عراة، ذلك لكي يتعرّفوا تماماً على أجساد بعضهم البعض. وبالتالي ، في الغد القريب، لن تكون ثمة ضرورة لأن يتحاضنوا بعضهم البعض في الشوارع. آنذاك أيضاً، لن تكون هناك حاجة لطبع الصور العارية في الكتب، آنذاك، ستكون أجسادهم مألوفة لبعضهم البعض، ولن يكون هناك أي نوع من الإغواء المفسد والضال في المستقبل.

غير أن الطريقة التي يتبعها العالم هي عكس ذلك تماماً. فالذين يغطّون ويخبئون الجسد، يخلقون له عن غير قصد جاذبية عظيمة. ومع أن عقولنا تتجاوزها، إلاّ أننا لا زلنا نشعر بتأثيرها الكامل.

إذن ينبغي أن يظل الأطفال عراة، وينبغي أن يلعبوا وهم عراة لفترة طويلة لكي لا يُبتلون ببذرة الحماقة لبقية حياتهم. غير أن العلل موجودة بالأساس، وهي في ازدياد، فوجود المرض يمكن ملاحظته في حجم الأدب الفاحش الذي ينشر الآن، والناس تقرأه وتخبأه بين أغلفة الكتب الدينية. ثم يعلو صراخنا بوجوب حظر كتب ذلك الأدب، لكننا لا نسأل من أين تأتي تلك الكتب التي نقرأها. إننا نعترض على عرض الصور العارية ولا نتساءل لماذا يعرضونها في المقام الأول.

إن الجنس هو شيء طبيعي، لكن الجنسوية هي نتاج التعاليم المضادة للجنس. فإذا اتّبعت تلك التعليمات، وإذا تم الأخذ بنصيحة تلك العظات غير العلمية، فسوف تمتلئ روح الإنسان بالجنسوية تماماً، وهذا ما حدث تقريباً. لكننا نحمد الله على أن هؤلاء المعلّمين ليسوا ناجحين تماماً. فبسبب إخفاقهم، تمكّن الإنسان من إنقاذ بعضاً من ضميره وبعضاً من حسن تمييزه للأشياء. فإذا فهم الإنسان الجنس بصورة صحيحة، فسوف يترفّع عنه، ويجب أن يترفّع عنه، لا بل من الضروري الترفّع عنه. فكل جهودنا إلى الآن حملت نتائج خاطئة لأننا لم نصادق الجنس بل أعلنا الحرب عليه، واستخدمنا القمع ونقص التفهّم كوسائل للتعامل مع مشاكل الجنس.

كلما أصبح فهم الإنسان أعمق، كلما ترفّع عن الجنس؛ وكلما قل فهمه، كلما تعاظمت محاولاته لقمع الجنس. والقمع لن يثمر بأي نتيجة أبداً، كما أنه ليس ساراً ولا صحياً.

إن الجنس هو الطاقة الأكثر حيوية الإنسان، ولكن لا يجب أن يكون هدفاً بحد ذاته: إذ ينبغي أن يقود الإنسان إلى روحه، فالغاية من الرغبة هي التنوير. ولأجل التوصل إلى العزوبة: لا بد من فهم الجنس، وبالتالي: أن نعرف ما هو الجنس يعني أن نتحرر منه.. أن نتجاوزه.. ولكن حتى بعد حياة من الخبرة الجنسية، فلازال الإنسان غير قادر على اكتشاف أن ممارسة الجنس لا تقدم له سوى اختبار زائل للسامادهي.. أي سوى لمحة خاطفة عن الوعي الفائق. وتلك هي قوة الجذب الهائلة للجنس؛ ذلك هو الإغراء الكبير للجنس: إنه القوة الجاذبة المغناطيسية للكائن الأسمى. إذن عليك أن تعرف وتتأمل في

هذه الومضة الآنية. عليك أن تركّز عليها بالوعي، فهي تسحب الجميع بقوتها الهائلة.

ولكن هناك طرق أخرى أسهل لتحقيق التجربة نفسها.. فالتأمل، واليوغا، والصلاة، هي بدائل أخرى.. غير أن قناة الجنس فقط هي التي لها التأثير الأقوى على الإنسان، ومن المهم جداً التفكير بالطرق المتعددة الموجودة للوصول إلى الهدف نفسه.

لقد كتب لي صديق يقول: إنه وجد مقالتي محرجة جداً، وطلب مني أن أتخيل الوضع المحرج لأمّ تجلس مع ابنتها بين الحضور. كما طلب مني أن أفكّر بأمّ تشاهد محاضرتي بصحبة ولدها. علاوة على هذا، نصحني بأن مثل هذه الأشياء لا ينبغي أن تناقش أمام أي شخص. فأجبته أن اعتراضاته كانت بلا أساس، ولا بد أنه فقد عقله. فإذا كانت الأم عاقلة، فستربط تجاربها للجنس بابنتها في الوقت نفسه قبل أن تتسلل إلى الطابق السفلي للجنس، وقبل أن تخسر نفسها بطرق مجهولة وغير ناضجة. وإذا كان الأب حسّاساً في أداء مسؤولياته الأبوية، فعليه أن يناقش الموضوع من دون قيود مع ابنه وابنته.. لتحذيرهم من المخاطر الشائعة، ولكي ينقذ حياتهم من الانحرافات المحتملة في المستقبل.

غير أن الوضع المثير للسخرية: هو أنه لا الأب، ولا الأم لديهما أي خبرة واعية وعميقة في هذا الأمر. وهم أنفسهم لم يترفّعوا عن مستوى الجنس المادي، وبالتالي يخشون على أطفالهم من أن يصبحوا متورّطين مثلهم في المستوى ذاته. لكنني أسألك: هل أرشدك أي شخص؟ لقد ورّطت نفسك. وأطفالك أيضاً سيورّطون أنفسهم، وسيتكرر ذلك في الجيل الثاني والثالث والرابع، وهلم جرّا. ولكن أليس من الجائز أنهم ربما ينقذون أنفسهم من تبديد طاقتهم، وربما يحافظون عليها، وقد يحوّلونها.. لو أن أطفالك تحدّثوا بالأمر، ولو أنهم درسوه، لو أنه سمح لهم بالتفكير فيه بحريّة بينهم وبين أنفسهم؟

كلنا رأينا الفحم مرّات عديدة، والعلماء يقولون: إنه بعد بضعة آلاف من السنين يتحوّل الفحم إلى ألماس، وإنه لا يوجد فرق كيميائي، أو بنيوي بين

الفحم والألماس. فالماسة هي تجلٍّ متحول لقطعة الفحم. إنها مجرّد قطعة من الفحم.

ما أريد قوله لكم: هو أن الجنس هو الفحم، في حين أن البراهماتشاريا، أي العزوبة، هي الألماس، فالعزوبة هي شكل آخر للجنس؛ هي تحوّل للجنس، وهي الهدف، إنما بعد مرورها في عملية معيّنة. وصدقوني، لا توجد عداوة مابين الطرفين. ولا يمكن لعدو الجنس أن يصبح براهماتشاريا أبداً. فماذا نعني بالبراهماتشاريا، أي العزوبة؟ إنها الاتحاد بالله.. إنها تحقيق التجربة القدسية.. التجربة الإلهية، وباستخدام التفهّم الواعي يمكن توجيه طاقة المرء الجنسية على درب الله.

أعتزم غداً التحدّث إليكم عن كيفية اختبار الكاما kama، أي الرغبة، والتي يمكن أن تتسامى إلى الراما Rama، أي النور. فأرجو أن تصغوا بانتباه، بحيث لا يكون هناك سوء تفسير. وأرجو أن تطرحوا بشكل صادق أية أسئلة تتوارد إلى الذهن. أرسلوها لي مكتوبة لكي أتمكن من الإجابة عليها مباشرة في الأيام القليلة القادمة. ولا داع لأن تخفوا أية أسئلة تنشأ في أذهانكم، فلا يوجد سبب لإخفاء الحقيقة، ومن غير المجدي أن تحاولوا الهرب بعيداً عنها. فالحقيقة هي الحقيقة سواء تغاضينا عنها أم لا، ووحدهم أولئك الذين يملكون الشجاعة لمواجهة الحقيقة هم أناس روحانيون. أما الضعفاء، والجبناء، وأنصاف الرجال في مواجهة الحياة وجهاً لوجه: فلا يمكنهم مساعدة أحد ليصبح روحانياً.

في الأيام القادمة، أدعوكم للتمعّن في موضوعي: الموضوع الذي لا يمكن لأحد أن يتوقع من شيوخكم وعرّافيكم وحكمائكم أن يتحدّثوا به. وربما لم تعتادوا على سماع مثل هذه الأحاديث أيضاً، وقد يكون الخوف هو ردة فعل عقولكم. لكنني أحثّكم على الصبر والإصغاء بانتباه، فمن الممكن جداً أن يقودكم تفهّم الجنس إلى معبد روحكم. فتلك هي رغبتي، وأتمنى من الله أن يحقق لي تلك الرغبة.

الفصل الثالث

الراعي ذي الوجه الملائكي

أستأنف حديثي بحكاية صغيرة: فمنذ سنوات كثيرة مضت، وفي أحد البلدان، كان هناك رسّام شاب مشهور قرر أن يبتكر لوحة عظيمة حقاً، لوحة مليئة بالحيوية، مليئة بالفرح الإلهي، صورة لرجل تشع عيناه بسلام أبدي. لذا أخذ يبحث عن شخص لديه وجهاً يعكس ذلك النور السماوي الخالد.

جال الرسام من قرية إلى أخرى، ومن غابة إلى غابة بحثاً عن موضوعه، فصادف أخيراً راعي غنم ذا عينين لامعتين، ووجه وقسمات حملت في طياتها شيئاً من المقر السماوي، وكانت نظرة واحدة إلى وجهه تكفي لإقناعه بأن الإله موجود في هذا الراعي الشاب.

رسم الفنان صورة ذلك الراعي، فطُبعت منها ملايين النسخ وبيعت في كل مكان. وشعر الناس بامتنان عظيم لمجرد كونهم استطاعوا تعليقها على جدران منازلهم.

بعد قرابة عشرين سنة، وبعد أن كبر الفنان في السن: قرر أن يرسم صورة أخرى، فتجربته بيّنت له أن الحياة ليست طيبة بكل جوانبها، ذلك أن الشيطان موجود أيضاً في الإنسان، وألحّت عليه فكرة رسم صورة الشيطان؛ فإن تحقق مشروعه، عندئذٍ ستكمّل الصورتان بعضهما البعض وتُظهر الإنسان الكامل. وكان فيما مضى قد رسم صورة التقوى؛ والآن أراد تصوير الشر المجسّد.

فبحث عن شخص ليس بإنسان بل شيطان: فذهب إلى أوكار القمار، وإلى الحانات والأماكن الصاخبة، إذ لابد للشخص المنشود أن يكون ممتلئاً بنار الجحيم، ولا بد لوجهه من أن يُظهر كل ما هو شيطاني، وقبيح، وسادي.

بعد بحث طويل التقى الفنان بسجين داخل سجن، وكان قد ارتكب سبعة جرائم قتل فحكم عليه بالشنق خلال بضعة أيام. كان الجحيم بادياً على وجه

الرجل، ذلك الوجه الذي كان ينضح بكراهية وبشاعة قل نظيرهما .. فبدأ الفنان برسمه.

بعدما أكمل الرسم، أخرج الصورة السابقة ووضعها بجانب الصورة الجديدة للمقارنة. وكان من الصعب من وجهة نظر فنية تقييم أيهما كانت أفضل، فكلتاهما كانتا رائعتين. ثم وقف يحدّق فيهما، بعد ذلك سمع بكاءً، فالتفت وشاهد السجين المقيّد يبكي! احتار الفنان في أمره وسأله: "صديقي، لماذا تبكي؟ هل تزعجك هذه الصور؟"

فأجاب السجين: "كنت أحاول إخفاء شيء عنك كل هذه الفترة، فأنا اليوم إنسان ضال، ومن الواضح أنك لا تعرف بأن الصورة الأولى هي أيضاً لي. إنني راعي الغنم نفسه الذي قابلته منذ عشرون سنة في التلال، وأنا أبكي لانهياري في السنوات العشرون الماضية، فقد سقطت من الجنة إلى الجحيم.. من إله إلى شيطان".

لا أعرف مدى صحة هذه القصة، ولكن هناك شيء واحد أكيد، وهو أن حياة كل إنسان لها وجهان متعاكسان: فكلتا الصورتين ممكنتين لكل الناس، والله والشيطان موجودان في داخل كل إنسان؛ وفي كل إنسان هناك إمكانية لوجود الجنة، وإمكانية لوجود الجحيم.

ومثلما يمكن أن تنمو في داخله باقة زهر، يمكن أن تتراكم فيه كومة من الطين أيضاً. وكل شخص يتأرجح مابين هذين الطرفين. ويمكن للمرء أن يختار إحداهما، لكن معظم الناس يميلون نحو الشيطاني، وإنهم لنادرون أولئك المحظوظون القلائل الذين يتطلّعون إلى الأبدي، والذين تركوا الألوهة تنمو في داخلهم. فهل سننجح في جعل حياتنا معابد لله؟ هل يمكننا أيضاً أن نصبح مثل الصورة التي فيها لمحة من الله؟

بهذا السؤال أتابع حديث اليوم: كيف يمكن للإنسان أن يصبح انعكاساً لله؟ وكيف يمكن أن نجعل حياة الإنسان جنّة، وأن نجعلها عطرة وجميلة ومتجانسة؟ كيف يمكن للإنسان أن يعرف ما هو الخلود؟ وكيف يتمكن من دخول معبد الله؟

في هذا السياق تُبينُ حقائق الحياة أن كل تقدمنا حتى الآن كان في الاتجاه المعاكس. ففي الطفولة نكون في الجنة، ولكن عندما نصبح أكبر، ننحدر إلى الجحيم شيئاً فشيئاً. إن عالم الطفولة ممتلئ بالبراءة والنقاء.

بيد أننا نبدأ تدريجياً بالسفر في طريق مرصوفة بالأكاذيب والخيانة، ومع الزمن ننضج ونكبر في السن.. ليس جسدياً فقط بل روحيّاً أيضاً. وليس الجسد فقط هو الذي يصبح ضعيفاً وواهنا، بل إن الروح أيضاً تؤول إلى حالة من الخراب، لكننا نقبل هذا ببساطة، وببساطة أيضاً ندع المسألة تنتهي هناك، غير أننا ننهي أنفسنا في الوقت ذاته.

والدين ينظر بشكل قَدريٍ إلى هذه المسألة، وإلى هذا الانهيار، وإلى هذه الرحلة من الجنة إلى الجحيم.

ولكن ينبغي عكس تلك الرحلة، وينبغي أن تكون رحلة مُرضية.. رحلة من الحزن إلى الفرح، ومن الظلمة إلى النور، ومن الفاني إلى الأبدي. فرغبة الإنسان الداخلية هي الانطلاق من حد الموت وصولاً إلى الخلود، وهذا ما يتعطّش له الإنسان من أعماق روحه. فبغية الروح هي العبور من الظلمة إلى النور، والدافع الأساسي لطاقتنا الأولية الوصول من الزيف إلى الحقيقة.

لكنّ الإنسان بحاجة لأن يحفظ طاقته لأجل تلك الرحلة، يحتاج لأن يسمح لها بالنمو. ولكي يصيب الحقيقة ويصل إلى الروح، فلابد أن يجاهد لكي يصبح خزّان قوة بلا حدود، فالجنة ليست للضعفاء.

أكرر، الجنة ليست للضعفاء. وحقيقة الحياة ليست لأولئك الذين يبددون طاقتهم، وليست للذين يسمحون لأنفسهم بأن يصبحوا واهنين وضعفاء. إن أولئك الذين يبددون طاقات الحياة، والذين أصبحوا عاجزين من الداخل وبلا نكهة أو طعم، لا يمكنهم تولّي قيادة هذه العجلة، فهي تتطلب طاقة عظيمة لبلوغ المرتفعات.

إن حفظ الطاقة هو من المستلزمات الأساسية للمتعبّد، لكننا جيل ضعيف ومريض، ومن خلال خسارة هذه الطاقة، ننحط تدريجياً إلى مستويات أضعف وأضعف، فقد جفّت حيويتنا، وكل ما تبقّى في داخلنا هي خلايا أقراص عسل جافة، ولم يبق شيء سوى فراغ مخيف. فحياتنا قصة محزنة لخسارة مستمرّة. إن حياتنا ليست منتجة على الإطلاق.

فلماذا يتواجد هذا الوضع القبيح؟ وكيف نفقد طاقتنا؟

إن أكبر مَخرج لطاقة الإنسان هو الجنس.

فالجنس هو بالوعة متواصلة، ولابد من إيقافها. إذ لا يوجد شخص يرغب بأن يفقد أي شيء، لكنني قلت لكم سابقاً، هناك سبب لا يقاوم يجعل الإنسان يسرف كثيراً في هدر طاقته. فلأجل لمحة جنسية ممتعة يُستَجَرّ الإنسان، شاء أم أبى، إلى خسارة طاقته المرة تلو الأخرى. تلك النشوة المضيئة، ولكن العابرة، التي تأتي مع الجنس، تملك ذلك القدر الكبير من الجاذبية لدرجة تجعله يتهوّر في خسارة الشيء الذي هو أساس كل شيء.

فإذا أتيح للإنسان الحصول على النشوة نفسها بطرق أخرى، ألن يتوقّف عن هدر طاقته عبر الجنس؟ وهل هناك طرق أخرى للحصول على نفس تلك التجربة؟ أليست هناك طريقة أخرى لتحقيق التجربة الرفيعة نفسها حيث نسبر غور الأعماق السحيقة للروح وحيث نلمس أعلى ذروة للوجود.. وحيث تعطى لنا ومضات منعشة من النشوة الرقيقة والفرح الخالص، وحيث تتبخّر كل التعريفات والتقييدات؟ هل هناك تقنية ما للنزول إلى ذلك القاع الساكن في أنفسنا؟ هل هناك أي عملية أخرى للاتحاد مع المصدر الأبدي للسلام والفرح الذي يتواجد فينا جميعاً؟

إن هذه المعرفة ستشعل التحوّل في الإنسان. وعندئذ سيدير ظهره للكاما Kama ويتوجه نحو الراما Rama ؛عندئذ ستكون رحلته "من الرغبة إلى المولى". وعندئذ تحدث الثورة الداخلية وينفتح باب جديد.

فإذا لم نعرض للإنسان باباً جديداً، فسوف يستمر بالدوران في الدائرة ذاتها، وفي النهاية يدمّر نفسه.

غير أن الفكرة المتخلّفة للإنسان عن الجنس منعته حتى من التفكير في أي باب آخر، وفي أي مخرج أفضل من الجنس، فأحدثت في حياته فوضى كبيرة ومعرقلة.

لقد منحت الطبيعة الإنسان منفذاً واحداً فقط وهو الجنس، لكن التعاليم المنحدرة منذ قرون، قد صفقت ذلك الباب بعنف في وجه الإنسان، وحصرت ذلك المتنفس. وفي غياب منفذ ملائم، أخذت دوامة الطاقة في الإنسان تدور

هنا وهناك، وتحاول الصعود من دون جدوى: فتُحطّم شخصيّته وتحُط من شأنه وتحوّله إلى شخص عصابي.

علاوة على ذلك فإن هذا الشخص العصابي المحطّم لا يستطيع استغلال حتى ذلك المنفذ الطبيعي للجنس، فاندفاع الطاقة من الداخل يحطم جدران ونوافذ كيانه، وينفجر نتيجة ذلك، فينهار المرء ويتصدّع رأسه، فيتعثر وتتكسر أطرافه. وبسبب أن المنفذ الطبيعي محصور ومغلق، ولأن المنفذ ما فوق الطبيعي غير مفتوح بعد، فإن الطاقة الجنسية للإنسان تتدفّق عبر منافذ غير طبيعية، وهذا هو الحظ الأسوأ للإنسان. فلم تُفتح له منافذ جديدة بعد، بينما المنفذ القديم مغلق في الأصل.

ولهذا أنا ضد التعاليم التقليدية بسبب معاداتها وقمعها للجنس. فبسبب هذه التعاليم العتيقة لم تنمو الجنسوية فحسب في الإنسان، بل أصبح فاسداً أيضاً. فما هو العلاج؟ ألا يوجد خيار آخر؟

دعونا نمعن النظر في هذه الحالة بانتباه. فالإدراك الذي يأتي في لحظة هزّة الجماع يتكوّن من عنصرين: تلاشي الأنا والخلود؛ أي تجمّد الزمن وتبخّر الأنا. وبسبب غياب الأنا وتوقّف الزمن، يحصل المرء على رؤية واضحة لذاته. غير أن ذلك المجد هو مجد لحظي، فبعدها نعود إلى المجرى القديم نفسه. ونكون قد خسرنا في لحظة كميّة هائلة من الطاقة.

والعقل يتوق لتلك الومضة ويشتاق للإمساك بها مجدداً، لكن ذلك الضوء وذلك الإدراك لحظي جداً لدرجة أننا بالكاد نلحظه أثناء اختفائه، وما يتبقّى بعدها هو الرغبة والهاجس والقلق العميق لإحراز تلك التجربة من جديد.

فيظل يحاول طوال حياته، مراراً وتكراراً، لأجل الإمساك بتلك اللمحة، وبتلك التجربة البهيجة، إلاّ أنها لا تتريّث أبداً.

هناك طريقتان لإحراز أعلى مراحل الوعي، وللوصول إلى جوهر الذات الداخلية: الجنس والتأمل. فالجنس هو الباب الذي زوّدتنا به الطبيعة، وهو المسار الطبيعي: فالحيوانات تملكه، والطيور أيضاً، وكذلك النباتات والإنسان. وطالما أن الإنسان يستهلك هذا المنفذ الطبيعي، فهو ليس أعلى شأناً من الحيوانات، ولا يمكنه الارتقاء إلى مستوى أعلى من مستوى الحيوانات، فذلك المنفذ متاح لها أيضاً. واليوم الذي يعثر فيه الإنسان على

منفذ جديد، يمكن اعتباره يوم بزوغ فجر الإنسانية في داخله، وأما قبل ذلك فلسنا ببشر، فقبل ذلك اليوم مقامنا هو بمقام الحيوانات، وبمقام الطبيعة. وما لم نترفّع عن هذا، وما لم نتجاوزه، نكون حقيقةً عند مستوى الحيوانات، ولسنا ببشر إلا من حيث المظهر فقطْ. نلبس مثل البشر، ونتحدث بلغة البشر، لكننا في الداخل، وفي الجوهر، نكون مثل الحيوانات، ولن نصير أكثر من ذلك. ولهذا السبب ينفجر الحيوان في داخلنا عند أول فرصة تتاح له.

أثناء الاضطرابات في فترة تشكّل الهند والباكستان، عرفنا حيواناً من أكلَة اللحوم يتخفّى في قناع إنسان، وعرفنا كيف يستطيع بعض من المسلمين والهندوس أن ينهبوا ويقتلوا ويغتصبوا. فقد شوهد الكثير ممن يرتادون الجوامع، وممن يصلّون في المعابد من الهنود، يغتصبون النساء في الشوارع. فماذا حدث لهم؟

إن المرء يحصل على يوم عطلة من إنسانيته كلما أتيحت له فرصة تافهة لكي يتحلل من التزاماته.. فالحيوان الذي في داخله متأهّب للوثوب دائماً، ويتلهّف دائماً للتحرر من القيد. فالإنسان متوتّر دوماً.. بسبب لجمه لهذا الحيوان وتقييده. وفي داخل الحشد، أي ضمن الجماعة، يجد المرء الفرصة لخلع زيّه البشري فينسى نفسه. في داخل الحشد يُظهر الشجاعة في نسيان هويته الحقيقية التي كان يقمعها، فينطلق الحيوان. إذ ليس هناك شخص يرتكب من الخطايا، كفرد، ملثما يرتكبها وهو ضمن الحشد. فالشخص المنعزل يخاف إلى حد ما أن يتعرّف عليه أحد، كما يخاف من المظهر الإنساني الذي يرتديه. والشخص المنعزل سيفكّر أولاً بما سيقدم عليه، فهو يخشى من أن ينعته الآخرون بالحيوان.

بينما في وسط حشد كبير من الناس، يفقد هويّته ولا يخشى أن يُكتَشف أبداً، فهو جزء لا يتجزأ من الجماعة، وبالتالي يفعل ما يفعله الناس من حوله.

فما الذي يفعله؟ إنه يقذف الأحجار، ويشعل الحرائق، ويغتصب النساء. وفي حين أنه جزء من الجماعة، فهو يقتنص الفرصة لكي يطلق العنان لحيوانه. ولهذا السبب يتلهّف الإنسان للحرب كل خمس إلى عشر سنوات، فيلبث منتظراً دوماً على أمل أن يندلع الشغب. فإذا كان هذا الأمر تحت

ذريعة مسلم وهندوسي فلا بأس في ذلك بالنسبة له. وإن لم يكن، فلتكن الحرب بين أية قومية أو أخرى، فهي تناسب غرضه أيضاً. وإذا كان كلا الطرفين غير ناضجين للشغب، فسيرضيه النزاع بين من يتكلّمون اللغة الهندية، وبين الذين يتكلمون بغيرها أيضاً. فهو لا يحتاج سوى إلى ذريعة، بل أية ذريعة، لكي يتحرر الوحش الذي في داخله.

فالحيوان الذي في داخل الإنسان محبط بسبب العبودية المتواصلة، وهو يعوي لكي يخرج. وما لم يتم التغلّب على هذا الوحش والقضاء عليه، فلن يرتقي وعي الإنسان فوق الوحشية أبداً. فطبيعتنا، أو طاقة حياتنا، ليس لديها سوى متنفّس سهل واحد، وهذا المتنفّس هو الجنس. وإغلاق تلك القناة سيخلق المشاكل. إذن قبل إغلاقها علينا أن نُحدثَ منفذاً جديداً بحيث تتحول إلى وجهة جديدة، وهذا أمر ممكن، لكنه لم يحصل إلى الآن لسبب بسيط: وهو أن الكبت أسهل بكثير من التحوّل: ذلك أنه من الأسهل لك أن تغطّي شيئاً، أو تجلس فوقه، من أن تعالجه أو تحوّله.. فالأخير يتطلّب ممارسات روحية أو برنامج ثابت للتأمّل، وبالتالي نختار الكبت الداخلي للجنس، غير مدركين في الوقت ذاته أنه لا يمكن القضاء على أي شيء بالكبت، بل على العكس، فهو يقوّي ردةّ الفعل. إننا ننسى أيضاً أن كبتنا لشيء يزيد من انجذابنا له. وما نكبته لا يصبح مركز وعينا فحسب، بل يغوص في أعماق عقلنا الباطن. فقد نكبته أثناء ساعات الاستيقاظ، لكنه في الليل يومض عبر أحلامنا، فهو ينتظر في الداخل ويتلهّف للانقضاض عند أقل فرصة.

إن الكبت لن يحرر الإنسان من أي شيء؛ بل على العكس سوف تنغرس جذوره في عقله الباطن وبالنتيجة ستقيّده. لقد عقّد الإنسان نفسه في محاولته خنق متنفس الجنس فأصبح مكبّلاً. وبالرغم من أن الحيوانات لديها حدود وفترات لممارسة الجنس، إلا أن الإنسان ليس له حدود أو فترات. فالإنسان جنسيّ في كل ساعة وعلى مدار السنة، في حين لا يوجد في مملكة الحيوانات أي حيوان جنسي إلى هذه الدرجة كالإنسان. فالحيوان له فترة محددة لذلك، لديه موسمٌ محددٌ يأتي ويذهب، فبعد موسم السفاد لا يفكّر الحيوان في الجنس مجدداً. ولكن انظروا لما يحدث للإنسان: إن الشيء الذي يحاول كبته وقمعه، يتزايد طوال فترة حياته مثل بركان دائم الثوران.

فهل لاحظت أنه لا يوجد حيوان يظل في حالة هياج جنسي طوال الوقت غير الإنسان الذي يميل إلى الجنس في كل الأوقات والحالات؟ إن الجنسوية تشتعل في داخله كما لو أن الجنس هو كل شيء في الحياة. فكيف يحدث هذا الشذوذ إذن ؟ كيف حصلت هذه الكارثة؟ ولماذا لم تحدث لأي حيوان؟ في الحقيقة هناك سبب واحد فقط: وهو أن الإنسان بذل قصارى جهده لقمع الجنس، فانفجر بشكل مواز في كل أنحاء شخصيته.

إننا لو فكّرنا بما فعلناه لقمع الجنس، لوجدنا أننا كنا نُظهر عدم المبالاة نحوه، لا بل كنا نحتقره ونشتمه. وكنا نطلق عليه تسمية إثم؛ ونصرخ من أعلى المنابر "الجنس خطيئة". وكنا نعلن أن أولئك المنغمسين في الجنس هم أناس منحطّون وينبغي احتقارهم. وكنا نخترع أسماء كثيرة مهينة للجنس لتبرير قمعنا له. ولكن لم ينتابنا القلق ولو للحظة في أن هذه الانتهاكات والاعتراضات في النهاية سوف تسمم كياننا بأكمله.

ذات مرة أدلى نيتشه بتصريح ذي مغزى كبير قائلاً: إنه بالرغم من أن الدين حاول قتل الجنس من خلال تسميمه، إلا أنه لم يمت، فهو لا يزال حيّاً، لكنه ممتلئ بالسم. وكان من الأفضل لو أنه مات، بيد أنه لم يمت؛ إنه مسموم، لكنه ما يزال على قيد الحياة. فالآلة معطّلة، والجنسوية التي نراها حولنا اليوم هي خلاصة جنس مسموم.

فالجنس موجود في الحيوانات أيضاً لأنه مصدر الحياة، أما الجنسوية فموجودة في الإنسان فقط.

لا توجد جنسوية عند الحيوانات، ولك أن تنظر إلى عيون الحيوان، فلن تجد فيها أية شهوة. لكنك إذا نظرت في عيني الإنسان، فلن ترى شيئاً سوى الشهوة، لن ترى شيئاً سوى رغبة شرهة للجنس، وبالتالي فإن الحيوانات اليوم تبدو جميلة بكيفية ما، أما الإنسان فلا يوجد حد لبشاعته ونتانة رائحته، ذلك المكبوت المجنون.

وكخطوة أولى في تحرير الإنسان من الجنسوية: لابد لكلا الجنسين من الأطفال.. ذكورا وإناثاً .. كما قلت لكم من قبل، من أن يتلقّوا تعليماً في الجنس. وبالإضافة إلى إعطائهم تلك المعرفة يجب إزالة تلك المسافة غير الطبيعية والقبيحة التي بينهم. وفي واقع الأمر يجب تقريبهم من بعضهم

البعض أكثر، فهذا الفصل مخالف للطبيعة بالكامل. لقد أصبح الرجال والنساء أصنافاً مختلفة. وبالنظر إلى الفاصل الذي بينهم، وإلى الحجرات المصطنعة التي تفصل فيما بينهم، فمن الصعب أن نصدّق بأن الرجال والنساء هم من نفس الصنف، وبأنهم جزء من البشرية. فإذا كان الأولاد والبنات أحراراً في تحركهم داخل المنزل وهم عراة كلما رغبوا بذلك، فسوف يتعطّل لديهم برعم الفضول الفاحش وغير الطبيعي الذي ينشأ في وقت لاحق. ونحن أساساً نعرف حق المعرفة كيف أن جهل كل طرف بجسد الآخر يظهَر بوضوح في فضول الأطفال: انظروا كم يحب جميع أطفال الناس المتحضّرين لعبة"الدكتور". إضافة إلى ذلك، أتساءل عما إذا سمعتم عن حركة جديدة بدأت من قبل شريحة من المجتمع الأمريكي كلها تسمى بالمتدينين.

وهؤلاء المتديّنون هدفهم وضع حد لخروج الكلاب والقطط والأحصنة والحيوانات الأخرى من دون ملابس، يريدون إلباسها بالثياب قبل الخروج بها إلى الشوارع. والفكرة التي تكمن خلف ذلك هي أن الأطفال قد يصبحوا فاسدين إذا نظروا إلى الحيوانات العارية. فيا لها من فكرة مضحكة! يشكّلون جمعيات لحظر الحيوانات العارية من الشوارع. فانظروا كم من الأشياء التي قاموا بها لإنقاذ البشرية! وهؤلاء الذين يُسمّون بالمنقذين هم أنفسهم الذين يدمّرون الإنسان. فهل لاحظت كيف هي الحيوانات جميلة ومدهشة حتى وهي من دون ملابس؟ إنها بريئة وواضحة وبسيطة حتى وهي عارية. وأنتم نادرا ما يلفت نظركم أن الحيوانات عارية، ولن تنظروا إلى الحيوانات على أنها عارية إلاّ إذا كنتم تخفون عورتكم في داخلكم، لكن أولئك الخائفين والجبناء سيفعلون أي شيء وكل شيء للتعويض عن خوفهم من العري. إن البشرية تنحطّ يوماً بعد يوم بسبب اختراع هكذا علاجات.

ينبغي للإنسان أن يكون بسيطاً جداً بحيث يستطيع الوقوف عارياً دون ثياب وبريئاً وممتلئاً بالبهجة. لقد تعهّد حكيم مثل مهافير بالظهور عارياً، وبشكل مماثل ينبغي على كل إنسان أن يرتقي ذهنيّاً بحيث يستطيع وفقاً لهذه الذهنية أيضاً أن يقف من دون ملابس. إن من يُسمّون بالمتدّنين يقولون إن "مهافير تخلّص من ملابسه، لقد تخلى عن ارتداء الثياب".

غير أنني أرفض هذا التفسير، لأن وعيه أصبح واضحاً جداً.. بريئاً جداً، ونقياً كنقاء الطفل.. فامتشق كالوردة عارياً ليواجه العالم. وعندما لا يوجد شيء مخفي على الإطلاق، يمكن للمرء عندئذ أن يستلقى عارياً.

فالمرء يغطي نفسه لأنه يشعر بأن هناك شيء ما في الداخل يتطلّب قمعه، ولكن عندما لا يوجد شيء لكي يخفيه، فلن يحتاج حتى للتزوّد بالملابس. وفي الحقيقة، هناك حاجة ماسة إلى نوع من عالَم يكون كل فرد فيه بريئاً جداً ونقي الذهن وهادئاً جداً إلى درجة يكون فيها قادراً على التخلّص من ملابسه.

فأين الجريمة في ذلك؟ وما هو الخطر في التعرّي؟

إنها لمسألة مختلفة أن ترتدي الملابس لأسباب أخرى، أما أن ترتدي الملابس فقط بسبب خوفك من التعري.. فهذا أمر حريّ بالازدراء. إن ارتداء الملابس بسبب الفزع من التعرّي يدل على عريّ أعظم.. على فساد الفكر. بيد أننا اليوم نشعر بالذنب حتى بارتداء الملابس، كما لو أننا غير قادرين إلى الآن على التخلص من عريّنا الداخلي.

يا إلهي! كان من السهل عليك أن تخلق الإنسان بملابس!

وبالمناسبة، أرجوا أن لا تظنوا أني ضد ارتداء الملابس، لكنني لم أتوانى عن القول بأن ارتداء الملابس بسبب الخوف المطبق من العريّ هو أمر لا يستر العورة، بل بالأحرى يكشفها. وهذا الفهم الشاذّ للعريّ هو فهم حقير ومنحطّ، وهذا الوعي قد تم فرضه عبر تقليد اجتماعي طويل الأمد.

غير أنه يمكن أن تظهر عورة المرء وهو يرتدي ثياباً، مثلما يمكن لشخص عار أن يبدو وكأنه مرتديٌ ثيابه. فهل هناك ضرورة للتوسّع في هذه النقطة بعد أن شاهدنا الملابس الحديثة الضيّقة للرجال والنساء على حد سواء؟ فهذه هي نتيجة الرغبة غير المشبعة للنظر بطرف العين إلى الجسد، أو للتعرّي. إذا كان الرجال والنساء قد ألفوا أجساد بعضهم البعض، فلن تخدم الملابس تلقائياً أي غرض آخر سوى حماية الجسد. ولكن للأسف، فإن ملابس هذه الأيام صُمّمت لأجل استثارة الجنسوية.

إلى أين تسير حضارة الإنسان عندما لا تكون الملابس ملابساً إلاّ لتساعد على استثارة الجنسوية؟ ولهذا السبب أدافع عن مسألة السماح للأطفال بأن

يظلّوا عراة حتى عمر معيّن، وينبغي أن يفهموا بأن الحاجة للملابس ترتبط بشيء آخر لا علاقة له بالجنس!

علاوة على ذلك فإن مفهوم العورة هو مفهوم ذاتي. فالتعري بالنسبة لذي العقل البسيط.. ولذي العقل البريء، ليس أمراً مهيناً؛ بل له جماليته. بيد أن الإنسان إلى الآن يتغذّى على السم، وقد انتشر السم تدريجياً مع مرور الزمن من شمال الأرض إلى جنوبها، وبالتالي أصبح موقفنا من العري موقفاً لا ينسجم إطلاقاً مع ما هو طبيعي.

عندما تحدّثت بهذا الأمر في لقائنا الأول، جاءتني سيدة وقالت لي: "أنا منزعجة وغاضبة منك جداً، فالجنس موضوع مشين.. إنه إثم". فلماذا تحدّثت عنه بهذا الإسهاب؟ إنني أحتقر الجنس حقيقةً".

الآن كما ترون، هذه المرأة تحتقر الجنس بالرغم من أنها سيدة متزوّجة، ولديها أولاد وبنات. فكيف يمكن أن تحب زوجها وهو يقودها إلى الجنس؟ وكيف يمكن أن تحب أطفالها الذين ولدوا من الجنس؟ إن موقفها من الحياة قد تخلله السم؛ وحبها سيظل ساماً. وبالتالي من المؤكّد أنّ هناك شرخاً أساسياً وعميقاً بين هذه المرأة وزوجها. وسيكون هناك أيضاً سياج شائك بينها وبين أطفالها، ذلك لأنهم بالنسبة لها ثمار الخطيئة. فالعلاقة بينها وبين زوجها تحكمها الخطيئة؛ وتطاردها عقدة ذنب غير واعية إذ يتعلّق الأمر بالجنس. فهل يستطيع المرء العيش بتوافق مع الخطيئة؟

لقد أفسد الذين يشنّعون بالجنس الحياة الزوجية للناس. وبدلاً من أن يحمل لهم هذا الموقف المعطّل للجنس الخلاص من الشعور بالخطيئة، فقد أحدث أثاراً ضارة للغاية. فالرجل الذي يَلقى حاجزاً غير مرئي بينه وبين زوجته، لن يشعر بالرضا معها وسيفتّش عن نساء أخريات، وسيذهب إلى العاهرات. كان ينبغي أن تكون كل نساء العالم بالنسبة له بمثابة أخوات وأمهات يستقبلهن برضا في منزله. بيد أنه الآن، وبسبب غياب ذلك الرضا، سينظر إلى جميع النساء على أنهن زوجات محتملات، وذلك أمر طبيعي، وكان لابد أن يكون الأمر على هذا النحو، فهو لا يجد سوى السم والاشمئزاز، فيتكلّم عن الخطيئة، في حين كان ينبغي له أن ينعم بالفرح والنشوة والسكينة.

إن حاجاته الأساسية لا يجدها في المنزل، ولهذا يتجول في كل مكان بحثاً عن الإشباع في كل ركن وزاوية. فما الذي لم يخترعه الإنسان لكي يعثر على تلك الحاجات الضرورية! وسوف تُذهلون إذا حاولنا إحصاء كل الأدوات التي توصّلوا إليها.

لقد خرج الإنسان عن المعقول في ابتكاره الكثير من الأشياء والكثير من الخدع، لكنه لم يفكّر بعناية في المشكلة الأساسية أبداً. فتلك التي كانت بُحَيرة حب قد أصبحت الآن مستنقع جنس، والمستنقع مسَموم. وعندما يكون هناك شعور حادّ بالخطيئة.. بالسم؛ وعندما يكون هناك إحساس بالتردد بين الزوج والزوجة، فستقضي نظرة الإحساس بالذنب هذه على أية إمكانية للتطور في عيشهم مع بعضهما بعضاً. وحسب فهمي للأمر، إذا أمكن للزوج والزوجة أن يقدّرا الجنس بشكل متناغم وبحب متفهّم، كلّ منهما تجاه الآخر، وبشعور بالفرح المحض، ومن دون أي إحساس بالكآبة، فعندئذ يمكن لعلاقتهما أن تتحول وترتفّع، بعد هذا ستكون الزوجة نفسها موجودة ولَكن في شكل أمّ!

سمعت ذات مرّة بأن كاستوربا زوجة غاندي ذهبت إلى **سيلون** مع زوجها وأعضاء من حزبه. وأثناء كلمة الترحيب قال المضيف عن زوجة غاندي التي كانت ترافقة وتجلس بجانبه: "نحن محظوظون جداً لتشرّفنا بحضور والدة السيد غاندي". وفي الحال أُسقط في يد سكرتير غاندي لأن الخطأ كان خطأه، فقد كان يتوجب عليه قَبل ذلك أن يُقَدّم أعضاء الحزب لمنظّمي الحفل. ولم يعد بالإمكان تدارك هذا الخطأ. فوقف غاندي أمام المايكروفون وبدأ حديثه. وخشي السكرتير من التعرّض للتوبيخ بعد ذلك من قبل غاندي، لكنه لم يعرف أن غاندي لن يغضب منه أبداً، لأن المرأة القادرة على التحول من زوجة إلى أم، هي امرأة نادرة بالفعل.

فقال غاندي: "إنها لمصادفة سعيدة أن الصديق الذي قدّمني، قد نطق بالحقيقة عن طريق الخطأ. فمنذ سنوات قليلة أصبحت كاستربا أمي بالفعل. لقد كانت زوجتي يوماً ما، أما الآن فهي أمي".

وهذا يمكن أن يحدث معكم أيضاً، فإذا بذل الزوجان القليل من الجهد لتفحّص حياتهما الجنسية معاً، فيمكنهما عندئذٍ أن يصبحا أصدقاءً ويساعد

كل منهما الآخر على تحويل الجنس. وفي اليوم الذي ينجح فيه الزوجان بتحويل الجنس، سيولد بينهما شعور هائل بالامتنان. ولكن في هذه الأيام لا توجد سوى العداوة الغريزية المبطّنة بين الأزواج. ولن تصفى العلاقة بينهما مادام الشجار المتواصل قائماً.

إن الإحساس بالرضا العميق يولد بين الزوجين عندما يساعد كل طرف على خلق الجو المناسب لتحويل الرغبة الجنسية لدى الطرف الآخر. فالصداقة الحقيقية تزدهر عندما يصبحان شريكين في السيطرة على الجنس وتحويله. آنذاك سيطفح الرجل بالاحترام تجاه المرأة لأنها ساعدته على نيل الخلاص من الرغبة، وبدورها ستحمل له كل الامتنان لأنه حررها من الأمر ذاته. وبدءاً من ذلك اليوم سيعيشان في حب حقيقي ومنسجم وليس في الرغبة. تلك هي بداية الرحلة التي يصبح فيها الزوج إلهاً في نظر زوجته، وتصبح الزوجة آلهة في نظر زوجها. بيد أن تلك الإمكانية قد تم إفسادها.

ذكرتُ في السابق أنه من الصعوبة أن تعثروا على شخص أكثر عداوة مني للجنس، وأنا لم أقصد ضمناً شتم أو انتقاد الجنس؛ فقد صرّحت بذلك للتعبير عن قلقي، ولكي أشير إلى مسألة تجاوز الجنس وكيفية تحويل الرغبة. فأنا عدو للجنس: بمعنى أنني أفَضّل تحويل الفحم إلى ألماس، أي أنني أرغب بتحويل الجنس.

فكيف يمكن القيام بهذا؟ وما هو الإجراء الذي سنتّخذه؟

أقول بأنه لابد من فتح باب آخر.. لا بد من فتح باب جديد.

إن الجنس لا يمكن أن يتولّى أمره بنفسه بمجرّد أن يولَدَ طفلٌ، فالجسد يستجمع الطاقة وتزداد الخلايا قوة، وما زال هناك وقت طويل قبل أن يكتمل نمو الجسد. وستعمل الطاقة على تجميع نفسها تدريجيّاً، وبعد ذلك ستدفع الباب الذي أغلق في الأربع عشرة سنة الأولى من العمر.. وهذا هو مدخل الطفل إلى عالم الجنس. وعندما ينفتح بابٌ، فمن الصعب جداً فتحُ باب جديد. وبسبب طبيعة طاقة الحياة، فهي تندفع بكامل حيويتها وطاقتها في الاتجاه الذي فتحته بفعل قوّتها. وحالما يتخذ نهر "الغانج" لنفسه مجرى.. فسيتدفق فيه ويستمر في الجريان في نفس المجرى؛ ولن يبحث كل يوم عن مجرى جديد.

يمكن أن يتدفق الماء العذب بشكل يومي، لكنه يستمرّ في الجريان في القناة نفسها. وبالمثل، فإن طاقة حياة الإنسان تشقّ طريقاً لنفسها ومن ثم تواصل السير فيه. وإذا كان لابد من علاج الإنسان من الجنسوية، فمن المهم جداً أن نخلق فتحة جديدة قبل أن ينفتح باب الجنس، وتلك الفتحة الجديدة هي التأمّل.

إن كل طفل يجب أن يتعلّم التأمّل منذ نعومة أظفاره.. فلابد من إعطائه دروساً في التأمّل. لابد من محو التعاليم الزائفة المعادية للجنس، وتعليمه التأمّل بدلاً منها. فالتأمل باب إيجابي، وهو فتحة راقية، ويجب أن يتم الاختيار بين الجنس أو التأمّل، والتأمل هو الخيار الأسمى.

إذن لا تدينوا الجنس، بل علّموا أطفالكم التأمّل.

إن الوقوف ضد تعليم الأطفال أي شيء عن الجنس سيلفت نظرهم إلى وجوده. وهذا النهج هو في منتهى الخطورة لأنه يؤدّي فيما بعد إلى انحراف نشاطهم الجنسي الذي لم ينضج بعد. علاوة على ذلك، عندما لا يُفتح أي منفذ، وعندما يكون كلا المنفذين مُغلَقين، وعندما تبقى الطاقة محفوظة، إذ ذاك من الممكن أن يُفتَح أيما منفذ.. بيد أن هذا العزف المتواصل على وتر العداء للجنس، يشبه الطرق على باب الجنس. فالنبتة الغضّة يمكن أن تميل إلى أي اتجاه، ويمكن أن تنحني بتواضع من تلقاء نفسها. غير أنها كلّما نمت، كلما أصبحت أصلب، وإذا حاولت ثنيها فسوف تتشوّه، وقد تنكسر. والحالة ذاتها هنا، لأنه من الصعب جداً إنجاز التأمل عندما يصبح الإنسان أكبر سنّاً.

فكبار السن الذين يحاولون التأمل، هم كمن يزرع البذور بعد انقضاء الموسم، بينما يمكن زرع بذور التأمّل في الأطفال بسهولة. أما الرجل فيُبدي، كعادته، اهتمامه بالتأمل في نهاية حياته فقط، إذ يتلهّف للتأمّل بعد أن تنحسر طاقته وبعد أن تجف كل إمكانات التقدّم. آنذاك فقط يسأل عن التأمّل واليوغا. يريد إصلاح نفسه بعد أن طرحه الموت أرضاً، وبعد أن يصبح التحوّل صعباً جداً. فالعجوز الذي أصبحت إحدى قدميه في القبر، يطلب القيام بأي شيء ليفلت منه من خلال التأمّل، وهذا أمر غريب حقاً! لأن الفكرة في منتهى الجنون.

في الحقيقة، لا يمكن أبداً لهذا الكوكب أن يكون في سلام ما لم نبدأ رحلة التأمل في كل عقل فتي، فمن غير المجدي أن نحاول في ذلك مع أناس في نهاية الطريق.. مع أناس في نهاية حياتهم. وحتى لو حاولت معهم فسيتطلب ذلك مجهوداً ضخماً، ولن يكون أيضاً ذا فائدة كبيرة، وكان من الممكن أن يتحقق لو نمت المحاولة في وقت مبكر من الحياة، وعندما لم يكن يتطلّب الكثير من الجهد.

إذن فالخطوة الأولى نحو تحويل الجنس هي البدء بتعليم التأمل للأطفال الصغار.. وذلك لتدريبهم على السكون، والتكتّم على خصوصياتهم، وليتعلّموا كيف يكونوا صامتين، ويفهموا ما هي حالة اللافكر. وبالرغم من أن الأطفال هادئون في الأصل، ومسالمون بالمقارنة مع البالغين، فإذا ما تم توجيههم في الاتجاه الصحيح وتعلّموا ممارسة التكتّم والسكون، ولو لفترة قصيرة كل يوم، فسوف ينفتح باب جديد قبل أن يبلغوا الرابعة عشرة من العمر. حينئذ، عندما يتولّى الجنس زمام أمره بنفسه، وعندما ترتفع مناسيب آبار الطاقة وتكون على وشك أن تطفح، فسوف تنساب من خلال الباب الجديد الذي فُتح من قبل. وسيكونون مدركين أساساً للصفاء والنعيم والفرح، ويكونون قد اختبروا الخلود وانعدام الأنا في التأمّل قبل أن يختبروا الجنس بفترة طويلة. وهذه المعرفة ستحول دون تدفّق طاقتهم في قنوات خاطئة، ومن ثم تحولها إلى المسار الصحيح.

بيد أننا نعلم أطفالنا الاشمئزاز من الجنس بدلاً من أن نعلمهم سكينة التأمل، فنقول لهم: "الجنس خطيئة.. الجنس قذر..". نقول لهم إن الجنس قبيح وسيء، وبأنه جحيم. غير أن الشتم في الحقيقة لا يغير من الأمر شيئاً، بل على العكس، سوف يصبح الأطفال فضوليين، ويرغبون بمعرفة المزيد عن هذا الجحيم، وعن هذا الشيطان.. عن هذا الشيء القذر الذي يجعل آباءهم ومعلّميهم خائفين ومرعوبين. ثم يبحثون في أي مكان وفي كل مكان عن إجابة وهم يتلهّفون لفهم سبب كل هذه الضجة. وخلال فترة قصيرة جداً يعرف الأطفال أن آباءهم أنفسهم منغمسون ليل نهار في الحرفة نفسها التي لا يسمحون لهم بمعرفة أي شيء عنها. والنتيجة التلقائية والفورية لاكتشاف هذه الحقيقة هي الكف عن الإعجاب بآبائهم.

إن التربية الحديثة ليست هي المسؤولة عن نقص احترام الآباء كما يُظَنّ عموماً، بل أن الآباء أنفسهم هم المسؤولون عن ذلك. فسرعان ما يلحظ الأطفال هذا التناقض، ويستنتجون على الفور أن آباءهم منغمسون تماماً في الشيء ذاته الذي يعلمونهم كراهيته.

إن الأطفال يتمتّعون بقوة الملاحظة، فهم يرون أن حياتك في الليل تختلف عن حياتك النهار، وبأن الفرق شاسع مابين ممارساتك ومواعظك: يشاهدون ما يحدث في المنزل. يشاهدون أن الأشياء نفسها التي يسميها الأب: "قذارة" وتسمّيها الأم: "أشياء سيئة"، تجري على قدم وساق في المنزل. إنهم يفهمون ما يحدث، وهذا ما يُفقد احترامهم لأباهم بالكامل لأنهم يستنتجون بأن آباءهم محتالون ومنافقون. ولا بد أن تتذكّروا بأن الأطفال الذين فقدوا إيمانهم بآبائهم لن يكون لديهم أي إيمان بالله. فمن خلال آبائهم يحصل الأطفال على لمحة الأيمان الأولى بالله، فإذا تصدّع هذا الإيمان، فسيكونون ملحدين بالتأكيد عندما يكبرون. ذلك أنهم يحصلون على أول إدراك لله من خلال استقامة آبائهم، فإذا ثبت لهم زيفها فسيكون من الصعب تحويل هؤلاء الأطفال تجاه الله، وسينكسر التآلف بينهم وبين الله لأن آلهتهم الأوائل قد خانوهم.. أي لأن أبائهم أثبتوا أنهم غير شرفاء.

فالأجيال الشابة الجديدة اليوم تنكر وجود الله، وتسخر من فكرة الانعتاق، وتسمّي الدين خدعة، وذلك ليس لأنهم بحثوا وتوصّلوا إلى استنتاج هذا الأمر بأنفسهم، بل بسبب هذه الخيانة من قبل آبائهم، فقد استبعدهم آباؤهم لكي يعيشوا مسرحية هزلية. وهذا الشعور بالخيانة حصل لأن الجنس مُثّل بطريقة خاطئة من قبل الكبار، في حين كان ينبغي أن يوضّح لهم بشكل صريح أن الجنس هو جزء لا يتجزّأ من الحياة، وأننا جميعنا مولودون من هذا الجنس، وذلك الجنس هو جزء من حياتهم أيضاً، فذلك سيساعدهم على فهم سلوك والديهم في منظور مناسب. وعندما يكبرون ويختبرون الحياة بأنفسهم سيمتلئون بالاحترام بسبب مصداقية آبائهم. فالبداية بهذا الصدق وبهذا الاحترام ستضع حجر الأساس للحياة الروحية لدى الطفل. غير أن أطفال اليوم يشككون في مصداقية آباءهم؛ وهذا هو سبب وجود التعارض

الأيديولوجي بين الأجيال الصغيرة والأجيال الكبيرة، فقمع الجنس قد فصل الزوج عن زوجته، وأوغل صدور الأطفال ضد آبائهم.

في الحقيقة، لسنا بحاجة إلى قمع الجنس، فتوضيح الجنس هو حاجة الساعة. وحينما ينضج الأطفال، ينبغي على الآباء أن يضعوا أمامهم الحقائق الأساسية للحياة بأسلوب مستساغ بمجرّد أن يستفسروا عن هذا الأمر، ويجب القيام بهذا قبل أن يصبح الأطفال فضوليين بشكل غير ضروري أو بشكل ضار، وقبل أن يبدأ افتتانهم بالنضوج بشكل غير صحّي والذي يمكن أن يقودهم إلى إرضاء فضولهم في أماكن خاطئة. وإلاّ، فإن الأطفال سيكتشفون ما يودّون معرفته، كما هو الحال اليوم، لكنهم سيكتشفونه من خلال أشخاص سيئين، وتحت ظروف غير سويّة وعبر ممارسات خاطئة. وهذه الطرق ضارّة ومدمرة. وتؤدّي إلى نتائج مؤلمة تعذّبهم طوال حياتهم، وفي النهاية ينشأ جدار من الخجل والتكتّم بين الأولاد وآبائهم.

إن الآباء لا يعرفون أي شيء أبداً عن حياة أبنائهم الجنسية، تماماً مثلما يجهل الأطفال حياة آبائهم الجنسية. فالنفور الذي ينتج عن لعبة "الغمّيضة" هذه، هو بالفعل أمر خطير للغاية. فلابد إذن من تثقيف الأطفال جنسياً بشكل مناسب، ولابد من تقديم الثقافة الصحيحة لهم.

ثانياً: يجب أن يتعلّموا كيفية التأمّل، وكيفية البقاء ساكنين وهادئين وصامتين، ويتعلّموا كيفية الوصول إلى حالة اللافكر. والأطفال يمكنهم إنجاز هذه العملية بشكل سريع جداً. ولابد لكل منزل من إدراج برنامج يساعد الأطفال على المكوث في الصمت، ويمكن تحقيق ذلك بالنسبة لكم كآباء فقط عندما تمارسون الصمت مع أطفالكم. فالمكوث يومياً بصمت لمدة ساعة: يجب أن يكون إلزامياً في كل بيت ومنزل، حتى لو تطلّب الأمر التضحية بوجبة طعام.

في الحقيقة، لابد من التقيّد بساعة من الصمت مهما كان الثمن. فمن الخطأ تسمية المنزل منزلاً، كما لا يمكن حتى أن نسمّي الأسرة أسرةً ما لم تتقيّد بساعة من الصمت يومياً. إن ساعة من الصمت يومياً ستحفظ طاقة الطفل. آنذاك، وفي سن الرابعة عشرة، ستندفع الطاقة مثل موجة البحر أثناء

المد فاتحة باب التأمّل بفعل قوتها حيث يلامس الإنسان الخلود وتتلاشى الأنا، وإلى حيث يلمح الروح، وحيث يلمح العلي.

إن اللقاء بتلك القمة قبل تجربة الجنس يضع حداً للاندفاع المجنون بعد تلك التجربة؛ وستجد الطاقة طريقاً أفضل وأكثر سعادة وبهجة. فأول مرحلة في عملية العزوبة هي تخطّي الجنس، أما الطريقة فهي التأمل.

والقاعدة الثانية هي الحب. إذ ينبغي أن يتعلّم الأطفال الحب منذ نعومة أظفارهم. أما الخوف الشائع من أن تعليم الأطفال الحب سيؤدي بالإنسان إلى متاهات الجنس فلا أساس له. إن تدريس الجنس يمكن أن يؤدي بالإنسان إلى الحب، ولن يجرّه إلى الجنسوية أبداً. فالحقيقة تختلف عن الاعتقاد الشائع، وذلك لأن الطاقة الجنسية تتحول إلى حب.

إن الإنسان قادر على نشر الحب في محيطه بصورة تتناسب طرداً مع الحب الذي ينمو في داخله. وإن أولئك الفارغين من الحب هم أشخاص ممتلئون بالجنس وسيبقون ذوي تفكير جنسي. وكلما قل الحب، كلما ازدادت كراهيتهم؛ وكلما نقص الحب في حياة الإنسان أكثر، كلما ازداد حقداً وكراهية. فأولئك الخالون من الحب، هم أناس يمتلئون غيرة وحسداً بمقدار خلوّهم من الحب. وبالتالي كلما نقصت محبة المرء، كلما عانى من النزاع أكثر. إن قلق البشر وتعاستهم تتناسب طرداً مع نقص الحب في حياتهم. وكلما انغمس المرء في القلق والحسد والغرور والكذب وما شابه، كلما اضمحلّت قدراته وغدا ضعيفاً وواهناً، وسيكون متوتّرا باستمرار. والمخرج الوحيد لهذه المجموعة من المشاعر المنحطّة والغبية والفظّة هو الجنس.

إن الحب هو شعور سلس متدفّق مبدع يحول الطاقات ويحقق الامتلاء.

والتشبّع بالحب هو أكثر عمقاً وأكثر قيمة بكثير من ذلك الذي يتم الحصول عليه من خلال الجنس. فالشخص الذي يعرف الرضا، لن يبحث عن أي بديل أبداً، تماماً كالشخص الذي يكسب الجواهر، فلا يبحث عن الحجارة.

لكن الشخص الممتلئ بالكراهية لن يجد القناعة أبداً. فهو دائم التوتر ويدمّر كل شيء يأتي في طريقه. والتدمير لن يجلب له السعادة؛ بل إن الخلق والإبداع فقط هو الذي يغمر الإنسان بشعور من الرضا. أما الإنسان الممتلئ

بالغيرة والحسد فهو دائماً في حالة عداء ومنافسة. بيد أن وضعاً كهذا لا يمكن أن يجلب الرضا أبداً، إذ لا يعتدي على الآخرين سوى الشخص العدواني.

يمكن تحصيل السعادة بالعطاء فقط، وليس بالأخذ. والاستئثار بكل شيء على مرأى البصر والأخذ عنوة لن يجلب راحة البال أبداً، بل يمكن الحصول عليها بالعطاء والمشاركة المفيدة. والإنسان الطموح الذي يقفز من مكان إلى آخر لا يعيش في حالة سلام أبداً.. أما الذين لا يسعون وراء السلطة أو القوة بل وراء الحب، والذين ينشرون الحُب في كل مكان، هم أشخاص يعيشون في غبطة سامية. فكلما امتلأ الإنسان بالحب، كلما امتلأ بالقناعة العميقة والرضا والفرح والإحساس بالإنجاز الذي سيجده في أعماق قلبه. وهذا الإنسان المتنوّر لن يتضايق من الجنس، ولن يحاول حتى الالتفات إليه، لأن القناعة والنشوة التي سيجدها في الجنس، سيحصل عليها بصورة دائمة من الحُب.

والشعار التالي الذي يقول: "اسع لأن تمتلئ بالمحبة"، يعني أنه ينبغي أن نعشق مبدأ المحبة، وأن نمنح الحب ونعيش فيه. غير أن محبة الآخرين لوحدها ليست بيت القصيد، فلكي نكون مخلصين للحب يعني أن نستكمل ملء شخصيتنا بالحب، وأنا أتحدّث هنا عن تربية متكاملة في المحبة، إذ ينبغي أن نكون قادرين على التقاط حجر كما لو كنا نلتقط صديقاً؛ علينا أن نكون قادرين على مصافحة العدو كما لو كنا نصافح صديقاً.

هناك بعض الأشخاص ممن يتعاملون مع الأشياء المادية بعناية ومحبة، في حين هناك من يتعاملون مع الآخرين بطريقة لا ينبغي أن يتعاملوا بها حتى مع الأشياء التي لا حياة فيها. فالشخص المنغمس في الكراهية ليس أفضل من الأشياء التي لا حياة فيها، لكن الإنسان الذي يطفح بالمحبة يضفي الفرادة على كل شيء يلمسه.

ذات مرة جاء رحّالة مثقّف لرؤية ناسك ذائع الصيت، وكان هذا الشخص منزعجاً لسبب ما، ربما بسبب مصاعب الرحلة، ففك أربطة حذائه بغضب، وقذفه إلى ركن ما، ثم دفع الباب بلكمة ثقيلة.

لقد خلع الرجل حذائه بغضب كما لو أن الحذاء هو أسوأ عدو له، ودفع الباب بعنف كما لو أن هناك عداء كبير بينه وبين الباب. دخل وانحنى احتراماً للناسك. فقال الناسك: "لن أقبل تحيّتك قبل أن تذهب وتعتذر للباب والحذاء".

فسأل الرجل: "ماذا أخطأت بحقك، هل أعتذر للباب؟ وللحذاء أيضاً؟ لماذا؟ هل هم أحياء؟"

أجاب الناسك: "إنك لم تأخذ ذلك بعين الاعتبار عندما أفرغت جام غضبك على الأشياء غير الحيّة. لقد قذفت بالأحذية كما لو أنها مذنبة بشيء ما، وفتحت الباب بتلك الطريقة فبدا وكأنه عدوك. عندما تعترف بفرديتها وذلك بإزاحة غضبك عنها، فعليك أيضاً أن تكون مستعداً لطلب العفو منها. من فضلك اذهب واعتذر منها. وإلا فليس لدي ميل لمتابعة اللقاء معك".

ففكر الرحالة بأنه طالما جاء لمقابلة هذا الناسك الشهير فسيكون من المضحك إنهاء هذه المحادثة بهذا الأمر التافه، فذهب واعتذر من الحذاء بيدين مضمومتين قائلاً. أعتذر عن وقاحتي يا صديقي. ثم قال للباب "إنني آسف، لقد كان من الخطأ أن أدفعك بمثل هذا الغضب".

فيا لها من لحظة حرجة!

وقد كتب هذا الرحالة في مذكّراته أنه شعر في بداية الأمر بسخافة كبيرة، لكنه بعد أن قدم اعتذاره، شعر بشيء جديد ظهر في داخله: لقد شعر بالهدوء والسكينة والسلام. وكان أبعد ما يكون عن تخيّلاته الهمجية أن يشعر المرء بهذا الهدوء وبهذه الرزانة وهذا الفرح من خلال طلب المغفرة من باب وزوج من الأحذية.

بعد أن قدم اعتذاره، دخل وجلس قرب الناسك الذي أخذ يضحك قائلاً: "هذا حسن الآن".

لقد أصبحت متناغماً الآن، ويمكننا التحدّث. فقد أظهرت بعض الحب وتحررت من العبء، وأصبح بإمكاننا أن نتآلف".

إن المبدأ ليس أن تحب البشر وحدهم، بل المبدأ هو امتلاؤك بالمحبة. فالقول إن على المرء أن يحب أمه إنما هو أمر خاطئ، بل هو إساءة فهم

للمحبة. إذا طلب الأب من ابنه بأن يحبه لمجرّد كونه والده، فهي عملية خداع، ذلك لأنه يعطي سبباً للحب. وبالمثل، إذا قالت الأم لابنها بأنه يجب أن يحبها لسبب بسيط: هو أنها أمه، فهذا فرض. إن الحب الذي يرتبط بخيوط اسمها "لأن" و "من أجل ذلك" ليس بحب. فالمحبة يجب أن تكون بلا حافز، ولا ينبغي تعطيلها بأسباب. إن الأم التي تقول لابنها "لقد اعتنيت بك وربيتك، لذلك أحببني"، فهي تعطي سبباً للحب، وهنا ينتهي هذا الحب. وإذا أرغم الطفل على هذا، فقد يُظهرُ مُكرَهاً شيئاً من العاطفة بسبب أنها أمه، بيد أن الهدف من تعليم المحبة ليس إرغام الطفل على التعبير عن محبته لسبب ما، بل خلق بيئة يمتلئ فيها الطفل بالمحبة.

إن نمو الطفل ونمو شخصيته ومستقبله بأكمله يعتمد على تنشئته بطريقة يستطيع من خلالها أن يضمر المحبة لأي شخص أو لأي شيء يصادفه.. سواء كان حجراً أو إنساناً أو زهرة أو حيواناً أو أي شيء. والمغزى من ذلك ليس أن يحب الحيوان أو الزهرة أو أمه أو أي شخص آخر، بل أن يمتلئ الطفل بالمحبة. ولا يعتمد على ذلك مستقبل الطفل فقط، بل مستقبل البشرية بأكملها. إن الاحتمالات الكبيرة لانبعاث الفرح والسعادة في حياة الإنسان تعتمد على مقدار المحبة التي يحملها في داخله. والإنسان المحب يمكن أن يتحرر من الجنسوية أيضاً، غير أننا في الحقيقة لا نمنح المحبة ولسنا متحمّسين لها. فهل تظن أنه يمكن لإنسان أن يحب شخصاً ويكره آخر في الوقت ذاته؟ كلا، فهذا مستحيل. إن الإنسان المحب، حتى عندما يكون وحيداً، يكون ممتلئاً بالمحبة لأن المحبة من طبيعته؛ ولا ترتبط بعلاقتك به. أما الإنسان الغضوب، فهو غضوب حتى لو كان وحده؛ وكذلك الإنسان الممتلئ بالكراهية. راقب هذا الشخص حينما يكون لوحده، سوف تشعر بغضبه رغم أنه قد لا يُظهرَ غضبه لشخص معيّن في ذلك الوقت. فكل كيانه ببساطة يطفح بالكراهية والغضب. وعلى العكس من ذلك، إذا رأيت شخصاً ممتلئاً بالمحبة، فيمكنك أن تشعر بأنه يطفح بالمحبة حتى عندما يكون وحيداً.

إن الأزهار التي تتفتح في الغابة تنشر عبيرها سواء كان هناك شخص يعجب بها أم لا، وسواء مرّ بجانبها شخص أم لا. إن نشر العبير هو من طبيعة الزهرة. فلا تتوهم أن الزهرة تبعث برائحتها من أجلك فقط!

وببساطة ينبغي على الناس أن يمتلئوا بالمحبة، ولا ينبغي أن يعتمد ذلك على "مع من يكون هذا الحب". لكنّ الواقع هو أن المحب يريد من حبيبه أن يحبه هو فقط، دون سواه. فهو يقول: " أحببني لوحدي"، لكنه لا يعلم أن من لا يحب الكل: لا يمكن أن يحب شخصاً واحداً.

تقول الزوجة لزوجها إنه ينبغي أن يحبها هي فقط، وأن لا يُظهرَ أي عاطفة تجاه أي شخص آخر، غير أنها لا تدرك بأن هذا النوع من الحب هو حب زائف وأنها هي التي تسببت في ذلك. فكيف يمكن لزوج لا يمتلئ بالمحبة تجاه أي شخص آخر أن يُضمر الحب لزوجته؟

إن المحبة هي طبيعة الحياة، والمرء لا يمكن أن يكون ممتلئاً بالمحبة تجاه شخص، وخالياً منها تجاه شخص آخر. بيد أن البشرية لا تستطيع أن ترى تلك الحقيقة البسيطة. فالأب يطلب من الطفل أن يحبه، ولكن هل علّمه أن يحب الخادم العجوز الذي في المنزل؟ أليس هو بإنسانٍ أيضاً؟ ربما يكون الخادم عجوزاً، لكنه ربما يكون أيضاً أباً لشخص آخر، ولكن كلا، "إنه مجرّد خادم"، وبالتالي ليست المسألة في أن يحترمه أو يحبه. إن هذا الأب لا يدرك أنه حينما يصبح عجوزاً فسوف يتذمّر عندما لا يُظهر أولاده أي عاطفة تجاهه، وكان بالإمكان أن يتحول أبناءه إلى رجال ممتلئين بالمحبة لو أنهم تعلّموا أن يحبّوا جميع الناس، وعندئذٍ سيحترمون أباهم العجوز أيضاً.

إن الحب ليس علاقة بل حالةٌ فكرية. إنه عنصر أساسي لشخصية الإنسان. ولذلك فإن المرحلة الثانية في تعليم المحبّة هي تعليم الطفل محبة كل شيء. وحتى إذا لم يُعد الطفل كتاباً إلى مكانه بشكل ملائم، فينبغي لفت نظرة إلى حقيقة أنه من غير اللائق أن يعيد ذلك الكتاب بتلك الطريقة. يجب أن تجعله مدركا لنظرة الناس إليه حينما يتعامل مع الكتاب بتلك الطريقة. فإذا تصرّفت بوحشية حتى مع كلبك، فذلك يدلّ على عيب في شخصيتك، وذلك دليل على أنك خالٍ من المحبة، والإنسان الذي يخلو من المحبة ليس بإنسان على الإطلاق.

أتذكّر قصة عن ناسك عاش في كوخ صغير: فذات مرّة، عند منتصف الليل، كانت السماء تمطر بشدة، وكان الناسك وزوجته نائمين. وفجأة قرع الباب: وكان الطارق شخصاً يريد مأوى.

أيقظ الناسك زوجته قائلاً: "شخص ما في الخارج، ربما يكون مسافراً أو ربما كان صديقاً مجهولاً". فهل لاحظت أنه قال، "صديق مجهول"؟ إنك حتى لا تصادق أولئك الذين تعرفهم، وبذلك كان موقفه موقف شخص محب.

وقال الناسك: "هناك صديق مجهول ينتظر في الخارج، من فضلك افتحي الباب".

فقالت زوجته: "لا يوجد مكان، لا يوجد حتى مكان يكفينا نحن الاثنين، فكيف لشخص آخر أن يدخل؟"

فأجاب الناسك: "يا عزيزتي إن هذا ليس قصراً لشخص غني، ولا يمكن أن يصبح أصغر من ذلك، فقصر الغني سيبدو صغير الحجم إذا وصل إليه ضيف واحد، لكن هذا كوخ رجل فقير".

فسألت الزوجة: "وما علاقة هذا الأمر بالغني والفقير؟ الحقيقة الواضحة هي أن هذا الكوخ صغير جداً!"

فقال الناسك: "إذا كان في قلبك متّسع كاف، فستشعرين بأن هذا الكوخ قصر، أما إذا كان قلبك ضيّقاً، فحتى القصر سيبدو صغيراً. من فضلك افتحي الباب. كيف لنا أن نرفض إنساناً أتى إلى بابنا؟ فما زلنا مضطجعين لغاية الآن.

إن ثلاثة أشخاص لا يمكن أن يستلقوا في هذا الكوخ، ولكن على الأقل يمكن لهؤلاء الثلاثة أن يجلسوا، فهناك مكان لشخص آخر إذا جلسنا جميعنا".

وكان لابد للزوجة من أن تفتح الباب، فدخل الرجل وكان مبتلاً جداً، جلسوا جميعاً وبدؤوا بالدردشة.

بعد قليل: أتى شخصان آخران وقرعا الباب.

"يبدو أن شخصاً آخر قد أتى"، فطلب من الضيف الجالس قرب الباب أن يفتحه، فقال الضيف: "هل أفتح الباب ولا يوجد متّسع؟". لقد نسي الرجل ذاته الذي اتخذ من هذا الكوخ مأوى له قبل لحظات قليلة بأنه لولا وجود

المحبّة في الكوخ، ولولا محبة الفقير له، لما وجد له مكاناً. والآن، جاء أناس آخرون جدد، ولا بد من أن تستوعب المحبة أولئك الوافدين.

لكن الرجل قال: "لا ضرورة لفتح الباب، ألا ترى الوضع الصعب الذي نوجد فيه ونحن نجلس القرفصاء؟"

فقال الناسك: "يا عزيزي الضيف، ألم أجد لك مكاناً ؟ لقد سُمح لك بالدخول بسبب وجود المحبة هنا، ولا زالت موجودة، وهي لم تنتهي بك. افتح الباب من فضلك. يمكننا أن نجلس الآن بخلاف بعضنا البعض، وبالتالي سنتجمع سوية. علاوة على ذلك فإن الليل بارد، وهذا سيعطينا الدفء والمتعة لكي نجلس سوية بشكل مريح".

فُتحَ الباب ودخل الوافدين الجدد، وجلسوا جميعاً مع بعضهم البعض، وبدؤوا بالتعارف.

بعد قليل، أتى حمار ونطح الباب برأسه. كان الحمار مبلّلاً، وقد أراد المبيت لليلة.

فطلب الناسك من أحد الذين كانوا محشورين عند الباب بأن يفتح للزائر الجديد قائلاً: "لقد جاء صديق ما جديد".

ألقى الرجل نظرة خاطفة إلى الخارج وقال: "هذا ليس بصديق أو أي شيء يشبه الصديق: إنه مجرّد حمار، ولا ضرورة لأن نفتح الباب".

فقال الناسك: "لعلّك لا تدرك أن الفقراء يُعامَلون كالحيوانات عند أبواب الأغنياء، لكن هذا الكوخ هو كوخ ناسك فقير، ونحن اعتدنا أن نعامل حتى الحيوانات ككائنات بشرية، من فضلك إذن، افتح الباب".

أنَّ الجميع في وقت واحد قائلين: "ولكن المكان...؟"

فقال الناسك: "هناك متّسع من المكان، وبدلاً من الجلوس، يمكننا الوقوف جميعاً، فلا تنزعجوا. إذا اقتضت الضرورة، سأخرج لأفسح لكم مجالاً كافياً"

أفلا يمكن للمحبة أن تفعل هذا أيضاً؟

من الضروري أن نمتلك قلباً يمتلئ بالمحبّة. إن الموقف الودود هو ما ينبغي أن نمتلكه جميعنا. إن الإنسانية تولد عندما يمتلك المرء قلباً محبّاً، وبالقلب المحب يحصل الشعور بالرضا العميق والمبهج. ألم تلاحظ بأنك عندما تُظهر القليل من المحبة لشخص ما، فإن موجة عظيمة من الرضا، بل رعشة هائلة

من الفرح تتغلغل في كامل كيانك؟ ألم تدرك أن أصفى لحظات الرضا هي تلك التي تأتي في لحظات الحب غير المشروط؟

إن المحبة الصافية يمكن أن تبقى حية إذا لم تكن مغشوشة بالشروطن فالحُب المشروط ليس بحب.

ألم تشعر من قَبلُ بالرضا بعد أن ابتسمت لغريب في الشارع؟ ألم تتبعه نسمة سلام؟ ليس هناك حد لموجة الفرح الهادئ الذي ستشعر به عندما ترفع رجلاً سقط على الأرض، وعندما تساند شخصاً تهاوى، وعندما تقدم الأزهار لشخص مريض.. ولكن عندما تفعل ذلك، لا لكونه أبوك أو لأنها أمك. كلا، فقد لا يمت لك هذا الشخص بصلة معيّنة، ولكن أن تقدّم له هدية ببساطة، هو في حد ذاته مكافأة عظيمة لك، لا بل سعادة عظيمة.

يجب أن يطفح داخلك بالمحبة.. تجاه النباتات والبشر، تجاه الغرباء والأجانب، وتجاه أولئك الذين في طريقهم نحو القمر والنجوم. ينبغي أن تتزايد محبّتك على الدوام.

إن إمكانية الجنس في حياة الإنسان تقل كلما ازدادت المحبة في داخله. وإن المحبّة والتأمّل ستفتح ذلك الباب الذي يقود إلى الله. فبالحب والتأمل معاً، تلامس الله، وعندئذ تثمر العزوبة في حياة الإنسان. عندئذ تصعد طاقة الحياة بأكملها عبر ممرٍ جديد، وعندئذ أيضاً لا تتسرب تدريجياً، ولا تتقهقر أبداً. إن الطاقة تصعد إلى الأعلى من داخل المرء؛ تصعد في رحلة نحو السماء. أما في الوقت الحاضر فرحلتنا هي نحو أسفل السافلين. والطاقة بحكم طبيعتها تتدفق باتجاه الأسفل، باتجاه الجنس، لكن العزوبة هي رحلة نحو الأعلى. والمحبة والتأمل هما المكوّنان الأساسيان للعزوبة، وسنتحدّث فيما بعد بما نحققه من خلال العزوبة.

فماذا نكسب من ذلك؟ وإلى أي ارتفاعات تقودنا؟

سأحدثّكم اليوم عن شيئين: الحب والتأمل. لقد قلت إن التدرّب يجب أن يبدأ من مرحلة الطفولة، ولكن لا ينبغي أن تستنتج من هذا أنه نظراً لأنك لم تعد طفلاً، وبالتالي لم يبق لك شيء تفعله. وفي تلك الحالة ستذهب كل مساعيّ سدىً. فمهما كان عمرك، يمكنك البدء بهذا العمل الجيد في أي يوم

من حياتك. وبالرغم من أن الأمر يصبح أصعب مع تقدم العمر، إلا أنك تستطيع البدء في هذه الرحلة في أي وقت من حياتك. من الأفضل أن تبدأ في مرحلة الطفولة، ولكن مع هذا يمكنك البد في أي مرحلة من حياتك، ويمكنك أن تبدأ اليوم. والأشخاص الأكبر سناً والراغبين بالتعلّم، والذين لديهم استعداد للتعلّم: هم أطفال حتى لو كانوا كباراً في السن، وهم أيضاً يمكنهم أن يبدؤوا من جديد، ويمكنهم أن يتعلّموا؛ هذا إذا لم يعتبروا أنفسهم يعرفون كل شيء أو أنهم حققوا بالفعل كل ما يرغبون به.

كان لبوذا تلميذٌ مكرّسٌ منذ سنين عديدة، وذات يوم سأله بوذا: "أيها الراهب كم عمرك؟"

أجاب الراهب: "خمس سنوات"

فدهش بوذا وقال: "خمس سنوات؟ إنك تبدو في السبعين على الأقل. فأي جواب هذا؟"

أجاب الراهب: "أقول هذا لأن شعاع التأمل دخل حياتي منذ خمس سنوات مضت، فالحب قد غمر حياتي في السنين الخمسة الماضية فقط. أما قبل ذلك فقد كانت حياتي مثل حلم؛ في الحقيقة كنت نائماً. وعندما أحسب عمري، فأنا لا أحسب تلك السنين، إذ كيف لي أن أفعل هذا؟ لقد بدأت حياتي الحقيقية منذ خمس سنوات فقط، وعمري الآن هو خمس سنوات فقط".

فطلب بوذا من كل تلامذته أن يدونوا بشكل جيد إجابة هذا الراهب.

ينبغي أن تحسب سنين عمرك بهذه الطريقة، فهذا هو المعيار في احتساب العمر. إذا لم يولد الحب والتأمل في داخلك بعد: فإن حياتك لغاية الآن هي حياة عدم، ولا وجود لها، إذ أنك لم تولد بعد. بيد أنه لم يفت الأوان لدرجة أنك لا تستطيع البدء من جديد، علينا جميعاً أن نكافح لأجل حياة أرقى، ولهذا لم يفت الأوان بعد.

إذن لا تستنتجوا من كلماتي (يخاطب تلامذته)، أن هذا الكلام ينطبق على أجيال المستقبل فقط ولأنكم تجاوزتم مرحلة الطفولة، فلا وجود حتى الآن لشخص سار في طريق خاطئة، ولا يستطيع العودة إلى جادّة الصواب. لا

يوجد إنسان منفلت جداً إلى درجة لا يمكنه فيها أن يستفيد من النور الحقيقي.

وعلى سبيل المقارنة فإن هذه الرحلة لا تتطلب الكثير من السعي، فعائدات النجاح والرضا، عند حصول الاستنارة، تفوق كثيراً أي جهد تبذله. وإن مجرّد لمحة لذلك الشعاع النوراني، لتلك البهجة ولتلك الحقيقة، تمنحنا شعوراً بأننا حققنا الكثير بذلك المجهود الصغير؛ وتظهر لنا أننا أحرزنا أشياء ثمينة بالفعل مقابل جهد تافه جداً.

فمن فضلكم لا تفهموا كلماتي بشكل خاطئ، وهذا هو طلبي المتواضع منكم جميعاً.

الفصل الرابع

لا حاجة لإنجاب هذا النوع من البشرية

في مدرسة قرية صغيرة، كان المدرّس يروي للأطفال قصة راما، وكان جميع الطلاب تقريباً ينعسون، وهذا الحدث لم يكن غريباً عندما تسرد قصة الرامايانا، فحتى البالغون ينتابهم النعاس في مثل هذه الأوقات، فالقصة التي ألقيت وأعيد إلقاءها مرات كثيرة: قد فقدت مغزاها، كما أن عنصر التشويق لا وجود له. فقد سرد المدرّس القصة بشكل ميكانيكي، وليس هناك حتى القليل من الارتجال أثناء فتحه للكتاب الذي أمامه، لا بل حتى الدخيل على الدرس بإمكانه رؤية المدرّس وهو يغفو أيضاً. لقد حفظ القصة عن ظهر قلب، وهو يسرد الأحداث كالببغاء. لم يكن مدركاً أبداً لما كان يقوله، والشخص الذي يحفظ الشيء عن ظهر قلب لا يمكن أن يعرف أبداً معنى ما يتلفظ به.

ثم فجأة حصل هياج في الصف: دخل المفتّش، وأصبح التلاميذ في حالة انتباه، وكذلك المدرّس، ثم تابع إلقاء الدرس.

فقال المفتّش: "إنني سعيد لرؤيتكم تدرسون الرامايانا، وسوف أسأل التلاميذ سؤالاً عن رامايانا". ومن المفترض أن يتذكّر التلاميذ بسهولة قصص الأشياء المكسورة، والمعارك وما إلى ذلك، فسأل المفتش التلاميذ سؤالاً بسيطاً: "أخبروني من الذي كسر قوس شانكارا؟"

فرفع أحد التلاميذ يده وقال: "المعذرة يا سيّدي، لم أكسر القوس. فقد كنت غائباً لمدة خمسة عشر يوماً، ولا أعرف أيضاً من الذي كسره، وأريد أن أوضّح هذا الأمر الآن، لأنه كلما حدث شيء في هذه المدرسة: أكون أول من يلام على ذلك".

نزل هذا الكلام على رأس المفتش مثل الصاعقة، وتحوّل إلى المدرّس الذي كان على وشك أن يرفع عصاه، وسمعه يقول: "هذا المؤذي هو الجاني بالتأكيد، فهو أسوأ تلميذ من بين كل التلاميذ". ثم صرخ في الولد قائلاً: "إذا

لم تكن قد فعلت ذلك، فلماذا أفقت من غفوتك وقلت بأنك لم تفعلها؟" ثم التفت إلى المفتّش قائلاً: "إياك أن يخدعك هذا الولد بكلامه المعسول!"

فكّر المفتش: أنه من الأفضل عدم قول أي شيء، فاستدار وترك الصف ببساطة. لكنه كان غاضباً، فذهب مباشرة إلى مكتب مدير المدرسة لكي يروي له الحادثة بالكامل، وطلب أن يعرف ما اعتزم المدير فعله بهذا الشأن.

فألحّ المدير على المفتّش بأن لا يلاحق المسألة أكثر من اللازم، وشرح له بأنه من الخطير قول أي شيء للتلاميذ هذه الأيام: "لا يهم من الذي كسر القوس"، قال المدير، "أرجو أن تتجاهل الأمر. لقد كان هناك سلام في المدرسة في الشهرين الماضيين، أما قبل ذلك، فقد حطّم التلاميذ الكثير من الأثاث وأحرقوه، ومن الأفضل المحافظة على الهدوء، لأن قول أي شيء لهم هذه الأيام سيحرضهم على إحداث مشكلة خطيرة، وسيكون هناك في أي لحظة إضراب وصوم حتى الموت!"

صُعِقَ المفتّش، وكان في حالة ذهول تام، فذهب إلى مجلس إدارة المدرسة وأخبرهم بكل ما حدث.. أخبرهم كيف أن قصة الرامايانا كانت تُدَرّسُ في الصف، وبأن ولداً قال بأنه لم يكسر قوس شانكارا، وروى لهم ما قاله المدرّس بأن ذلك الولد لا بد وأن يكون هو الجاني، وكيف توسّل إليه المدير كي يتجاهل الأمر، وأنه لا يهم من الذي كسر القوس، وهو يقول أنه من غير الحكمة ملاحقة هذا الأمر، وأن هناك خوف كبير من الإضراب، والخ.. الخ. وطلب المفتش من رئيس مجلس الإدارة مقابلته.

فقال الرئيس إنه شعر أن الناظر كان ذكياً في سياسته. "علاوة على ذلك"، أضاف الرئيس: " لا تنزعج من الجاني، فلا يهم من كسر القوس، لأن اللجنة ستقوم بإصلاحه، فمن الأفضل إصلاحه على أن نتعمق في البحث عن السبب".

أما المفتش الذي كان مشمئزاً بالكامل من الوضع، فقد نقل لي ما حصل معه. فقلت له إنه لم يكن هناك شيئاً جديداً أساساً في قصّته، وإنه لعيب إنساني شائع أن نتفاخر بأشياء لا نعرف أي شيء عنها مطلقاً، فلا أحد يتذكر الجزء الذي يتحدث عن كسر قوس شانكارا. ألم يكن من الأفضل لو سأل من هو شانكارا؟ لكن الحقيقة هي أن لا أحد مستعدٌ للاعتراف بجهله،

ولا أحد يتجرأ على ذلك. وهذا أكبر مأزق في تاريخ البشرية. وهذا الضعف دليل على الانتحار، فنحن نتصرّف كما لو أننا نعرف كل شيء، وبالنتيجة تتشوش حياتنا. إن كل أجوبتنا على جميع مشاكل حياتنا تشبه تلك الأجوبة التي أعطاها الولد، والتي أعطاها المدرّس، والناظر، ورئيس مجلس إدارة المدرسة. إن محاولة الإجابة من دون فهم السؤال تجعل الإنسان أحمق. وهذا خداع ذاتي محض. إضافة إلى ذلك، هناك حالة من عدم المبالاة، فهو سيسأل بلامبالاة: "هل سيحل علينا غضب جهنّم إذا لم نعرف من كسر قوس شانكارا؟"

بيد أنه على نقيض هذه الحكاية السخيفة، هناك ألغاز أكثر عمقاً في الحياة؛ وعلى حلها المناسب يعتمد ما أذا كانت الحياة جديرة بالاحترام أم لا، وما إذا كانت الحياة متناغمة، وتسير في المنحى الصحيح للتقدم أم لا، وهكذا دواليك.

نظن أننا نعرف الأجوبة، لكن النتائج تُظهرُ كم أن إدراكنا لحقيقة الحياة هو غير دقيق بالفعل، ذلك أن حياة كل واحد منا تُظهر أننا لا نعرف مطلقاً أي شيء عن الحياة، وإلاّ لماذا يوجد الكثير من اليأس، والكثير من البؤس، والكثير من القلق؟

والشيء ذاته أقوله فيما يتعلّق بمعرفتنا عن الجنس. إننا لا نعرف أي شيء عنه. وربما لا توافقني على هذا الرأي، وربما توافقني وتقول: "من الجائز جداً أننا لا نعرف أي شيء عن الروح وعن الله، ولكن كيف تقول إننا لا نعرف شيئاً عن الجنس؟" ومن المحتمل أن تجيب: بأن لديك زوجة وأطفال. ومع ذلك أتجرأ وأقول: إنك لا تعرف شيئاً عن الجنس، على الرغم من أنه قد يكون من الصعب عليك أن توافقني على ما أقول. ربما مررتَ بتجارب جنسية، لكنك لا تعرف عن الجنس أكثر مما يعرفه الحيوان، لأن القيام بعملية ما بصورة ميكانيكية ليس كافياً لمعرفتها. والمرء قد يقود سيارته ألف ميل، لكن ذلك لا يعني بالضرورة أنه يعرف أي شيء عن المحرّك، وربما يسخر من كلامي ويقول: إنه قاد السيارة ألف ميل، غير أنني لا أزال أجازف باتهامه بأنه لا يعرف شيئاً عن السيارة. أكرر: إن قيادة السيارة أمر يختلف

عن معرفة آليتها الداخلية، فهو يضغط المفتاح فيشعل الضوء، ثم يضغط مجدداً فينطفئ، وقد فعل ذلك آلاف المرات.

يمكنه القول: إنه يعرف كل شيء عن الكهرباء، وذلك لأنه يستطيع تشغيل الضوء أو إطفاءه حسب رغبته؛ وسنقول: إنه أحمق، لأنه حتى الطفل يمكنه تشغيله وإطفاءه، فذلك لا يتطلّب معرفة بالكهرباء.

إذن، أي شخص يمكنه أن يتزوّج، وأي شخص يمكنه إنجاب الأولاد، وهذا لا علاقة له بفهم الجنس. فالحيوانات تتكاثر، لكن ذلك لا يعني أنها تعرف شيئاً عن الجنس. وحقيقة الأمر هو أن الجنس لم يُدرَّس بشكل علمي، ولم ينشأ علم، أو فلسفة للجنس لأن كل إنسان يعتقد أنه يعرف عن الجنس. وفي الحقيقة، لم يسبق لأحد أن شعر بالحاجة إلى وجود كتاب مقّدس عن الجنس، وهذا خطأ فادح ارتكبته البشرية.

عندما يأتي اليوم الذي نضع فيه كتاباً مقدّساً، أو علماً، أو نظام تفكير كامل عن الجنس، فسوف نولّد جنساً بشرياً جديداً، وعندئذٍ لن يكون هناك إنجاب لمثل هذه الكائنات البشرية البشعة والضعيفة والعرجاء، ولن نعود نراها على هذه الأرض.

لا ضرورة على الإطلاق للاستمرار في إنجاب هذا النوع من الجيل الحالي: هذا الجيل المولود من الإثم والخطيئة. لكننا غير مدركين لهذا، فنحن نسير على عادة تشغيل وإطفاء الضوء، ومن ثم نخلص إلى أننا نعرف كل شيء عن الكهرباء، وحتى في نهاية حياة المرء: لا يتوصل إلى معرفة ما هو الجنس، لأنه لا يعرف سوى "تشغيل" و "إطفاء" الكبسة.. ولا شيء آخر.

إننا لم نذهب عميقاً في موضوع الجنس أبداً، ولم نعكف أبداً على دراسة الممارسة الجنسية، ولم نحاول الوصول أبداً إلى زر تشغيلها وإطفاءها، كما لم نتأمل فيها مطلقاً.. وذلك بسبب وهمٍ أننا نعرف كل ما يجب علينا معرفته.

عندما يكون الجميع عارفين بكل شيء، فما الحاجة إذن لدراسة الموضوع؟ وعلى النمط ذاته، أود أن أقول لكم بأنه لا يوجد سر أو موضوع في هذا العالم، أو في الحياة بحد ذاتها، أعمق من موضوع الجنس. لقد تعلّمنا شيئاً في الآونة الأخيرة عن الذرّة، ومَرّ العالم بتغيّرات هائلة، ولكن حينما ننجح في معرفة "ذرّة" الجنس بالكامل، فسوف تدخل البشرية في عصر جديد من

الحكمة. وفي الحقيقة يستحيل التنبّؤ بأهمية وعَظَمَة ما يمكن أن نصل إليه من رقي عندما ندرك عملية، وطريقة خلق الحياة. بيد أن هناك شيء واحد يمكن قوله على وجه التأكيد: إن الجنس هو الأكثر غموضاً والأكثر عمقاً والأكثر قيمة، وفي الوقت نفسه، هو الموضوع الأكثر لعنة عندما نكون في ظلمة حالكة بشأن معرفته؛ ونحن لم نول هذه الظاهرة الهامة أي اهتمام، فالإنسان يمضي في روتين الجماع طوال حياته، ولكن دون أن يعرف ماهيته.

عندما تحدّثت في البداية عن تلاشي الأنا، وعن حالة اللافكر، فإن الكثير من الأصدقاء لم يقتنعوا بهذا، ولكن بعد ذلك قال لي أحدهم: "إنني لم أفكّر بذلك من قبل، ولكن ما تقوله قد حدث. ثم جاءت سيدة وقالت لي: "لم أدرك هذا على الإطلاق، ولكن عندما تحدثتَ عن هذا الأمر، تذكرتُ بأن عقلي يصبح ساكناً ومكتفياً، ولكنني لم أشعر مطلقاً بتلاشي الأنا، أو بأية تجارب عميقة". في الحقيقة من الجائز أن الكثيرين لم يفكّروا بهذا من قبل، وبالتالي دعونا نتوسّع في بضعة نقاط.

ففي المقام الأول: لا يولد الإنسان بمعرفة مسبقة في علم الجنس، ونادرون هم الأشخاص، الذين يحتفظون بانطباعات عن العديد من حيواتهم السابقة، والقادرون على فهم فن الجنس بشكل كامل، وفهم استراتيجية الجنس ومعرفة تعقيداته. وهذه هي الأرواح التي يمكنها تحقيق مرحلة العزوبة الحقيقية. فالشخص الذي يعرف بشكل كامل حقيقة الجنس، والمعنى المتضمن في الجنس، يصبح الجنس بالنسبة له عديم الفائدة، ويمر به ببساطة ويتجاوزه. بيد أنه ليس من عادتنا أن نناقش الجنس مع هؤلاء الذين حققوا أساساً عملية التجاوز.

إلى جانب هذا، فإن هؤلاء الذين حققوا نقاء العزوبة، يتحدثون بالكاد عن ولاداتهم وحيواتهم السابقة.

فوحده العازب المثالي من يستطيع البوح بالحقيقة الكاملة للجنس والألوهة. لأن المنغمسين في الشهوات الحسّية لا يدركون أي لطافة. وبسبب جهلهم، فقد انغمست حيواتهم في الجنسوية حتى النهاية. وكما قلت سابقاً فإن الحيوانات لديها مواقيت محددة للتناسل؛ لديها فصول للتكاثر. الحيوانات تلبث في انتظار المَيل، في انتظار النزوة، لكن الإنسان ليس لديه أي

وقت محدد لهذا الأمر. لماذا؟ لأن الحيوان، بخلاف الإنسان، يتواجد في أعمق طبقة من الجنس.

إن الذين بحثوا في الجنس، والذين مضوا عميقاً في فهمه، وتأمّلوا في تجارب الحياة المتنوعة، استنتجوا أنه إذا استمر الجماع لمدّة دقيقة واحدة فقط، فإن المرء سيرغب في الجماع مجدداً في اليوم التالي، ولكن إذا طالت المدّة لثلاث دقائق فسوف لن يفكّر بالجنس لمدّة أسبوع.

وقد لاحظوا بالإضافة إلى ذلك، بأنه إذا أمكن إطالة الجنس لسبعة دقائق، فسيتحرر من التفكير بالجنس لمدة ثلاثة أشهر قادمة. وإذا أمكن أن يطيل مدة الممارسة إلى ثلاث ساعات، فسيتحرر الإنسان من الجنس إلى الأبد، ولن يرغب فيه أبداً!

غير أن تجربة الإنسان عموماً تكون لمدة قصيرة، ومن الصعب حتى تخيّل فترة ثلاث ساعات من الممارسة الجنسية. ومع ذلك، أكرر: إذا أمكن للإنسان أن يبقى في وضع الجماع، أي يظل في ذلك السامادهي، وفي ذلك الانغماس لمدّة ثلاث ساعات، فإن مرة واحد فقط من تلك الممارسة تكفي لأن يتحرر من الجنس لبقية حياته، لأنها تخلف وراءها مقداراً كبيراً من الرضا والسعادة التي تستمر طوال العمر. فبعد عملية جماع مثالية: لا يعود هناك حاجز أمام تحقيق عزوبة حقيقية.

لكننا حتى بعد عمر من تجربة الجنس، لا نقترب من أي نقطة من مرحلة الألوهة، ومن مرحلة القداسة. لماذا؟ لأن الإنسان يصل إلى سن طاعنة، وإلى نهاية حياته وهو غير خال أبداً من الرغبة الجنسية ومن عاطفة الجماع. لماذا؟ لأنه لم يفهم أبداً، ولم يخبره أحد شيئاً عن فن الجنس، وعن علم الجنس. لم يَدرُسه مطلقاً ولم يناقشه مع شخص مستنير.

ربما تكون متشككاً في أن التجربة التي عادةً ما تكون لمدة لحظة، يمكن إطالتها لثلاث ساعات، لذلك سأقدم لك بضعة نصائح. فإذا احترمتها: ستصبح الرحلة إلى العزوبة أبسط.

كلما كان تنفس الشخص أسرع، كلما كانت مدة الجماع أقصر؛ وكلما كان تنفسه أهدأ وأبطأ، كلما كانت فترة الجماع أطول. وكلما كانت فترة الجماع أطول، كلما ازدادت الإمكانية في جعل الجنس مدخلاً إلى السمادهي، وفي

الوصول إلى الوعي الفائق. وكما قلت سابقاً، فإن تحقيق تلاشي الأنا، وتلاشي الزمن، سيحصل للشخص الذي يكون في سامادهي الجنس ذاك. لذا يجب أن يكون التنفس بطيئاً جداً، لأن بطء التنفس سيفتح أفاقاً أعمق وأعمق للفهم.

كما ينبغي أن تتذكّر شيئاً آخر أثناء عملية الجماع: وهو أن انتباهك يجب أن يتركّز بين العينين، في تشاكرا أجنا أي تشاكرا الجبين. فإذا تركّز الانتباه في تلك النقطة، فإن مدة الجماع يمكن أن تطول حتى إلى أكثر من ثلاث ساعات، وهذا النوع من الجماع يمكن أن يغرس الإنسان في تربة العزوبة بإحكام.. ليس فقط لهذه الحياة، بل للحياة التالية أيضاً. لقد كتبت لي سيّدة تقول بأن فينوبا[1] كان عازباً، وهي تسأل عما إذا كنت أوافقها الرأي في أنه ربما لم يختبر حالة السامادهي أبداً. ثم تتابع قائلة: إنه نظراً لكوني شخصاً عازباً وغير متزوج، فلم أختبر أنا أيضاً حالة السامادهي.

بيد أني أرغب بالقول لتلك السيدة: إنه لا فينوبا، ولا أنا، ولا أي شخص يمكن أن يدرك معنى العزوبة من دون تجربة جنس حقيقية. وأريد أن أقول لها أيضاً: إن هذه التجربة قد تكون في هذه الحياة أو في حياة سابقة، والشخص الذي يحقق العزوبة في هذه الحياة، يُعزى أمره إلى حصول اتحاد جنسي عميق في حياة سابقة، وليس إلى أي شيء آخر، وهذا هو التفسير الوحيد. فإذا كان الإنسان قد حصل على اختبار جنسي عميق في حياة سابقة، فسيولد شخصاً متحرراً من الجنس في هذه الحياة؛ ولن يشوشه الجنس، حتى في خياله؛ بل على العكس من ذلك، سيفاجأ بالآخرين بسبب

[1] فينوبا: Shri Vinoba Bhave (1859-1982) الوريث الروحي للماهاتما غاندي، يطلق عليه لقب Acharya وتعني في السنسكريتية معلّم. ينحدر من عائلة تقية. ألهم بقراءته البهاكافاد جيتا في سن مبكّرة جداً وهي إحدى الكتب المقدسة الهندية. ارتبط بالماهاتما غاندي في كفاحه لأجل استقلال الهند وفي عام 1932 زج به في السجن من قبل السلطات الاستعمارية البريطانية في الهند. جال الهند ينشر مبدأ الاعنف والرحمة في الناس ويدعو الأغنياء منهم لكي يتقاسموا أراضيهم مع الفقراء. (المترجم)

السلوك الذي ينتهجونه حيال الجنس: سيكون مذهولاً من جنون الناس لأجل الجنس، وهذا الشخص سوف يبذل جهداً كبيراً ليميّز بين الرجل والمرأة.

فإذا تخيل المرء بأنه يستطيع ببساطة أن يكون عازباً منذ طفولته، وبأنه يستطيع أن يكون عازباً من دون أي تجربة جنسية، فسيصبح شخصاً مريضاً بالعصاب. وأولئك الذين يعزفون دائماً على وتر العزوبة، ويصرخون بأعلى صوتهم لأجل التقيّد بالعزوبة، يتسببون في تحطيم الإنسان، ولا يوجد شيء أكثر تحطيماً للإنسان من هذا. إن العزوبة لا يمكن أن تُفرَضَ عنوة، بل تأتي كنتيجة لتجربة داخلية. فعزوبة **براهماتشاريا** هي نتيجة لتجربة عميقة وهادئة.. وتلك التجربة ما هي إلا الجنس. فإذا حصل الإنسان أثناء الجنس على إلهام مطلق، ولو لمرة واحدة، فسينعتق من أسر الجنس لأجل رحلة حياة لا نهاية لها.

لقد تناولت لغاية الآن عاملين للحصول على تجربة جنسية مطلقة: فالتنفس يجب أن يكون ضحلاً جداً بحيث يكون غير موجود تقريباً، والعامل الثاني هو التركيز على شاكرا الجبين، أي على النقطة التي تقع مابين العينين.

وكلما تركّز وعي الشخص أكثر على النقطة ما بين العينين، كلما أصبح جماعه عميقاً بشكل تلقائي. ومدة الجماع تتناسب طرداً مع بطء التنفّس. بعد ذلك ستدرك للوهلة الأولى أن الانجذاب ليس للجماع بحد ذاته؛ بل بسبب القوة المغناطيسية الجاذبة التي للسمادهي. فإذا أمكنك أن تصعد إلى تلك المرتفعات، وإذا أمكنك أن تلمح ذلك التألق، فسوف يضيء طريقك المستقبلي.

منذ زمن طويل والإنسان يستلقي في مكان قذر ومعتم، مكان مشبع بالروائح القذرة. وجدران متصدّعة ومتّسخة. بعد ذلك يستيقظ ويفتح نافذة، فيمكنه رؤية الشمس المضيئة في السماء، ومشاهدة الطيور وهي تحلّق بحريّة في السماء. الآن، وبعد أن توصل الإنسان فجأة إلى معرفة السماء الشاسعة، ومعرفة الشمس والقمر، وكيفية تحليق الطيور، ومشاهدة تمايل الأشجار، وتنشق أريج الزهور، هذا الإنسان لن يمكث بعد ذلك في القذارة والفساد والأمكنة المظلمة ولو للحظة.. وسيندفع إلى الخارج تحت السماء الممتدة.

فالإنسان الذي حصل على لمحة من السمادهي في الجنس، مهما كانت عابرة، سيعرف على الفور الفرق بين الداخل والخارج، بين الحرية والسجن. لكننا بطريقة ما، ولدنا جميعاً في حجرات ضيقة، قذرة ومظلمة، ومن الضروري أن ندرك بأن العالم الخارجي موجود، وهذه المعرفة تلهمنا في النهاية لكي نطير إلى الخارج. لكن الشخص الذي لا يفتح النافذة، ويجلس في ركن قائلاً إنه لا يريد أن يعرف شيئاً عن البيت القذر، ولا يمكنه أن يغير من وضعه قيد أنملة، وسيبقى في البيت القذر إلى الأبد.

إن من يدّعي العزوبة هو شخص مسجون في حجرة الجنس مثل أي شخص آخر. والفرق الوحيد بينه وبينكم (الكلام هنا موجه لتلامذته الحاضرين) هو أن لديه موقفاً منغلقاً، في حين أن عيونكم مفتوحة. وما تفعلونه جسدياً يفعله هو عقلياً. علاوة على هذا، فإن الفعل الجسدي هو فعل طبيعي، لكن التخيلات البديلة للفعل الجسدي هي الفساد بعينه. لذلك أحثكم على ألا تكونوا ضد الجنس، بل أن تحاولوا فهمه، وامنحوا الجنس وضعاً مقدّساً في حياتكم.

لقد ناقشنا إلى الآن شيئين مهمّين. أما الشيء المهم الثالث الذي يجب أن تتذكروه فهو نظرتكم للجنس. لأننا أثناء الجماع نكون قريبين من الله، فالله يتواجد في فعل الخلق الذي يبعث حياة جديدة، وبالتالي فإن موقف المرء يجب أن يكون كمن يذهب إلى معبد أو كنيسة. ففي ذروة النشوة، نكون أقرب إلى الله، ونصبح أدوات تنقل حياة جديدة إلى الوجود، فنخلق طفلاً.

كيف؟

في لحظات الجماع نكون أقرب إلى الخالق ذاته، فظلّه يحولنا إلى صنّاع أيضاً. وإذا نظرنا إلى الجنس بعقلية نقية وباحترام، فسنحصل على لمحة للخالق.

لكننا مع الأسف، ننظر إلى الجنس نظرة لا مبالية، وبشعور بالذنب، ونخفق في الإحساس بوجود الخالق المبدع.

وفي الحقيقة لا ينبغي أن يقترب المرء من الجنس عندما يكون متألماً، أو مغتاظاً، أو بدافع الغيرة أو السخط؛ عليه ألا يقترب من الجنس وهو ممتلئ بالهموم أو في جو غير طاهر.

بيد أن التصرف المعتاد هو العكس من ذلك، فكلما امتلأ الشخص بالغضب أو الإحباط أو القلق أو اليأس، كلما تحوّل إلى الجنس. فالشخص السعيد لا يجري وراء الجنس، ومن يفعل ذلك هو الإنسان الحزين، لأنه يرى فيه مهرباً مثالياً من تعاسته. ولكن تذكّر، إذا اقتربتَ من الجنس بدافع المرارة أو الهياج أو الإدانة أو بدافع الكآبة، فلن تحصل أبداً على ذلك الرضا وذلك الإدراك الذي تتعطش له روحك بالكامل.

إنني أشجعك على الاقتراب من الجنس عندما تكون مبتهجاً، وعندما تكون ممتلئاً بالحب، وأخيراً وليس آخراً، عندما تكون في حالة من التقوى.. وعندما تشعر بأن قلبك ممتلئ بالفرح والسلام والامتنان، عندئذ فقط ينبغي أن تفكّر بالجماع. والإنسان الذي يقترب من الجماع على هذا النحو يمكن أن يحقق التسامي والإدراك النهائي، وحتى مرة واحدة تكفي لكي يتحرر المرء من الجنس إلى الأبد. إنه من خلال تجربة واحدة تستطيع أن تخترق الحاجز وتدخل دائرة السمادهي.

إن الطفل الذي ينبثق من رحم أمه يكون في محنة كبيرة، فذلك يشبه اقتلاع شجرة من التربة، فكل كيانها يتوق للعودة إلى الأرض، لأن ارتباطها بالأرض يعني حياتها، وحيويتها، وغذاءها. فقد اقتلعت.. وهي تصرخ كي تعود، لأنها الآن مفصولة عن خط الحياة. والطفل يُقتَلعُ من عالمه حينما يخرج من رحم أمه، فروحه وكيانه بأكمله يرغب بالاتحاد مجدداً مع الأم.. مع المصدر. وهذا التوق هو التعطش للحب. فأي شيء نعني بكلمة حب غير ذلك؟

إن جميع البشر يريدون الانغماس في منح الحب، والحصول عليه، فكل شخص يريد الاتحاد مجدداً مع مجرى الحياة.. وذلك الاتحاد يأتي من خلال تحقيق الفعل الجنسي.. من خلال الجماع.. من خلال اتحاد الرجل والمرأة. فالجنس هو: إعادة تجربة الوحدة الأصلية.

إن اقتران الرجل والمرأة فيه مغزى عميق جداً: فالأنا تتبخر في هذا الاندماج بين كائنين بشريين، والشخص الذي يفهم جوهر هذا الاتحاد.. لا بل جوهر هذا التوق إلى الحب وإلى التوحّد، يمكن أن يفهم أيضاً معنى نوع آخر من الوحدة.. وهو اتحاد اليوغي.. اتحاد الزاهد.. اتحاد القديس.. اتحاد المتأمّل. والشخص الذي اتحد في الجماع أيضاً، تندمج هويته مع هوية الشخص الآخر، ويصبحان شخصاً واحداً. وفي السمادي يتحد الإنسان مع الكون بأكمله ويصبح هو والكون واحداً. في الجنس يندمج شخصان، أما في السمادهي: فإن الشخص يفقد هويته ويصبح هو والكون واحداً. إن اللقاء بين شخصين هو لقاء مؤقّت، لكن اتحاد الإنسان مع الكون هو اتحاد أبدي.

فأي شخصين هما كائنان محدودان، ولهذا فإن اتحادهما لا يمكن أن يكون غير محدود.. لا يمكن أن يكون أبدياً. فهناك الاحتكاك وهناك القيود الزوجية، والحب الجسدي، وبالتالي لا نستطيع الاتحاد إلى الأبد. فنحن نجتمع لحظة الذروة، ولكن بعد ذلك علينا أن ننفصل مرة أخرى؛ والانفصال مؤلم، ولهذا السبب يبدو العشاق في حالة يأس مستمر، ومن ثم يبدو الشخص الآخر هو المسؤول عن شعور الإحباط هذا.. عن الإحساس بالوحدة، وبعدها تندلع الثورة في هذه العلاقة.

يقول ذوو المعرفة: إنه يمكن لشخصين لديهما في الأساس هويتان مختلفتان أن يلتقيا بشكل مؤقت، غير أنه لا يمكنهما أن يبقيا ملتحمين إلى الأبد حتى روحياً، فمن هذه العاطفة المتقّدة يظهر النزاع بين العشاق، ويبدأ كل منهما بازدراء الآخر، ويتسلل إليهما التوتر والشقاق والإحساس بالنفور، لا بل حتى الإحساس بالكراهية، وذلك بسبب أن أحدهم يتخيل الآخر أنه ربما لا يرغب به، وبالتالي فإن الاندماج ليس كاملاً. غير أنه لا يمكن إلقاء اللوم في هذا النقص على أي فرد، فالبشر هم كائنات محدودة، وبالتالي فإن اندماجهم محدود أيضاً، ولا يمكن أن يدوم إلى الأبد.

إن الالتحام الأبدي يكون مع الله فقط.. مع براهما.. مع الوجود. وإن أولئك الذين يدركون رهافة الجماع يمكن أن يتخيّلوا ما هي حصيلة اللقاء بالأبدي، إذا أمكن للحظات الاتحاد مع شخص أن تمنح مثل هذه السعادة.

لكن الشخص العادي لا يمكنه حتى تخيّل ذروة النشوة تلك: إنها شيء مذهل.. شيء أثيري يتجاوز حدود الكلمات، إنها سعادة أبدية.

افرض أنك تجلس أمام شمعة، حاول أن تتخيل الفرق بين ضوء تلك الشمعة وبين ضوء الشمس.

ستجد أن المقارنة لا تفيد في شيء، فالشمعة هي مجرد شيء صغير الحجم، أما الشمس فكبيرة جداً، وهي أكبر من أرضنا بستين ضعفاً، وهي تدفئنا وتلفحنا بحرارتها العالية رغم أنها تبعد عنا ثلاثة وتسعون مليون ميل، وبالتالي كيف يمكن أن نقدّر الفرق بين ضوء الشمعة وضوء الشمس؟

بيد أنه بغض النظر عن الشكل الفلكي، يمكننا رياضياً إحصاء الفرق، لأن كلتاهما تقعان ضمن نطاق المعرفة الإنسانية. فالفرق يمكن التحقق منه، ولكن يستحيل حساب الفارق بين نشوة هزّة الجماع، وبين السعادة الأبدية للسمادهي. فاللقاء الجنسي لكائنين زائلين هو لقاء مسعور، أما بالاتحاد مع الكون فيفقد المرء ذاته مثل قطرة الماء وهي تنداح في المحيط. فلا مجال للمقارنة، ولا توجد وحدة لقياس حجم هذا الاتحاد.

فهل سيتوق المرء للجنس بعد أن يلمس هذه السعادة؟ بل هل سيفكّر في هذه المتعة الزائلة بعد أن حصل على المحيط الخالد؟ إن لمحة من الأبدية تقنع الإنسان بأن المتعة الحسّية لا معنى لها، بل على العكس، إنها حماقة. فبعد ذلك سرعان ما تصبح عواطف الإنسان الحالية عواطف بغيضة، وتبدو مثل بالوعة، وخسارة للطاقة ومصدراً للعذاب. وبعد أن يحل اليقين على المرء، يكون في طريقه نحو الهدف المرغوب، أي إلى العزوبة ذاتها.

إن الطريق طويلة ما بين الجنس والسامادهي، فالسامادهي هي الهدف النهائي، والجنس هو مجرّد خطوة أولى.

أريد الإشارة إلى أن هؤلاء الذين يرفضون الاعتراف بالخطوة الأولى.. الذين يرفضون الخطوة الأولى، لا يمكنهم الوصول حتى إلى الخطوة الثانية، ولا يمكنهم أن يتقدموا على الإطلاق. وإنه لمنَ المهم اتخاذ الخطوة الأولى بوعي وتفهّم وإدراك، ولكن بحذر. فالجنس ليس غاية في حد ذاته، بل هو بداية. ولكي نتقدّم، سيتطلب الأمر منا اتخاذ المزيد والمزيد من الخطوات.

غير أن أكبر عيب للبشرية كان نفورها حتى من اتخاذ الخطوة الأولى، وفي الوقت ذاته تتطلّع للوصول إلى الخطوة النهائية! فالإنسان يحتقر الخطوة الأولى رغم أنه يتطلع للإمساك بقمة السلّم؛ إذ ليس لديه أي خبرة بضوء الشمعة في حين أنه يتشدّق بروعة الشمس! وهذا شيء غريب. ينبغي أن نتعلّم كيف نفهم ضوء الشمعة الخافت، والتي تدوم لفترة وتنطفئ على الفور بنسمة لطيفة وذلك لكي نستوعب معنى الشمس. إن إيقاظ الشهوة، والرغبة، والقلق لأجل الوصول إلى الخطوة الأخيرة، هو الحافز للوصول إلى الشمس. أما الخطوة الأولى فيجب البدء فيها بطريقة صحيحة.

إن التقدير المناسب للموسيقى الرقيقة يمهّد الطريق إلى الموسيقى الخالدة، وتجربة الشمعة الخافتة تقودنا إلى النور النهائي؛ ومعرفة قطرة الماء هي مقدمة لمعرفة المحيط.

إن معرفة الذرّة يمكن أن تكشف ألغاز كل القوى الماديّة. ورغم أن الطبيعة منحتنا ذرّة صغيرة من الجنس لكننا لم نفهمها على الإطلاق. حتى إننا لم نعترف بها تماماً. وذلك لأننا لم نمتلك وضوح الفكر ولا الإحساس باللغز لكي نتعرّف عليها ونفهمها أو نختبرها. وبالتالي نحن بعيدون جداً عن فهم تلك العملية التي تقودنا من الجنس إلى السمادهي؛ ولكن بمجرّد أن يفهم المرء ويحترم عملية التجاوز هذه، فسيندرج في طبقة اجتماعية جديدة وراقية.

الرجل والمرأة قطبان مختلفان، أي قطب موجب، وقطب سالب للطاقة. وباجتماع هذين القطبين بشكل صحيح: تكتمل الدارة وتعطي نوعاً من الكهرباء. والمعرفة المباشرة لهذه الكهرباء ممكنه إذا استمرّت فترة الجماع لأطول وقت ممكن، وهذا بالطبع عندما يكون كل منكما مستسلماً للآخر بشكل كامل وعميق. فإذا أمكن إطالة المدّة إلى نحو ساعة، فإن شحنة الطاقة الكبيرة سوف تنتج هالة كهربائية تتطور من تلقاء نفسها؛ وإذا كانت تيارات الجسد الكهربائية محضونة بالكامل، فيمكن أن يرى الشخص في الظلام بقعة من الضوء. والزوجان اللذان يختبران هذا التيار الكهربائي للطاقة: يشربان كأس الحياة الأكمل.

لكننا غير مدركين لهذه الظاهرة، ونجد أن مثل هذا الكلام غريب جداً لأننا لا نؤمن بما لم نجرّبه، ولأن هذا غريب عن مملكة التجربة العادية.

لكنني أقول: إذا لم تواجه هذه التجربة، فينبغي أن تفكّر بها وتحاول مجدداً. وينبغي أن تستعرض حياتك، وبخاصة موضوع الجنس من الألف إلى الياء. كما لا ينبغي أن يكون الجنس أداة للمتعة فقط، بل يجب أن يكون أيضاً وسيلة للتطوّر الروحي.

إن الجنس عملية منطقية، ولا أعتقد أن ولادة بوذا أو ماهافير أو غيره كانت بالصدفة: فكل ولادة هي ثمرة الاتحاد الكامل بين شخصين. وكلما كان الاتحاد أعمق، كلما كانت الذرّية أفضل. وكلما كان اللقاء ضحلاً، كلما كانت الذرية أسوأ. أما اليوم فتتدنى المعايير البشرية أكثر فأكثر، والبعض يلقون باللائمة على الجنس بسبب تدهور المعايير الأخلاقية، بينما آخرون يعزون ذلك إلى الكاليوغا، أي عصر الفوضى القدرية، ولكن كل هذه الفرضيات خاطئة وعديمة القيمة.

فتدهور الإنسان سببه فقط الغباء المطبق لموقفنا تجاه الجنس، ذلك من الناحية النظرية والعملية أيضاً. فالجنس فقد قدسيته الأصلية، وتشوه الشعور الأصلي الذي كان يملكه الإنسان في احترامه للجنس، فانحط الجنس وتحول إلى كابوس آلي، وهذا الموقف من الجنس يشي -بكل معنى الكلمة- بعنف غير ملحوظ، إذ أن الجنس لم يعد تجربة حب، ولم يعد وسيلة عبور إلى القداسة، كما لم يعد فعلاً تأمّلياً. وبسبب هذا، تنحدر البشرية تدريجياً نحو الهاوية. فنتيجة أي شيء نفعله تتوقّف على الموقف العقلي الذي نتصرف من خلاله. فإذا صنع نحات مخمور تمثالاً، فهل تتوقع منه أن يخلق قطعة فنّية جميلة؟ هل تتوقع من راقصة باليه وهي ترقص أن تقدّم عرضاً شيّقاً إذا كانت مضطربة عقلياً أو غاضبة أو ممتلئة بالحزن؟ وبالمثل، كانت نظرتنا للجنس نظرة خاطئة.

إن الجنس هو القضية الأكثر إهمالاً في حياتنا. أليس خطأ فادحاً أن تكون الظاهرة التي يعتمد عليها إنتاج الحياة.. التي يعتمد عليها إنجاب أطفال جدد.. التي يعتمد عليها دخول أرواح جديدة إلى هذا العالم، أن تكون الظاهرة الأكثر إهمالاً؟ ربما لا تدرك أنك حينما تكون في ذروة الجماع: تخلق الوضع الذي تنزل فيه الروح، وبتلك الطريقة تكون قد تشكّلت حياة جديدة. إنك تخلق الظرف فقط؛ وعندما يتحقق الظرف الملائم والضروري لروح معيّنة

تولَد هذه الروح. وخاصيّة الروح تتأثر مباشرة بالظروف، فالطفل الذي يتشكّل في الرحم في مناخ من الانزعاج والغضب، يُبتلى منذ الولادة بالقلق وعقدة الذنب. إن مقياس نسلنا يمكن تحسينه، بيد أنه لكي يتم الحمل بأرقى روح، فلا بد من أن تتوفر ظروف راقية أيضاً. وعندئذ فقط يمكن أن تولد أرواح راقية، ويمكن أن يرتقي بالتالي معيار الإنسانية. لذلك أقول بأنه عندما يصبح الإنسان ملّماً بعلم الجنس وبفن الجنس، وعندما يكون قادرا على نقل هذه المعرفة إلى الصغير والكبير على حد سواء، سنكون قادرين على توفير الظروف التي ستنجب ما سمّاه أوربيندو[1] ونيتشه بالسوبرمان. وفي الحقيقة يمكن إنجاب مثل هذه الذرية، ويمكن خلق مثل هذا العالم! ولكن قبل ذلك، لا يمكن أن يكون هناك تطور، ولا أن يكون هناك سلام في العالم ولا يمكن منع الحروب، كما لا يمكن إزالة الضغينة أو استئصال الشر واجتثاث الفساد وتبديد الظلمة الحالية.

حتى لو حشدنا في الخدمة كل وسائل الراحة والابتكارات الحديثة، وحتى لو بذل السياسيون وعلماء الاجتماع وزعماء الأديان قصارى جهدهم، فلن تتوقف الحروب ولن يهدأ التوتر ولن يختفي العنف والحسد. فمنذ آلاف السنين، والحواريون والمسيح ورجال الدين يلقون بعظاتهم ضد الحرب وضد العنف والغضب وما إلى ذلك. بيد أنه لم يستمع إليهم أحد. بل على العكس، فقد قتلنا المسيح الذي وعظ بالمحبة، والذي حاول تعليمنا ألاّ نكون عنيفين والذي بيّن لنا الطريق الروحي. وكافأنا بالرصاص غاندي الذي علّمنا كيف

---

[1] شري أوربيندو **Sri Aurobindo** : (1872 – 1950) عالم وفيلسوف وشاعر وصوفي ومعلم يوغي هندي. بعد أن امتهن السياسة لفترة قصيرة والتي أصبح خلالها واحداً من زعماء حركة تحرير الهند من الحكم البريطاني، اتجه شري أوربيندو إلى ممارسة وتطوير اتجاه روحي جديد أطلق عليه اسم: اليوغا التكاملية"، والتي تهدف إلى تطوير الحياة على الأرض بتأسيس وعي روحي على المستوى العالمي، أطلق عليه تسمية سمّاه العقل المتسام، ويمثل حياة قدسية متحررة من الموت الطبيعي. كَتَبَ أريدندوا باللغة الإنكليزية عن فلسفته الروحية وممارستها، وعن التطوير الاجتماعي والسياسي، وعن الثقافة الهندية، وترجم الكتب المقدسة الهندية القديمة، كما كتب في الأدب والشعر وخصوصاً الشعر الصوفي. يعتبر شري أوربيندو لغاية الآن أحد اليوغيين العظام في التاريخ الهندوسي. (المترجم)

ندرّب أنفسنا على اللاعنف لتتشذب أرواحنا، ونعيش بتناغم مع بعضنا البعض. هكذا عبّرنا عن امتناننا لخدماته النبيلة.

لقد اخفق كل حواريي البشرية قديماً وحديثاً: فلم تثمر كل القيم والأفكار التي تصوّروها وروّجوا لها. لم يستطع أحد منهم أن يقدّم حلاً عملياً، وكل مبادئهم الرنّانة ذهبت أدراج الرياح. جاءوا وبشّروا ثم رحلوا، وما زال الإنسان يتخبّط في الظلام، وما زال يغرق أكثر فأكثر في نوع من الجحيم على الأرض. ألا يثبت هذا وجود بعض المفاهيم الأساسية الخاطئة في تعاليمهم وعظاتهم؟

إن الإنسان محبط لأنه حُملَ في رحم أمه في جوّ من الإحباط، فهو يحمل جرثومة الإحباط منذ البداية، وروحه مريضة. وهذا المرض.. سرطان البؤس والحزن هذا، متجذّر في أعماق روحه. وكيانه بأكمله تشكّل منذ اللحظة التي حملته أمه فيها، وبالتالي ستُخفق البوذية والماهافيرية والمسيحية والكريشنية. وكلها أخفقت أساساً.

قد لا نعترف بذلك علانية من منطلق الذوق الأدب، لكن البشرية تصبح أكثر همجية يوماً بعد يوم، ورغم الكثير من الكلام عن اللاعنف، وعن التسامح، فقد حسنّا أنفسنا بالتطور بدءاً من الخنجر البسيط، وصولاً إلى قنبلة الكوبالت. وقد قيل لي بأننا قتلنا حوالي ثلاثين مليون شخص أثناء الحرب العالمية الأولى.. وبعد الهدنة تكلّمنا عن السلام والحب. أما في الحرب العالمية الثانية فقتلنا خمسة وسبعين مليون شخص.. وفيما بعد بدأنا في التفاوض من أجل السلام والتعايش مرّة أخرى. ومن بيرتراند راسل إلى فينوبا، يصرخ الجميع بوجوب المحافظة على السلام رغم أننا نحضّر لحرب عالمية ثالثة، والتي ستجعل من الحربين السابقتين تبدوان كأنهما لعب أطفال مقارنة بها.

ذات مرّة سأل أحد الأشخاص أينشتاين عما يمكن أن يحدث في الحرب العالمية الثالثة، فقال: إنه لا يمكنه التنبؤ بشيء عن الحرب العالمية الثالثة، لكنه يستطيع التنبؤ بأي شيء عن الحرب العالمية الرابعة. فدُهشَ السائل وقال: كيف هذا؟ إذا كان أينشتاين لا يستطيع قول شيء عن الحرب العالمية الثالثة، فكيف يتنبأ بأي شيء عن الحرب العالمية الرابعة.

فأجاب أينشتاين بأن هناك شيئاً واحداً أكيداً عن الحرب العالمية الرابعة: وهو أنه لن يكون هناك حرب رابعة، لأنه لن تكون هناك إمكانية لأن ينجو أي شخص من الثالثة.

هذه إذن ثمرة التعاليم الأخلاقية والدينية للبشرية، غير أن السبب يكمن في مكان آخر، وهي في حاجة ماسّة إلى المراجعة. فما لم ننجح في جلب الانسجام إلى الفعل الجنسي، وفي إضفاء طابع روحي على الجنس، والعودة إلى احترام الجنس كبوابة عبور إلى السامادهي، فالأفضل للبشرية أن لا تأتي إلى حيّز الوجود، وما لم يحصل ذلك، فمن المؤكّد أن البشرية ستمضي من سيّئ إلى أسوأ، لأن أطفال اليوم سيعانون من الجنس وسينجبون أطفالاً أسوأ منهم، ونوعية كل جيل جديد ستكون أسوأ فأسوأ، وهذا أقل ما يمكن التنبّؤ به. بيد أننا وصلنا بالفعل إلى مثل هذا المستوى المتدنّي بحيث لم يعد هناك على الأرجح ما هو أدنى من ذلك. فالعالم بأكمله تقريباً قد أصبح بالفعل مشفى كبيراً للمجانين. ومن الإحصاءات التي جمعها الأطباء النفسيون الأمريكيون: خلصت إلى أن ثمانية عشر بالمئة فقط من عدد سكان مدينة نيويورك يمكن أن يقال عنهم إنهم في وضع عقلي طبيعي. فإذا كان ثمانية عشر بالمئة في حالة عقلية طبيعية، فما هو وضع الاثنين والثمانين بالمئة المتبقية؟ إنهم في حالة تفكك فعلي. وأنت نفسك ستفاجأ إذا علمت مقدار الجنون الذي ينطوي في داخلك، هذا إذا جلست في زاوية ما، وعكفت على التأمل في ذاتك للحظة.

أما كيف تتحكّم بجنونك وتقمعه فهي مسألة أخرى تماماً؟ إذ يكفي حدوث نكسة عاطفية طفيفة لأي شخص حتى يصبح معتوها بالكامل.

ومن المحتمل جداً أن يصبح العالم في غضون المئة سنة القادمة مشفى ضخماً للمجانين، وبالطبع، ستكون هناك العديد من الفوائد: فلن نحتاج لعلاج الجنون، ولن نحتاج للأطباء النفسيين لمعالجة العصابيين. إذ لن يشعر أحد بأنه مجنون، لأن العَرَض الأول للشخص المجنون هو أنه لن يعترف أبداً بأنه مجنون، وهذا المرض في ازدياد دائم. وهذا الاعتلال، وهذا العذاب العقلي، وهذه الظلمة العقلية: تزداد باضطراد.

إن البشرية الجديدة لا يمكن أن تنشأ ما لم يترقّى الجنس، وما لم يصبح الجماع عملاً مقدّساً.

لقد أكدت على فكرة معيّنة في السابق، وهي أن الإنسان الحديث لابد وأن يولَد! فروح الإنسان تتلهّف لتسلّق المرتفعات.. تتلهّف لبلوغ السماء.. تتلهّف لكي تُضاء مثل القمر والنجوم.. ولكي تتفتّح مثل الزهرة.. تتلهّف لكي تخلق الموسيقى وترقص.

إن روح الإنسان تتألم؛ كما أنها تتحرق عطشاً. بيد أن الإنسان أعمى، وهو يدور ويدور في حلقة مفرغة: غير قادر على كسرها والخروج منها، كما لا يستطيع الارتفاع فوقها. فما هو السبب؟ في الحقيقة هناك سبب واحد فقط، وهو أن عملية تناسله سخيفة جداً، وهي تطفح بالجنون. وهي هكذا لأننا غير قادرين بعد على جعل الجنس مدخلاً للسامادهي. إن عملية جنسية متنوّرة واحدة ستفتح الباب إلى السامادهي. انعدام الرغبة

لقد فصّلت سابقاً بضعة مبادئ، والآن أريد تلخيص نقطة واحدة فقط، ثم أنهي حديث اليوم.

أريد القول إن هؤلاء الذين يقودوننا بعيداً عن حقائق الحياة هم أعداء البشرية. وأولئك الذين يطلبون منكم ألاّ تفكروا في الجنس أبداً هم أعداء لكم؛ وهم لن يسمحوا لكم بالتفكير والتأمّل فيه. وإلا لماذا لم نتّخذ إلى الآن موقفاً منطقياً حيال هذا الموضوع؟ علاوة على هذا، فالذين يقولون إن الجنس لا علاقة له بالروحانية، مخطئون كلّياً، ذلك أن الطاقة الجنسية في شكلها المتحوّل والمتسامي هي المدخل إلى مملكة الروحانية. إن تصعيد هذه الطاقة الحيوية يرقى بالإنسان إلى عوالم لا نعرف عنها سوى القليل، وإن تحويل الإنسان لطاقته الجنسية يصعد به إلى عالم حيث لا وجود للموت، ولا وجود للحزن، إلى عالم لا يوجد فيه سوى الفرح.. الفرح المحض.

إن أي إنسان يمتلك تلك الطاقة، طاقة الحياة، يستطيع أن يرقى بنفسه إلى عالم البهجة، وإلى عالم الوعي الحقيقي. لكننا بددنا هذه الطاقة، فنحن أشبه بدلو الماء الذي توجد في أسفله ثقوب، وحين نستخدم هذا الدلو لاستخراج الماء من البئر، يتسرب الماء بأكمله من الثقوب، ولا نحصل في النهاية سوى على دلو فارغ. ونشبه كذلك الأمر، قوارب ذات قاع مثقوب،

حيث نجدّف في النهر لكي نغرق فحسب. فمثل هذا القارب لا يمكن أن يوصلنا إلى الضفة الأخرى أبداً، ومصيرنا المحتوم هو الغرق وسط النهر. وكل هذا التسرّب هو بسبب التحويل الخاطئ لمجرى طاقة الجنس.

إن أولئك الذين يعرضون الصور العارية ويؤلفون الكتب الخليعة وينتجون أفلام الجنس ليسوا مسئولين عن تسرّب هذه الطاقة، بل المسؤولون هم من يضعون الحواجز في طريق تفهّمنا للجنس. فبسبب هؤلاء: راجت الصور العارية وبيعت الكتب الإباحية وصُنعت أفلام الجنس، ونحن نرى النتائج الخسيسة والحمقاء يومياً. والمسؤولون عن هذا الأمر هم الذين نسمّيهم الأتقياء والمتقشّفين. ولكن إذا تمعّنتم في ذلك بعمق، فسترون أنهم وكلاء الإعلان الحقيقيون للفجور.

أخيراً سأروي لكم حكاية صغيرة[1]، وسأنهي بها حديث اليوم.

كان أحد القساوسة على وشك إقامة قدّاس في كنيسة قرية مجاورة، فأخذ يركض لكي يصل إلى الكنيسة في الوقت المحدد. وبينما كان يجتاز حقلاً، شاهد في طريقه رجلا مصاباً بطعنة سكّين ومرمياً قرب ساقية، وقد برز السكين من صدر الرجل الذي كان ينزف. ففكر القسيس بحمله والاعتناء به، ولكن بعد أن أعاد التفكير مرّة أخرى، شعر بأن ذلك ربما يؤخّر وصوله إلى الكنيسة. وكان قد اختار المحبّة موضوعاً لعظته، فقرر أن يتوسّع في حكمة السيد المسيح الشهيرة: "المحبة هي الله" وقد أعدّ شروحاته عندما كان يعدو في طريقه إلى الكنيسة.

غير أن الرجل المصاب فتح عينيه وصاح: "أعلم يا أبتي أنك ذاهب إلى الكنيسة لإلقاء عظة عن موضوع المحبّة، وكنت سأحضر إلى الكنيسة أيضاً لولا أن قطّاع الطرق طعنوني وألقوني هنا. اصغ إلي، إذا نجوتُ من الموت: فسأخبر الناس بأن رجلاً كان يموت على قارعة الطريق، فهربتَ لكي تلقي عظة عن المحبة بدلاً من أن تنقذه. إنني أحذّرك، لا تتجاهلني".

فارتعب القسيس بعض الشيء، وأدرك أنه إذا نجا هذا الرجل من الموت، وروى الحادثة لسكان القرية، فسيقولون إن عظاته كلها كانت خداعاً ودجلاً.

---

[1] يبدو أن أوشو اقتبس هذه القصة من إحدى كتابات جبران خليل جبران. (المترجم).

ولم يكن القسيس قلقاً بشأن الرجل المحتضر، بل لرأي العامة، لذلك اقترب من الرجل مكرَهاً. وعندما اقترب منه أكثر وشاهد وجهه بوضوح، بدا له مألوفا إلى حد ما. فقال: "بنيَّ، يبدوا أنني رأيتك من قبل في مكان ما".

فقال الرجل المصاب: "لا بد وأنك قد رأيتني"، فأنا الشيطان، ولي صلة قديمة جداً بالقساوسة ورجال الدين. فإذا لم أكن مألوفا بالنسبة لك فلمن سأكون مألوفاً؟"

عندئذ تذكّره القسيس بوضوح، فقد رآه من قبل في الكنيسة، واقترب منه مجدداً وقال: "لا يمكن أن أنقذك، والأفضل أن تموت. فأنت الشيطان، ونحن على الدوام نتمنى لك الموت، فلماذا أنقذك؟ إن مجرد لمسك يُعتبر خطيئة، سأتابع طريقي".

فضحك الشيطان ضحكة مجلجلة وقال: "اسمع، في اليوم الذي سأموت فيه ستصبح بلا عمل، إذ لا يمكنك أن تتواجد من دوني، فأنت قسيس لأنني على قد الحياة، وأنا أساس مهنتك، فمن الأفضل لك أن تنقذني، لأنني إذا متُ: سيصبح القساوسة والكهنة كلهم عاطلين عن العمل، وسوف ينقرضون، ولن تكون هناك حاجة لهم بعد الآن".

ففكّر القسيس بكلام الشيطان، ورأى أنه كلام صحيح. وعلى الفور رفعه على أكتافه وقال: "شيطاني العزيز، لا تقلق، سوف أنقلك إلى المشفى للعلاج. من فضلك تماثل للشفاء بسرعة، لا تمت بحق السماء، إنك بخير. إذا متَّ سنصبح عاطلين عن العمل".

ربما لا يمكنك تصوّر أن ذلك الشيطان هو أساس رجل الدين، وأن رجل الدين يقبع خلف عمل الشيطان، غير أن الشيطان منشغل جداً في استغلال الجنس، واستغلال الجنس هو أساس كل شيء. فمن خلال الضباب، لا يمكننا رؤية أن رجال الدين هم وراء كل هذه الفوضى وأن الجنس أصبح أكثر فتنة بسبب الحط من شأنه من قبل رجال الدين، وبأن الإنسان أصبح أكثر شهوانية بسبب التشويهات المستمرّة من قبلهم، وكلما جاهدوا من أجل إلغاء تفكير الإنسان بالجنس، كلما أصبح الجنس أكثر غموضاً، وكلما أثار الفضول أكثر.

والإنسان عاجز: فهو عبد للجنس، وهذا العجز جدير بالازدراء.

ما نريده في الحقيقة هو المعرفة وليس الجهل، فالمعرفة بحد ذاتها قوة، ومعرفة الجنس هي أعظم قوة. ومن الخطر الاستمرار في العيش من دون معرفة جنسية.

من الجائز أننا قد لا نصل إلى القمر بهذه المعرفة. وفي الحقيقة، ليست هناك حاجة فعلية للوصول إلى القمر، وقد لا تنتفع البشرية كثيراً بوصولنا إلى القمر، ولا العالم سينتهي إذا لم نستطع الوصول إلى عمق خمسة أميال في المحيط الهادي حيث لا يمكن لأشعة لشمس النفاذ إلى تلك الأعماق. ذلك أن تحقيق هذه الأشياء لن يفيد البشرية كثيراً، وليس أمراً مهماً جداً أن نشطر الذرة أو لا نشطرها. ولكن أن ننجح في خلق إنسان جديد فهذه مسألة في غاية الأهمية، وأن نتقبل الجنس هي مسألة ملحّة للغاية، بحيث نتوصّل إلى معرفة الجنس وفهمه بالكامل، ومن ثم تجاوزه.

الفصل الخامس

الجنس الروحي

سألني أحد الأصدقاء: لماذا اخترت الجنس موضوعاً لنقاشاتي؟.

دعوني أوضّح لكم أمراً: ذات مرة، كان هناك لقاء عام في سوق بومباي الكبير، وكان أحد العلماء يتحدّث عن **كبير**[1] وفلسفته. وقد تلا المقطع الشعري التالي **لكبير** قائلاً: يقف كبير وسط السوق وهو يلوّح بعصاه وينادي الناس قائلاً: "من كانت لديهم الشجاعة لإحراق بيوتهم فليتبعوني".

وقد لاحظت أن الناس كانوا مسرورين لهذا النداء، وخمّنتُ بأن الناس الذين شعروا بالراحة لسماعهم مثل هذه الرسالة العميقة والعنيفة **لكبير**، فلابد أنهم يمتلكون الشجاعة الفعلية لحرق بيوتهم ويخرجون للبحث عن الحقيقة. وظننت أنني أستطيع التحدّث بصراحة وصدق مع هؤلاء الناس. غير أنه لم يكن أحد منهم على استعداد لأن يترك بيته أو يحرقه. وما أقصده، هو أنه لو كان **كبير** حاضراً هناك فلا يمكن أن يكون سعيداً بهذا الوضع على الإطلاق، فكلنا هنا

---

[1] كبيرKabir : (1398- 1518) . قديس وحكيم هندي، صوفي مسلم الأصل عمل نساجاً طوال حياته. ولادته وموته محاطتان بالأساطير، نبذ الأديان وكان معلماً لغورو ناناك مؤسس السيخية. تروي قصص الهند أنه عندما توفي، اختلف الهندوس والمسلمين على طريقة دفنه، فالهندوس الذين كانوا يعتبرونه من أصل هندوسي أرادوا حرق جثمانه وفق التقاليد الهندوسية، أما المسلمون الذين يعتبرونه من أصل مسلم فقد أرادوا دفنه وفقا للشريعة الإسلامية. عندما فتح التابوت لم يجدوا جثماناً بل باقة ورد. ونظر كلا الطرفين المتقاتلين إلى ذلك على أنه معجزة إلهية لحل النزاع بينهما. فأخذ الهندوس نصف الباقة وأحرقوها حسب تقاليدهم، أما الفريق المسلم فأخذوا النصف الآخر من الباقة ودفنوها على الطريقة الإسلامية. تعود إليه ثلاث مدارس روحية رئيسة في الهند وهي: السانت مات، رادها سوامي، ومدرسة بريم راوات الملقب بـ "ماهاراجي" (المترجم)

نستسيغ سماع ما قاله **كبير**. ولكن في حقيقة الأمر لم يكن هناك أحد من الناس الحاضرين سعيداً بما قاله كبير منذ أكثر من ثلاثمائة سنة. وكنت أجاهد تحت الوهم نفسه الذي كان يجاهد تحته **كبير**، أو السيد المسيح. فالإنسان.. هذا الحيوان العجيب.. يستمتع بالإصغاء للحديث عن الأموات، ويتوعّد بقتل الأحياء، وكان من المفترض أن أقول شيئاً عن الحقيقة.

بيد أننا لكي نتحدث عن الحقيقة، فمن الضروري تفنيد تلك الأضاليل التي قبلها الإنسان على أنها حقائق، لأننا كثيراً ما نقبل مبدأً على أنه حقيقة، في حين يكون في الواقع مبدأً كاذباً. وما لم نكشف النقاب عن هذه الأكاذيب، فلا يمكننا اتخاذ الخطوة الأولى باتجاه الحقيقة.

قلتُ فيما مضى إنني سأتحدث عن "المحبة"، لكنني شعرت أنه طالما أننا مقيّدون ببعض الافتراضات الخاطئة عن الجنس والرغبة، فلن نفهم أو نقدّر المحبّة. وطالما أن هذه المعتقدات المضللة متأصلة فينا، فمهما قلنا عن المحبة، سيكون ناقصاً وسيضيع هباءً. وبالتالي، من أجل التركيز على هذا الأمر، تحدّثت عن الرغبة والجنس في اللقاء السابق، وقلت إن طاقة الجنس بحد ذاتها يمكن أن تتحوّل إلى محبّة.

فإذا اشترى المرء سماداً، والسماد بطبيعته ذو رائحة كريهة وقذرة، وكوّمَهُ أمام منزله بجانب الطريق، فسوف يخلق الإزعاج لكل من يمر بالقرب من ذلك المكان. أمّا إذا نثر السماد في حديقته، فعندئذ ستنمو البذور وتصبح نباتات، والنباتات ستعطي أزهاراً، وسيكون أريجها إغواء للجميع، كما سيكون المرور بالقرب منها أمراً ساحراً.

ربما لم تفكر حقيقةً في هذا من قبل، غير أن عبير الزهرة ليس سوى رائحة السماد العفنة.. والتي بارتقائها من بذرة إلى نبتة: تكون قد تحولت إلى عبير زهرة. إذن فالرائحة السيئة يمكن تحويلها إلى عطر جذّاب. وبالمثل، يمكن أن يتحوّل الجنس إلى محبّة.

ولكن كيف يمكن لمن يكره الجنس أن يصبح شخصاً ممتلئاً بالمحبّة؟ وكيف يمكن للمرء أن يحوّل الجنس عندما يكون عدواً له؟ لهذا السبب أكدتُ على ضرورة تفهّم الرغبة، وضرورة الاطّلاع على الجنس. كما أشرت في السابق إلى أنه ينبغي تحويل الجنس، وظننت أن هؤلاء الذين كانوا قادرين على أن يتأمّلوا

في مسألة إحراق بيوتهم سيكونون مسرورين لسماع شيء من صريح الكلام، لكنني كنت مخطئاً.

عندما أنهيت حديثي في ذلك اليوم، دُهشت عندما لاحظتُ أن كل الموظفين الذين كانوا على المنصة إضافة إلى الأصدقاء الذين نظموا اللقاء قد اختفوا بالكامل. كما أنني لم أر أحداً منهم عندما سرت في أسفل الممر لكي أغادر. فظننت أنهم ربما هرعوا إلى بيوتهم لأن النيران اشتعلت في منازلهم.. لكنهم على الأرجح تسابقوا إلى منازلهم لإخماد نيرانهم الخاصة!!

لم يبقَ هناك حتى المنظّم الرئيسي ليشكرني، فقد هرب قبل أن أكمل حديثي بفترة طويلة. فالزعماء هم أجناس ضعيفة بالفعل، ورشيقو الحركة أيضاً. لقد فرّوا قبل أن يفرّ أتباعهم.

لكن بعض الشجعان اقتربوا مني.. بعض الأشخاص الحيويين من الرجال والنساء: بعضهم من العجائز، وبعضهم من الشبان، وجميعم صرّحوا بأنني قلت لهم أشياء لم يسمع بها أحد من قبل، وقالوا لي: إن أعينهم قد تفتّحت، وشعروا بأنهم أصبحوا من الداخل أكثر تنوّراً. وكانت نظرة الامتنان ودموع الفرح تملأ أعينهم، وطلبوا مني أن أكمل سلسلة أحاديثي. وكان هؤلاء الناس الصادقين على استعداد لفهم الحياة؛ وسألوا إن كنت سأتوسع في الموضوع، وهذا أحد أسباب عودتي إلى بومباي.

لقد تجمّع حشد كبير، وعندما خرجت من بهافان، هنّأني الناس على ما قلته. وبعد ذلك، على الرغم من هروب الزعماء، شعرت بأن عامة الناس كانوا معي. وفي الحال، قررت أن أشرح الموضوع بشكل كامل، ولهذا السبب اخترت هذا الموضوع.

كما أن هناك سبباً آخر هو: أن الذين هربوا من المنصّة، بدؤوا يروون للناس في كل مكان: إنني قلت هذه الأشياء الكافرة، وأن الدين سيتحطم بالتأكيد، وأن ما قلته سيجعل الناس زناديق وكفرة!

لهذا شعرت بأنه علي أن أفصّلَ وجهة نظري لأرد عليهم. كما شعرت بأنه ينبغي أن يدركوا أن الناس لن يصبحوا كفّاراً بسماعهم أحاديثَ عن الجنس، بل على العكس من ذلك: فالناس كفرة بسبب عدم فهمهم للجنس إلى الآن.

إن الجهل، على خلاف المعرفة، هو ما يجعل منك شخصاً كافراً. وأنا أقول: إذا كانت المعرفة تتسبب بالكفر، فأنا لا زلت أفضّل المعرفة. ولكن بالطبع ليست

المسألة على هذا النحو، فالمعرفة هي الدين الحق، والجهل هو الكفر. بالإضافة إلى هذا فالدين الذي يزدهر من نقص المعرفة، ليس ديناً على الإطلاق.. بل إنه الكفر بعينه.. وكلما أسرعنا في التحرر منه، كلما كان أفضل.

والنور الذي ينقصه النور ليس بنور، بل هو ظلمة تحت اسم نور. كلا، فالنور دائما يشجّع النور، والمعرفة ترحّب دائماً بالمعرفة. وتذكّروا أن الدين ليس سوى اسم آخر للبحث عن المعرفة السامية، ولإدراك النور الكامل.

إن الجهل والظلمة ضارّان دائماً. فإذا أصبحت البشرية أكثر انحطاطاً، وإذا حصل لها شذوذ كلّي، وإذا أصبحت البشرية بأكملها مريضة بالعصاب بسبب جهلها بالجنس: فاللوم لا يقع على أولئك الذين يتأمّلون ويتفكّرون في موضوع الجنس، بل يقع اللوم على من يُسمّون بخطباء الأخلاق والدين، فقد عملوا منذ آلاف السنين على إبقاء الإنسان مغلّفاً بالجهل. ولولا هؤلاء الظالمون، لتحررت البشرية من الجنس منذ زمن طويل.

إن الجنس طبيعي، لكن اختراع الجنسوية يعزى إلى هؤلاء المعلّمين. وهذا العائق لا يمكن التغلّب عليه طالما أن الجهل بالجنس موجود.

فأنا لا أؤيّد الجهل في أي مستوى من مستويات الحياة، ومستعدّ دوماً للترحيب بالحقيقة بأي ثمن.

لقد شعرت بأنه إذا كان لشعاع شارد واحد من أشعة الحقيقة أن ينشر الكثير من الهرج والمرج بين الناس، فمن الأنسب أن أناقش الموضوع بتفرعاته كافة، وأوضّح مسألة ما إذا كانت المعرفة الجنسية تجعل الإنسان متديناً أم كافراً. وهذه هي خلفية وسبب اختياري لهذا الموضوع. ولولا ذلك لما خطر في ذهني اختيار هذا الموضوع أبداً، ولما كنت تحدّثت فيه على الإطلاق. لذلك، فإن هؤلاء الذين خلقوا لي هذه الفرصة، وقادوني بطريقة غير مباشرة لاختيار هذا الموضوع، يستحقون مني بعض الشكر. فإذا كنتم تفكرون بأن تشكروني على اختياري لهذا الموضوع، فأرجوكم أن لا تفعلوا، بل هنئوا أولئك الذين بثّوا الأضاليل عني، لأنهم أجبروني على اختيار هذا الموضوع.

والآن لندخل إلى صلب الموضوع.

سألني أحد الأصدقاء: "إذا كان الجنس يتحوّل إلى حب، فهل تعني بالتالي أن حب الأم لولدها هو بسبب الجنس؟" كما سأل آخرون أسئلة مشابهة.

في الحقيقة، سيكون من المفيد أن تفهموا الأمر التالي: إن كنتم قد أصغيتم إليّ بانتباه، فستتذكّرون ما قلته لكم بأن هناك عمق كبير في التجربة الجنسية، ذلك العمق الذي لا يمكن للمرء الوصول إليه بطريقة عادية، لأن هناك ثلاثة مستويات للجنس، وسأتحدث عنها الآن.

أما المستوى الأول للجنس فهو المستوى البدائي: كأن يذهب الشخص إلى عاهرة على سبيل المثال. فالتجربة التي يحصل عليها هناك لا يمكن أن تتجاوز الجسد، إذ أن العاهرة يمكن أن تبيع جسدها، ولكن لا يمكنها أن تبيع قلبها، وبالطبع لا مجال لأن تبيع روحها.

وعند هذا المستوى تلتقي الأجساد. والحال ذاته في الاغتصاب. ففي الاغتصاب لا تلتقي القلوب أو الأرواح؛ ذلك لأنه يحدث على المستوى الجسدي فقط، إذ لا مجال لاغتصاب الروح، فتجربة الاغتصاب هي تجربة جسدية محضة.

إن التجربة الجنسية البدائية تحدث على المستوى الفيزيولوجي، لكن أولئك العالقين في هذا المستوى، لن يحصلوا على تجربة جنسية كاملة، ولا يمكن أن يعرفوا الأعماق التي كنت أتحدّث عنها، وإن معظم الناس هذه الأيام توقفوا عند المستوى المادي.

وفي هذا الصدد، من المهم أن تعرفوا أنه في البلدان التي تحصل فيها زيجات من دون حب، يركد الجنس عند المستوى الجسدي، ولا يمكن أن يتقدّم إلى ما هو أبعد من ذلك. فهذه الزيجات يمكن أن تكون بين جسدين ولكن ليس بين روحين، لأن الحب لا يوجد إلا بين روحين فحسب. ويمكن أن يكون للزواج معنى أعمق إذا حصل عن حب، غير أن الزيجات التي تحدث بسبب حسابات علماء الدين والمنجمين، أو من منطلق الاعتبارات الطائفية أو المذهبية أو المال: لا يمكن أبداً أن تصبح أعمق من المستوى المادي.

بيد أنه توجد فائدة واحدة لهذا النظام من الزواج: فنظراً لأن الجسد هو أكثر استقراراً من الفكر، وبالتالي فإن المجتمع الذي يكون فيه الجسد هو أساس الزواج، ستكون الزيجات فيه أكثر استقراراً، وسيدوم الزواج طويلاً، ذلك لأن الجسد مستقرّ، ولأن الجسد عامل ثابت تقريباً، والتغيّر يتسلل إليه ببطء شديد وبصورة غير محسوسة تقريباً.

إن الجسد في حالة من الثبات، وتلك المجتمعات التي اعتقدت أنه من الضروري تثبيت مؤسسة الزواج والمحافظة على الزواج الأحادي وعدم ترك أي إمكانية للتغيير، كان لابد لها أن تتخلّص من الحب، لأن القلب هو مقرّ الحب.. والقلب عديم الاستقرار، وبالتالي فإن الطلاق هو مسألة حتمية في المجتمعات التي ترتكز فيها الزيجات على الحب.

في تلك المجتمعات لا يمكن أن تكون هناك زيجات مستقرّة أبداً: لأن الحب كالمادة السائلة، والقلب زئبقي، أما الجسد فثابت ومستقر.

فإذا كان هناك حجر في فناء منزلك، فسيكون عند المساء في المكان نفسه الذي كان فيه في الصباح، أما الزهرة: فتتفتح في الصباح، وعند المساء تميل وتنحني نحو الأرض. فالحجر هو شيء لا حياة فيه، لأن الوضع الذي كان فيه في الصباح، سيكون هو ذاته عند المساء. والزواج الحاصل على المستوى المادي سيجلب الاستقرار، لكنه لن يختلف عن ذلك الحجر، وهذا النوع من الزواج هو في صالح المجتمع.. لكنه ضارٌ بالنسبة للفرد.

في مثل هذه الزيجات، لا يلامس الجنس بين الزوج والزوجة العوالم العميقة، ويصبح مجرّد روتين ميكانيكي. وببساطة، فإن الفعل المتكرر يصبح مبتذلاً في أغلب الأحيان، ويصبح الشركاء بليدي الإحساس بشكل متزايد، ولا يحدث شيء أكثر من ذلك. كما أن هناك فرق بسيط بين الذهاب إلى عاهرة، وبين حالة الزواج من دون حب. فأنت تشتري العاهرة لليلة، بينما تشتري الزوجة طوال حياتك، وهذا هو الفرق الوحيد، وبالتالي عندما لا يكون هناك حب: فأنت تقوم بعملية شراء.. سواء استأجرت امرأة لمدة ليلة، أو قمت بعمل الترتيبات لبقية العمر. وبالطبع، ستنشأ علاقة بسبب العشرة اليومية.. فنسميها حبّا، وهي ليست بحب: لأن الحب شيء مختلف كليّاً، وهذه الزيجات ما هي ببساطة إلاّ زواج الجسد، وبالتالي لا يمكن لهذه العلاقة أن تذهب إلى أعمق من المستوى المادي.

ولو نظرنا إلى الأعمال الأدبية: لرأينا أنه لا يوجد أي عمل أدبي أو نص من النصوص التي كتبت عن الحب.. بدءاً من فاتيسيايانا، ووصولاً إلى كوكا باندیت.. ذهب إلى ما هو أعمق من المستوى الجسدي.

وهناك مستوى آخر هو: المستوى السيكولوجي للفكر والقلب. فالأزواج الذين يقعون في الحب، وبعدها يتزوجون، يذهبون إلى أبعد من المستوى الجسدي

بقليل، ويصلون إلى القلب.. إلى العمق السيكولوجي. لكنهم بسبب الرتابة، يعودون إلى المستوى الجسدي كل يوم. فمؤسسة الزواج التي نشأت في الغرب على مدى المئتي سنة الأخيرة، هي في هذا المستوى. وهذا هو سبب انحلال مجتمعاتهم وفسادها.

إن السبب في هذا الانحلال هو أنك لا يمكن أن تعتمد على الفكر، فهو اليوم يرغب بشيء، وغداً يطلب شيئاً غيره. يرغب في الصباح بشيء، وفي المساء يرغب بشيء آخر. وما يشعر به الآن، يختلف تماماً عما شعر به في اللحظة الفائتة.

ربما سمعتم بأن اللورد بايرون، قبل أن يتزوج في آخر الأمر، كان على علاقة مع ستين أو سبعين امرأة على الأقل. غير أنه حتى بعد خروجه من الكنيسة غداة عقد قرانه، ويده بيد عروسه الجديدة، شاهد امرأة جميلة تمرّ بقربه. فبُهرَ بجمالها ونسي للحظة زوجته الجديدة، ونسي عرسه الجديد. ولكن لابد أنه كان رجلاً أميناً جداً: لأنه عندما دخل إلى عربته مع عروسه، قال لها: "هل لاحظتِ؟ لقد حصل للتو شيء غريب. فالبارحة؛ قبل أن نتزوج، كنت قلقاً بخصوص ما إذا كنت بالفعل سأتمسك بك أم لا.. إذ كنت المرأة الوحيدة في فكري.. ولكن الآن، بينما أنا متزوج بالفعل، رأيت للتو امرأة جميلة على جانب الطريق عندما كنا ننزل من درج الكنيسة، فنسيتك للحظة، لأن فكري بدأ يجري خلف تلك المرأة، فقد اخترقت عقلي، وأنا أتساءل إن كنت سأحصل على تلك المرأة أم لا".

إن الفكر متقلّب جداً، وبالتالي فإن المجتمعات التي أرادت تثبيت الحياة العائلية لم تسمح للزيجات بأن تصل إلى المستوى السيكولوجي، فسعت إلى تثبيت الزواج عند المستوى الجسدي. فقالوا: "تزوّج، ولكن ليس عن حب. فإذا تحوّلت إلى الحب بعد الزواج، فلا بأس، وإلا فلتكن الأمور كما هي عليه".

إن الاستقرار ممكن على المستوى الجسدي، أما على المستوى السيكولوجي فهو صعب جداً. فالتجربة الجنسية هي أعمق وأكثر دقة على المستوى العقلي، ولهذا كانت التجربة في الغرب أكثر عمقاً منها في الشرق. وقد كتب علماء النفس الغربيون، من فرويد إلى يونغ، عن المرحلة الثانية للجنس، أي عن المستوى السيكولوجي. لكن الجنس الذي أتحدّث عنه هو المرحلة الثالثة منه،

والتي لم يفهمها أحد لغاية الآن، لا في الغرب ولا في الشرق. وذلك المستوى الثالث من الجنس هو المستوى الروحي.

وبما أن الجسد خامل، فهناك نوع من الثبات على المستوى الجسدي، كما أن هناك نوعاً من الثبات أيضاً على المستوى الروحي، ذلك أنه لا يوجد تغيّر على ذلك المستوى أيضاً: فكل شيء ساكن هناك.. وكل شيء خالد، وما بين هاتين المرحلتين يتواجد المستوى السيكولوجي، وهو غير ثابت.. مثل الذاكرة.

وتجربة الغرب تقع في هذا المستوى، ولهذا تنتهي الزيجات وتتفكك الأُسَر. فالزواج الناشئ عن التقاء الأفكار: لا يمكن أن ينتج وضعاً عائلياً مستقراً، والنزعة السائدة في الغرب الآن هي الطلاق. فهو يحدث هذه الفترة كل سنتين تقريباً، غير أنه يمكن أن يصبح كل ساعتين أيضاً! فالفكر يمكن أن يتغير حتى في كل ساعة! والمجتمع الغربي متفكك. أما المجتمع الشرقي، على سبيل المقارنة، فقد كان مستقراً، إلا أنه لم يكن قادراً أيضاً على سبر الأعماق السامية والدقيقة للجنس.

إن الرجل والمرأة اللذَين يلتقيان على المستوى الروحي، واللذَين يمكن أن يتّحدا روحياً.. ولو مرة واحدة.. يشعران أنهما اتحدا حتى نهاية حياتهما، فهناك سلاسة عميقة، والخلود والنشوة الصافية هما مهر القران.

إن الجنس الذي أتحدّث عنه هو الجنس الروحي، أي التجربة الإلهية. وما أبتغيه هو المنحى الروحي للجنس.

فإذا استوعبت ما أقوله، فستدرك أن حب الأم لابنها هو أيضاً جزء من الجنس الروحي. وبالطبع ستقول بأن هذا الكلام غريب، وسوف تتساءل عن هذه الرابطة الجنسية التي يمكن أن تتواجد بين الأم وابنها.

في الحقيقة لكي نفهم هذا الأمر بالكامل، علينا أن نتفحّص العديد من مظاهر الجنس الأخرى وتفاعلها بين الأب والزوجة والطفل.

فكما قلت لكم: إن الرجل والمرأة يلتقيان لبعض الوقت فقط، كما أن روحيهما تلتقيان، ولكن أيضاً للحظة فقط. وإذ يبقى الطفل في رحم الأم تسعة أشهر، يكون وجوده ووجود الأم واحد خلال هذه الفترة. والأب أيضاً يلتقي مع الزوجة في هذا المستوى: حيث يكون هناك وجود واحد فحسب.. كينونة واحده فقط. لكن هذا يحصل للحظة فقط، وبعدها ينفصلان. إذ يلتقيان لبرهة

فقط.. وبعدها يعودان كما كانا من قبل، وبالتالي فإن حميمية الأم تجاه طفلها، غير ممكنة تجاه زوجها، ولا يمكن أن تكون.

إن الطفل في الرحم يتنفّس نفس الأم؛ وقلبه ينبض من خلال قلب الأم، وكذلك دمه ودم الأم واحد، وحياتهما واحدة: فهو لم يصبح فرداً بعد، وما زال جزءاً من الأم. وفي الحقيقة لا يوجد شيء يملأ المرأة كالطفل، وليس هناك زوج يمكنه أن يملأ كيان زوجته مثلما يمكن للطفل، ولا يمكن للزوج حتى أن يمنح زوجته الشعور العميق بالحميمية مثلما يمكن للطفل. كما أنه لا يمكن لنمو الأم أن يكتمل ما لم تصبح أمّاً، وما لم تحقق المرأة الأمومة، فلا يمكن أن تتألق شخصيها بالكامل ولا يمكن أن يزهر جمالها. كما لا يمكن أبداً أن تتحقق لديها القناعة والرضا بالكامل ما لم تصبح أمّاً وما لم تعرف العلاقة الروحية العميقة التي توجد بين الأم وطفلها.

بموازاة هذا، أرجوا أن تبقي في ذهنك أنه بمجرّد أن تصبح المرأة أمّاً، سيضعف اهتمامها بالجنس تلقائيّاً، لأنها حصلت على شراب الأمومة الخفي: فقد تعايشت لمدة تسعة أشهر مع حياة جديدة نابضة، والآن أصبح لديها انجذاب قليل نحو الجنس.

والزوج يحتار أحياناً من فتورها، ولكونه أصبح أباً: فهذا لا يغيّر موقفه من الجنس في أية حال، فليست له علاقة عميقة بعملية الولادة، ولا يمتلك إحساساً بالوحدة الروحية مع الحياة الجديدة التي ولدت. ولكون المرأة أصبحت أمّاً فهذا يحدث تغييراً أساسياً فيها، في حين أن الأبوّة هي ببساطة تقليد اجتماعي؛ إذ يمكن للطفل أن ينمو بدون أب، لكن علاقته بأمه هي علاقة متجذّرة.

إن نوعاً جديداً من الطمأنينة والراحة يملأ كيان المرأة بعد إنجاب طفل. فإذا نظرت إلى امرأة أصبحت أمّاً، وإلى أخرى لم تنجب بعدُ، فسوف تشعر بالفارق بين هاتين الشخصيتين، وبمقدار الراحة التي تبدو على محيّاهن. ستجد الوهج والسكينة باديتان على وجه الأم.. تلك السكينة التي تراها في النهر الذي وصل إلى السهول.. في حين أنك ستشعر حيال المرأة التي لم تصبح أماً بعد، وكأنك أمام نهر يفور أثناء انسيابه من بين الجبال.. ستشعر بالصخب والهدير وهو يندفع مسرعاً نحو السهول، فالمرأة تصبح هادئة وساكنة من الداخل بعد أن تصبح أماً.

وفي هذا الصدد، أود القول بأن النساء اللواتي ابتلين بالولع بالجنس، كما هو شائع اليوم في الغرب، هن نساء لا يردن أن يصبحن أمّهات. فبعد الأمومة ينخفض انجذاب المرأة نحو الجنس فجأة، والمرأة الغربية التي ترفض أن تصبح أمّاً، تفعل هذا لمعرفتها بأنها حالما تصبح أمّاً، ستفقد رغبتها بالجنس، وهي تدعم إفراطها في الانغماس بالجنس بأن لا تصبح أمّاً.

إن حكومات الكثير من البلدان الغربية قلقون لهذا الأمر. فإذا استمر ذلك، فماذا سيحدث لسكان تلك البلدان؟ وفي حين نرى أنهم في الشرق قلقون تجاه مسألة الزيادة في عدد السكان، نجد أن الحكومات في الغرب تتخوّف من تناقص عدد السكان، ولن يحدث أي تغيير إذا قررت النسوة ألاّ يصبحن أمهات لكونهن يعرفن بأنهن سيفقدن الرغبة في الجنس.

إن القانون قد ينفّذ برامج تنظيم الأسرة لكنه لا يرغم المرأة على أن تصبح أمّاً. ومشكلة الدول الغربية هي أكثر تعقيداً من مشكلة الانفجار السكاني التي نعاني منها في الشرق، وإذ يمكننا إيقاف الزيادة السكانية بالقوة أو بالقانون، في حين لا يمكن أن نزيد العدد بسنّ القوانين. وفي المئتي سنة القادمتين ستتضخم هذه المشكلة في الغرب إلى حد كبير، بينما في بلدان الشرق يمكن أن تؤدي الزيادة المتفاقمة لعدد السكان إلى السيطرة على العالم بأكمله. وبشكل متزامن، مع مرور الوقت، ستنخفض العمالة الغربية، وسيتوجب عليهم جعل النساء يوافقن على أن يصبحن أمهات مجدداً.

لقد بدأ البعض من علمائهم النفسيين يروّجون لصالح زواج الأطفال. فالمرأة التي تدخل سن الرشد لن تهتم بأن تصبح أمّاً.. وستكون أكثر اهتماماً بالمتعة الجنسية.. ولهذا السبب ينصحون الناس بأن يتزوّجوا وهم صغار، وفي تلك الحالة لن تحصل النسوة على أية أفكار أخرى قبل أن يصبحن أمّهات.

كان هذا أيضاً أحد الأسباب التي تكمن خلف زواج الأطفال في الشرق؛ فهم يعرفون بأن الفتاة لن ترغب بالزواج لتصبح أمّاً عندما تغدوا مراهقة، وعندما تصبح واعية بالجنس وعندما تكون قد اختبرت شيئاً منه. فهذه العقلية، وهذا الانجذاب الكبير إلى الجنس، سيظل موجوداً لدى النساء حتى يعرفن ما سيحصلن عليه من خلال كونهم أمهات. لكنهن لا يمكن أن يدركن هذا إلا بعد تحقيق الأمومة. ولا توجد طريقة لكي يحصلن على لمحة منه قبل أن يصبحن أمّهات.

فلماذا تسعد المرأة بعد أن تصبح أمّاً؟ لأنها حصلت على تجربة إلهية مستمرة من الجنس الروحي مع طفلها. وهذا ليس إلا بسبب هذه الحميمية القوية التي توجد بين الأم والطفل. فالمرأة ستبسط حياتها لطفلها، ولا يمكن تصوّر أن تسلب طفلها حياته. إذ يمكن للمرأة أن تقتل زوجها.. وهذا يحدث في أحيان كثيرة.. وقد لا تقوم بذلك فعلياً، إذ يمكن أن تخلق في البيت الظروف التي تؤدي إلى النتيجة ذاتها. أما بخصوص طفلها، فلا يمكن حتى أن تفكّر في مثل هذا أبداً، وذلك لأن العلاقة التي تربطها بابنها عميقة جداً وفي غاية الحميمية.

ولكن في الوقت ذاته أريد القول بأنه عندما تنشئ المرأة علاقة عميقة مع زوجها، يصبح الزوج أيضاً طفلاً لها. ولن يكون بعد ذلك زوجها.

هنا يجلس الكثير من الرجال والنساء في هذا الاجتماع، وأرغب بأن أسأل الرجال الموجودين هنا إن كانوا لا يتصرفون تماماً كالأطفال الصغار عندما يكونون في مزاج طيب مع زوجاتهم. فهل تعرفون لماذا تمتد يد الرجل بلا وعي نحو صدر المرأة؟ لأنها يد لطفل صغير تمتد إلى صدر أمه. فما إن يقع الرجل في حب امرأة حتى تمتد يده بشكل تلقائي إلى صدرها. لماذا؟ وما علاقة الحب بالصدور؟ أو بالجنس؟ في الحقيقة لا علاقة للجنس بالصدور على الإطلاق، غير أن الطفل لديه صداقة عميقة مع صدر أمه، فطفولته كانت حافلة بالوعي الذي يوصله إلى صدر أمه، وهو خيط الحياة، فعندما يفيض الرجل بالحب يصبح ابناً!

فإلى أين تتجه يد المرأة؟ إن يدها تتجه إلى رأس الرجل، وتبدأ أصابعها بملاطفة شعره: وهذه هي ذاكرتها تجاه طفلها، فهي تلاطف شعر ابنها. لذلك، إذا نما الحب على المستوى الروحي بشكل كامل، سيصبح الزوج ابناً، ولهذا السبب ينبغي على الزوج أن يصبح ابناً. عندئذ يعرف المرء أنه وصل إلى المستوى الثالث للجنس، أي إلى المستوى الروحي، لكننا في الحقيقة نجهل هذه العلاقة.

إن العلاقة بين الرجل والمرأة هي بداية الرحلة، وليست نهايتها. وتذكّروا أن حالة التوتّر التي تنشأ باستمرار بين الزوجين سببها هذه الرحلة. فالرحلة مرهقة دوماً، والسلام لا يكون إلاّ في نهاية الرحلة.

ولن يهدآ الزوج والزوجة أبداً، لأنهما في حالة حركة مستمرّة.. ولأنهما دائماً على الطريق.. ومعظم الناس يهلكون في الطريق ولا يصلون أبداً إلى الهدف،

ولهذا السبب هناك دائماً حالة من النزاع بين الزوجين؛ نزاع على مدار الساعة، وهذا ما نسميّه "حباً".

وللأسف، فلا الزوج ولا الزوجة يفهمان السبب الحقيقي لهذا التوتر والنزاع. لأن منهما يعتقد أنه اختار الشخص غير المناسب. فالزوج يعتقد بأن كل شيء سيكون أفضل إذا تزوّج امرأة أخرى، والزوجة كذلك الأمر: تظن أن الأمور ستكون جيدة لو أنها تزوجت برجل آخر. إن ما أريد قوله لكم: هو أن هذه هي تجربة كل الأزواج في العالم، فإذا أتيحت لك الفرصة لتغيير زوجتك، فإن الوضع لن يتغيّر قيد أنملة، وستكون الحال كتبديل حمل النعش من كتف إلى كتف في الطريق إلى المقبرة: ستشعر بالراحة لفترة قصيرة، لكنك ستلاحظ مرة أخرى بأن الوزن قد عاد هو ذاته. تدلُ التجربة في الغرب، حيث يتفشّى الطلاق، على أن الزوجة الجديدة، وفي مدة قصيرة جداً، ستثبت أنها كسابقتها تماماً.. وفي غضون أسبوعين، سيُثبت الزوج الجديد أيضاً بأنه كالرجل الذي سبقه، والسبب لم يكن ليوجد على السطح، بل في الأعماق، ولا يمت بصلة إلى الفرد، ولا يتعلق بالرجل أو بالمرأة، بل في كون الزواج رحلة وتقدّم.

إن الزواج ليس هدفاً ولا غاية. فالغاية يمكن الوصول إليها عندما تصبح المرأة أمّاً وعندما يصبح الزوج ابناً.

أحد الأصدقاء سأل عن شيء يتعلق بهذه القضية، وهو يقول أنه لا يقبل بأن أكون مرجعاً للجنس، وأنه حضر إلى هنا مع بعض من أصدقائه ليسمعوا كلاماً عن الله، ولهذا يتوجب علي أن أتحدث عن الله فقط.

ربما أن هؤلاء لا يدركون أنه من غير المفيد أن يستفسروا عن الله من شخص لا يعتبرونه مرجعاً حتى في الجنس. فهل تسأل شخصاً عن القمة الذهبية وهو لا يعرف شيئاً عن القاعدة؟ إذا لم يوافقك ما ينبغي أن أقوله عن الجنس، إذن فلا يجب أن تسألني عن الله أيضاً. إذا لم يكن من اللائق أن أتحدّث عن الخطوة الأولى، فكيف أتحدث إذن عن الخطوة الأخيرة؟

إن الجانب النفسي الذي يكمن خلف هذا السؤال هو أن "الكاما" و "الراما"، أي الرغبة والقداسة، يعتبران لغاية الآن عدوّين لبعضهما البعض. وهذا إلى الآن يعني ضمنيا بالنسبة لهؤلاء: أن البحث في الدين لا علاقة له بالجنس، وأن الذين ينقّبون في الجنس لا يمكن أن يكون لهم علاقة بالروحانية.

وفي الحقيقة إن كلا التفسيرين ليسا سوى أوهام، فالرحلة إلى الرغبة هي أيضاً رحلة إلى الله، والانجذاب الهائل نحو الجنس هو أيضاً بحث عن الأسمى.

وبما أن الإنسان مغلّفٌ في الجنس تماماً، فهو لن يشعر أبداً بأن رحلته كاملة.

وما لم تتحقق الكاما، أي الرغبة، وما لم تتصعّد، فإن بحثه لن يتوقّف. وإن سعي هؤلاء الذين يعيبون الرغبة في محاولتهم الوصول إلى راما، إي إلى الله، ليس مسعى أصيلاً؛ وهذا ليس إلاّ هروباً باسم الله، فهم يختبئون خلف فكرة السعي إلى الله من أجل الهروب من الرغبة، وهذا لأنهم يخافون بشكل مميت من الجنس، ولأن حياتهم هي في حالة هياج جنسي متواصل، وهم يبحثون عن ملاذ عبر تكرار اسم راما، راما، راما، راما، لكي يتمكنوا من نسيان الكاما.. أي الجنس.

عندما تلاحظ شخصاً يردد اسم راما، فانظر إليه عن كثب، وسترى بأن صدى كاما يتردد خلف اسم راما، لأن وعي الجنس موجود هناك. وإذا لاحت لنظرهم امرأة: فسيبدؤون بترديد سبحتهم المعتادة: "راما، راما، راما"، ويسرّعون بتدوير خرزاتها بسرعة هائلة وهم يرتّلون اسم راما بأعلى صوتهم. أما الكاما فهي تضغط عليهم من الداخل، فيحاول هؤلاء الانهزاميون تجاهلها وإغراقها وقمعها بترديد اسم راما. فلو أمكن لهذه الخدعة البسيطة أن تغيّر حياة المرء، لكان العالم قد تغير إلى الأفضل منذ زمن طويل، غير أن الدين لا يتحقق بهذه البساطة.

من المهمّ أن تعرف الكاما إذا أردت الوصول إلى راما.. إذا أردت البحث عن الله. لماذا؟ إليك مثال رجل يريد الذهاب من مدينة بومباي إلى مدينة كالكوتا. فأولاً عليه أن يحصل على معلومات عن كالكوتا.. أين تقع؟ وفي أي جهة هي؟.. ولكن إذا لم يكن يعرف أين تقع بومباي، وفي أي جهة هي من كالكوتا، فكيف سينجح في مهمته؟ لكي نصل من بومباي إلى كالكوتا فمن الضروري جداً أن نعرف أين تقع بومباي أولاً.

إذا كنت لا أعرف أين تقع بومباي، فإن معلوماتي عن كيفية الوصول إلى كالكوتا عديمة القيمة، ولابد رغم كل شيء أن أبدأ من بومباي، لأن رحلتي تبدأ من بومباي. إن نقطة البداية تأتي أولاً، أما الوجهة فتأتي لاحقاً.

أين تقف الآن؟

تقول بأنك تتوق للقيام برحلة إلى راما؟ هذا جيّد.

وتقول بأنك ترغب بالوصول إلى الله؟ جيّد جداً.

ولكن أين تقف الآن؟

في الواقع أنت تقف الآن في الرغبة؛ تقف الآن في الجنس.. ومن هذه النقطة، من حيث أنت الآن، عليك أن تتخذ الخطوة الأولى، فمن المهم أن تدرك أين أنت الآن. وبتقبّل هذه الحقيقة البسيطة، وبفهم هذه الحقيقة المرّة، يمكنك أيضاً رؤية إمكانية المستقبل. ولكي تعرف ما الذي تستطيع تحقيقه، فمن المهم أن تعرف من أنت. ولكي تصل إلى الخطوة النهائية، فمن الضروري أن تبدأ بالأولى.. ذلك أن الخطوة الأولى ستمهّد الطريق إلى الثانية، وفي نهاية الأمر إلى الخطوة الأخيرة من الرحلة. فإذا اتخذت الخطوة الأولى في الاتجاه الخاطئ فلن تصل إلى الوجهة المطلوبة أبداً؛ وربما تنتهي إلى الصحراء بدلاً من ذلك. وبالتالي إذا كنت ترغب بالوصول إلى المطلق، فمن المهم جداً بالنسبة لك أن تفهم الكاما، وبعدها تفهم الراما. وفي الحقيقة لا يمكنك الوصول إلى الله من دون أن تفهم الجنس أولاً.

وأنا مطّلع أيضاً على آراء فرويد حول الجنس، والتي ربما تكون قيّمة ومقبولة، لكنني تساءلت كيف يمكن أن أعتبرها حقيقية وصادقة.

كيف تستطيع أن تقرر ما إذا كنتُ صادقاً وأميناً أم لا؟ في هذا الصدد، مهما أقول، لن يكون حاسماً لأنني أنا نفسي موضوعاً قيد الدراسة. فإذا قُلتُ إنني صادق فهذا كلام لا معنى له. وإذا قلت إنني غير صادق فهذا أيضاً لا معنى له، لأن هذا الموضوع بالذات مطروح للنقاش سواء كان الشخص الذي يدلي بهذا التصريح صادقاً أم غير صادق. لذلك مهما قلت في هذا الصدد سيكون بلا معنى؛ وسيكون تافهاً.

إنني أقول: جرّب الجنس واكتشف بنفسك ما إذا كنت صادقاً أم لا. سوف تكتشف حقيقة أقوالي عندما تحقق التجربة بنفسك.. ولا توجد طريقة أخرى.

فعلى سبيل المثال، إذا كنتُ أتحدث عن طريقة معيّنة في السباحة، فربما ينتابك الشك فيما إذا كانت طريقتي عملية أم لا. وجوابي على هذا سيكون بأن أطلب منك أن تذهب إلى نهر وتخوض فيه. فإن كانت نصيحتي تساعدك على السباحة في النهر، فستعرف بأن ما قلته لك لم يكن عديم القيمة ولا نفاقاً.

أما فيما يتعلّق بفرويد، فأنا أرغب بأن أوضّح لهذا الصديق بأنه من المحتمل جداً أن فرويد لم يكن مدركاً لما أقوله لكم هنا، لأن فرويد كان أحد المتنبّئين القلائل الذين قادوا البشرية نحو التحرر الجنسي، ولكن لم تكن لديه أي فكرة من أي نوع عن وجود الجنس الروحي. فالمعرفة التي نظّمها فرويد كانت تتعلق بالجنس المَرَضي، أي أن أبحاثه كانت في علم الأمراض.

لقد كان فرويد طبيباً نوعاً ما، واكتشافاته استُخدمت كعلاجات وُزّعت على الناس المرضى. وهو لم يدرس الجنس السليم والعادي، فكان عالماً باحثاً يتعامل مع المرض والشذوذ، وكان جل تفكيره ينصبُ بشكل أساسي على العلاج والمداواة.

لذلك إذا كنت مصراً على التأكّد من صدقية ما أقول، فما عليك إلاّ أن تتحول إلى فلسفة التانترا[1]. فالتانترا قامت بمحاولات مبكّرة لروحنة الجنس،

---

[1] التانترا في السنسكريتية تعني "النسيج" أو ينسج، ويوغا التانترا أو مذهب التانترا هو إحدى التقاليد الباطنية المتجذّرة في ديانات الهند. والتانترا بأشكالها الهندوسية والبوذية واليانية والشامانية، تتواجد في معظم دول آسيا بدءاً من الباكستان فمنغوليا واليابان والتيبت والهند ونيبال وسيريلانكا وكوريا وكمبوديا وبورما وغيرها.

في المقطع التالي يحاول ديفيد غوردون وايت التنبيه على ضرورة التعريف الدقيق للتانترا حيث يقول: "التانترا هي ذلك الجسد الآسيوي للمعتقدات والممارسات التي تعمل من مبدأ أن العالم الذي نعرفه ليس سوى تجلّيات ملموسة ومحسوسة للطاقة المقدسة للربوبية التي تخلق الكون وتحفظه. والتانترا تحاول السيطرة على تلك الطاقة وتوجيهها بطريقة عقائدية ضمن الكون الأصغر الذي هو الإنسان بطرق خلاّقة غايتها التحرر والانعتاق".

المستشرقون الأوائل في الغرب شتموا التانترا واعتبروها قوة إباحية هدّامة منحلة الأخلاق وغير اجتماعية وتخريبية حرّفت الهندوسية الكلاسيكية. ولكن الكثيرين اليوم، خلافاً لتلك النظرة، يرون أنها قدّاس مساواة اجتماعية بين الجنسين، ينصف والمرأة والجسد.

فضلاً عن ذلك النظام المتماسك، فالتانترا هي مجموعة أفكار وممارسات تتميز عن غيرها في استخدامها للطقوس وفي تعاملها مع الطاقة. تتعالى على مفهوم الخطيئة والأمور الدنيوية للوصول إلى ما هو فوق دنيوي، كما تسعى إلى مماثلة الكون الأصغر أي الإنسان مع الكون الأكبر. فممارس التانترا يحاول استغلال الطاقة الإلهية التي تنساب من الكون (بما فيها جسده) لتحقيق أهدافه. وهذه الأهداف قد تكون روحية أو مادية أو كليهما معاً.

وبالرغم من أننا حُرمنا من التفكير بالتانترا منذ آلاف السنين، فإن نُصُبَ خاجوراهو ومعابد بوري كوناراك هي شواهد حية. فهل ذهبتَ من قبل إلى خاجوراهو؟ هل رأيت الصور هناك؟ إذا حصل هذا، إذن لا بد وأنك اطلعت على ظاهرتين مدهشتين. الأولى هي أنك حتى بعد أن تشاهد صور الأزواج العارية في الجماع، فلن تشعر بأي إحساس مبتذل؛ ولن ترى أي شيء قبيح أو سيء في صور النساء والرجال العراة. والشيء الثاني هو أنك ستختبر معنى السلام وسيغلّفك شعور بالقداسة، وستُفاجأ من ردة فعلك. فقد كان الذين تخيّلوا هذه التماثيل، وصنعوها، أناساً رأوا وعرفوا الجنس الروحي بشكل وثيق.

فإذا رأيت تمثالاً في وضع جنسي ونظرت إلى وجهه وعينيه فسيبدو قبيحاً، ومخيفاً ومتوحشاً؛ سترى الشهوة المزعجة والوحشية بادية في عينيه، لأن المرأة عندما ترى رجلاً يقترب منها وهو ممتلئ بالرغبة، فسوف ترى فيه عدواً يقترب منها وليس صديقاً، حتى لو كان عزيزاً عليها. ولن يبدو لها كائناً بشرياً، بل سيكون كرسول قادم من الجحيم.

غير أنك ستجد على وجوه تلك التماثيل ظلاً لعظَمَة بوذا، وسترى الانعكاس السامي لمهافير، والاتزان والصفاء اللذان يبدوان على وجوه تلك التماثيل، هما من السمادهي، حيث تنبعث منها قدسية هادئة. إذا تمعنت في تلك التماثيل: ستغمرك ليس أقل من موجة سلام أبدي مهيبة.

فإذا خشيت من أن تستحوذ عليك الرغبة الجنسية بعد رؤية التماثيل، فاذهب مباشرة، ودون تأخير، إلى خاجوراهو. فخاجوراهو هو صرح فريد على هذه الأرض، رغم أن الأخلاقويين مثل شري برشوتاماداس تاندون وزملائه، يرون أن جدران خاجوراهو ينبغي تغطيتها بطبقة من الطين الأحمر، وذلك لأنهم

إن ممارسي التانترا يعتبرون أن توجيهات المعلم بالغة الأهمية. والتانترا لديها عدة وسائل للتعامل مع الطاقة إضافة إلى السيطرة على الجسد لتشغيل العمليات التي ستصله بالألوهة. ومن الأشياء الهامة أيضاً أن التانترا تستخدم المانترات التي تحمل في باطنها تصوّراً للألوهة للولوج إلى عالم القداسة. كل هذه العمليات غرضها إيصال الطامح إلى حالة يتماثل فيها مع الألوهة ليصل إلى حالة التحرر والانعتاق. (المترجم)

- للمزيد من الاطلاع: راجع كتاب "أوشو" رؤية التانترا – سر التجربة الداخلية، دار الطليعة الجديدة، ترجمة أيمن أبوترابي.

اعتقدوا أن تلك الصور تجعل الناس جنسويين، وقد ذُهلتُ حينما سمعت بهذا! فقد كان لبنّائي خاجوراهو هدفاً: وهو أنه إذا جلس الناس أمام التماثيل وتأمّلوا فيها، فسوف يتحررون من الرغبة. لقد كانت هذه الصور هدفاً للتأمّل منذ آلاف السنين؛ ويعتبر مثالاً رائعاً لنا أن الشهوانيين كانوا يطلبون الذهاب إلى معبد خاجوراهو ليتأمّلوا في التماثيل ويفقدوا ذواتهم فيها.

وبالرغم من أننا في كثير من الأحيان قد لاحظنا هذه الحقيقة نفسها في التجربة البشرية العادية، إلا أننا بالفعل لم نكن قادرين على رؤيتها. فعلى سبيل المثال، إذا صادف ورأيت شخصين يتشاجران في الطريق، فستشعر بالرغبة في التوقف، ومشاهدة العراك. لماذا؟ هل فكرت بما ستجنيه من رؤية الآخرين وهم يتعاركون؟ إنك تترك العمل المتراكم جانباً وتتوقف لمدة نصف ساعة لمشاهدة الناس وهم يتعاركون. كما أنك تذهب أيضاً إلى مباريات الملاكمة، لماذا؟ ربما لا تدرك بأن لها أثراً علاجياً عليك: فبمشاهدة رجلين يتعاركان سوف تُرضي غريزة القتال الكامنة في داخلك، فتتبدد وتتخلّص منها وتصبح أكثر هدوءاً. وكذلك إذا جلس المرء وتمعّن بعقل هادئ في صور الجماع: فيمكن أن يتبخّر ذلك المهووس الداخلي.. ذلك النشاط الجنسي الأحمق للإنسان.

ذهب رجل إلى طبيب نفسي يعرض عليه مشكلة: فقد كان متضايقاً جداً من رئيسه. فإذا قال له رئيسه أي شيء، يَغضبُ على الفور ويشعر برغبة في نزع حذائه ليضرب رئيسه به.

ولكن، كيف يمكن أن تضرب رئيسك؟ هل هناك شخص لم يشعر برغبة في ضرب رئيسه في موقف ما؟ في الحقيقة من النادر أن يوجد مثل هذا الموظّف.

على أية حال، استمر الرجل في قمع رغبته لضرب رئيسه، ولكن بدأت تتشكل لديه عقدة بسبب هذا الأمر، ولخشيته بالفعل من أن يضرب رئيسه يوماً ما، فقد أخذ يترك حذاءه في البيت، بيد أنه لم يصرف النظر عن الحذاء، فعندما شاهد رئيسه، امتدّت يده تلقائياً نحو قدميه، لكنه لحسن الحظ قد تركَ الحذاء في المنزل: فشعر بالراحة بعض الشيء لأنه يعلم بأنه يوماً ما، وهو في حالة جنون، ربما يخلع حذائه ويرمي به رئيسه.

غير أنه لم يحرر نفسه من الحذاء بتركه في المنزل، فقد استمر الحذاء في مخيّلته بالتضخم.

فإذا كان يعبث بقلم، تراه يرسم حذاء على الورق؛ وفي لحظات الخمول يخطط شكل حذاء. لقد ملأ الحذاء تفكيره، وكان يخشى كثيراً من أن يُقدم على يضرب رئيسه في لحظة ما.

وفي المنزل، أخبر عائلته بأنه من الأفضل أن لا يذهب مطلقاً إلى المكتب. والآن أصبحت حالته العقلية -في ظل أنه ليس بحاجة إلى أحذية- على الشكل التالي: قد ينتزع حذاء شخص ما ليضرب به رئيسه، فبدأت يده تتحرك حتى إلى أقدام زملائه. عندئذ قررت عائلته أنه حان الوقت المناسب لأخذه إلى طبيب نفسي، وهكذا ذهب إلى الطبيب النفسي.

فقال الطبيب إن مرضه لا يثير القلق كثيراً لأنه قابل للعلاج، فنصحه بأن يعلّق في المنزل صورة لرئيسه ويضربها بالحذاء خمس مرّات كل صباح، ويجب أن تُضرَب الصورة بإخلاص قبل أن يمضي إلى مكتبه، علاوة على هذا، فإنه لا ينبغي أن يفوّت يوماً واحداً، وتلك الطقوس يجب أن تشاهَد يومياً، تماماً مثل صلاة الصباح، وبعد أن يعود من مكتبه كل يوم عليه أن يكرر تلك العملية.

في البداية كانت ردة فعل الرجل بأن قال: "أي هراء هذا"، لكنه بالرغم من أنه كان مذهولاً لهذه الفكرة، فقد شعر بسعادة كبيرة حيالها، فتم تعليق الصورة، وبدأ بتنفيذ الطقوس المحددة.

في اليوم الأول، عندما ذهب إلى المكتب بعد أن ضرب الصورة خمس مرّات، لاحظ إحساساً غريباً: لم يشعر بالغضب تجاه رئيسه كما في السابق.

وخلال أسبوعين أصبح مهذّباً جداً تجاه رب عمله، كما لاحظ رئيسه أيضاً هذا التغيّر، لكنه بالطبع لم يكن مدركاً لما حصل. وأخبر الموظف ذاته أيضاً أنه أصبح مهذّباً ومطيعاً جداً، ولطيفاً بالفعل، ثم طلب أن يعرف ما الذي حصل. فقال الموظّف: "أرجوك لا تسألني عن هذا، وإلا سيعود الاضطراب مجدداً إلى كل شيء، لا يمكني إخبارك أبداً".

فما هي الحقيقة التي تكمن خلف هذه القصة؟ هل يمكن في الواقع تحقيق أي شيء بضرب صورة؟ في الحقيقة نعم.. لأنه ببساطة، من خلال ضرب الصورة، يختفي ويتلاشى هاجس الإنسان لضرب رئيسه بالحذاء.

إن معابدَ مثل خاجوراهو وكونارك وبوري يجب أن تكون في كل زاوية وركن من هذا البلد. إذ لا يوجد شيء مهم في المعابد الأخرى، فلا يوجد فيها شيء علمي، كما أنها بلا تخطيط وليس لها أي معنى. ولا حاجة لها على الإطلاق.

لكن وجود معابد خاجوراهو وما شابهها، مليء بالمعنى. إذ ينبغي لأي شخص يشغل الجنس تفكيره بشكل مفرط أن يذهب إلى تلك المعابد ويتأمل فيها. وعندما يعود سوف يستنير قلبه ويكون في سلام. لقد سعى التانتريون إلى تحويل الجنس إلى الروحانية، لكن خطباء الأخلاق في بلدنا لم يسمحوا بوصول هذه الرسالة إلى العامة، وهؤلاء هم الذين أرادوا إسكاتي.

عندما عدت إلى جابالبور، وبعد ثلاثة أيام من أحاديثي في قاعة البهاراتيا فيديا بهافان في بومباي، وصلتني رسالة من صديق يقول فيها: إنني إذا تابعت هذه الأحاديث فسوف أُقتَل.

فأردت أن أرد عليه، ولكن يبدو أن ذلك السيد العدواني هو شخص جبان: لأنه لم يوقّع رسالته، ولا أعطى عنوانه، لأنه ربما كان خائفاً من أن أبلّغ الشرطة. ومع ذلك، إذا كان حاضراً هنا، فينبغي أن يتقبّل إجابتي الآن. وحتى إذا كان موجوداً هنا، فأنا متأكد من أنه يختبئ خلف جدار أو شجرة ما.

فإن كان موجوداً حولنا في أي مكان، أريد أن أقول له بأنني لن أبلّغ عن التهديد، لكنه ينبغي أن يعطيني اسمه وعنوانه حتى أتمكن من إرسال رد له، ولكن إذا كان لا يجرؤ على ذلك، فسأعطيه إجابتي هنا، وعليه أن يصغي بعناية.

من الجائز أنه لا يدرك ما أقول، لكنه في المقام الأول، لا يجب أن يتعجّل في قتلي، لأنه بإطلاق الرصاصة، سيصبح كلامي حقيقة أبدية. فلو أن يسوع لم يُصلَب، لكان العالم نسيه منذ زمن طويل. لقد كان الاضطهاد، بشكل ما، مفيداً ليسوع. يقول الكاتب جورج جوزيت: إن يسوع قد خَطط لعملية صلبه؛ لقد أراد يسوع نفسه بأن يُصلَب، وبالتالي ستصبح كل كلمة وعظ بها حقيقة حية لعهود طويلة وتكون مفيدة لملايين الناس. وهذا الكلام جائز إلى حد ما. فقد كان يهوذا الذي باع المسيح بثلاثين روبية، من أحب تلامذته. وما لا يمكن تصديقه: أن الشخص الذي قضى سنوات كثيرة مع يسوع، يمكن أن يبيعه بمثل هذا المبلغ التافه، ما لم يقترح عليه يسوع بنفسه بأن يفعل ذلك، وما لم يقترح يسوع ذاته بأن يتحوّل يهوذا ويرتّب مسألة الاضطهاد لتصبح كلماته ينبوع رحيق أبدي تحرر البلايين من البشر.

وكان يمكن لو صُلب ماهافير أن يكون هناك ثلاثمئة مليون ياني في العالم، وليس ثلاثة ملايين فقط. لكن ماهافير توفّي بهدوء، وربما لم يفكّر أبداً في الموت على الصليب، ولم يحاول أحد فعل ذلك، ولا حاول أن يرتب لهذا الأمر

بنفسه. ولم يسعَ إلى ذلك بوذا، ولا النبي محمّد، ولا راما، ولا كريشنا، ولا مهافير، ما عدا يسوع الذي سُمّرَ على الصليب.. فالعالم اليوم نصفه من المسيحيين، وربما يتحول العالم بأكمله ذات يوم إلى المسيحية، وهذا هو الجانب الأكثر إشراقاً للصلب.

لهذا أقول لصديقي: بأن لا يتسرع كثيراً في إطلاق الرصاص علي، وإلاّ سوف يندم على فعلته طوال حياته.

والأمر الثاني: هو أنه لا يجب أن يقلق كثيراً بشأن ذلك، لأنني لا أنوي أن أموت ميتة طبيعية، فعندما يحين الوقت المناسب، سوف أبذل أقصى جهدي لكي أرى ذلك الشخص، أو غيره وهو يطلق علي النار. عليه ألا يتسرّع: لأنني سأرتّب هذا الأمر بنفسي. صحيح أن الحياة مفيدة، ولكن عندما يُغتالُ شخص، يصبح الموت مفيداً أيضاً. فالموت بالرصاص يمكن أن يحقق ما لا يمكن للحياة أن تحققه في كثير من الأحيان.

وهؤلاء الذين يكررون دائماً نفس الخطأ .. هم ذاتهم الذين سمموا سقراط، وقتلوا الحلاج، وصلبوا المسيح، وكل هذه الأعمال كانت أعمالاً صبيانية، وكلها كانت محاولات فاشلة.

ومؤخّراً أيضاً، لم يدرك الشخص الذي أطلق الرصاص على غاندي بأن لا أحد من أتباع غاندي سينجح في إطالة أمد ذكرى غاندي إلى الحد الذي يمكن أن يحدثه الاغتيال.

لقد طوى غاندي يديه في أعظم انحناءة لقاتله عندما أطلق عليه الرصاص، وكان يموت. كانت تلك الانحناءة وطي تلك الأيدي: ذات مغزى كبير جداً. كانت تعبراً عن الشعور بأن التلميذ الأخير، والأفضل لغاندي قد جاء أخيراً: وهو الرجل الذي سيخلّد غاندي، فقد أرسل الله الرجل المطلوب.

في الحقيقة لا أحد يموت بالاغتيال؛ إنه لا يساعد سوى على تخليد الإنسان، فحبكة الحياة معقّدة، وقصة الحياة مليئة بالإثارة، والأشياء ليست بهذه البساطة مثلما تبدو. فالإنسان الذي يموت ميتة طبيعية: يموت إلى الأبد، بينما الإنسان الذي يموت برصاص قاتل متعصّب: لن يموت أبداً.

بينما كان يُحضّرُ السم لسقراط، سأله بعض من أصدقائه عن كيفية التعامل مع جسده بعد أن يموت: "هل ينبغي أن تُحرق الجثة، أو تُدفَن أم ماذا؟"

فضحك سقراط وقال "أيها السخفاء! أنتم لا تعرفون أنكم لن تستطيعوا دفني أبداً. سأعيش حتى بعد أن تموتوا جميعكم. واللعبة هي أنني اخترت الموت لأعيش إلى الأبد".

وبالتالي، بالنسبة لصديقي، إذا كان موجوداً هنا، عليه ألا يتصرف بشكل طائش، وإلاّ سيجد نفسه على الفور بأنه هو الخاسر. فلن يصيبني أذى، وأنا لست ممن يقتلهم الرصاص، بل واحد من أولئك الذين يبقون أحياء بإطلاق الرصاص عليهم، فلا ينبغي أن يتسرّع بقتلي، ولا ينبغي أن ينزعج أيضاً: لأنني سأبذل قصارى جهدي لكي لا أموت ميتة طبيعية. فهذا النوع من الموت لا يليق بي: لأنه موت لا قيمة له. والنقطة الثالثة هي أن يتذكّر بأن لا يخاف من توقيع الرسائل، ولا أن يخشى من إعطاء عنوانه.

فإذا كنتُ مقتنعاً بأن هناك شخصاً شجاعاً إلى درجة كافية، ومستعداً تماماً لإطلاق النار علي، فسوف ألتزم بالموعد من دون أن أخبر أحداً، حتى لا يتّهم لاحقاً.

ولكن لا يوجد شيء غريب بالنسبة لهذا الرجل، فقد كتب رسالته وهو مقتنع بأنه يحمي الدين، كتبها لأنه اعتقد بأنني أردت تدمير الدين، وهو يريد استعادة الدين. لم تكن نواياه خبيثة، ومشاعره كانت صادقة جداً وهي بالنسبة له مشاعر دينية خالصة.

وهؤلاء الذين يسمّون بالناس المتديّنين يلعبون بعواطف العالَم أجمع. ربما تكون نواياهم حسنة جداً، لكن تفكيرهم ضحل جداً، فمنذ عصور، خنق هؤلاء المغرورون وأمثالهم عملية النمو الكامل للحقيقة، وانتشر الجهل على نطاق واسع بسبب خنقهم للمعرفة بالطريقة نفسها. فنحن نتخبّط في الظلمة، وتهنا في ظلام الجهل الدامس. وفي وسط ظلامنا: بنى هؤلاء الخطباء الأخلاقيون منابر طويلة لكي يلقوا علينا مواعظهم.

ولكن بالمقابل أيضاً، عندما يبدأ شعاع الحقيقة في البزوغ في حياتنا، سيصبح هؤلاء الوعّاظ عاطلين عن العمل. وعندما نكون قادرين على إحداث صلات حية مع الله، وعندما نتوصل لمعرفة السامادهي، وعندما تبدأ حياتنا الدنيوية والعادية في التحوّل إلى حياة إلهية، فلن يبقى أي عمل لهؤلاء الواعظين

والخطباء. عندما يبدأ الناس بتلمّس طريقهم في الظلام لا يعود للواعظ أي فائدة.

إن الحاجة للطبيب تبرز عندما يصبح الناس مرضى، ولكن إذا كف الناس عن الوقوع في المرض، فلن تكون هناك حاجة للطبيب. وكحال مهنة الخطابة، تزدهر مهنة الطب على الصراع الداخلي، لأن معيشة الطبيب تعتمد على الناس المصابين بالأمراض، ففي الظاهر يعالج الطبيب المرضى، أما في الداخل فهو يأمل بأن يزدادوا مرضاً. وعندما يكون هناك وباء، يشكر الله على هذا العمل.

سمعت قصّة تقول: ذات مساء، أقام مجموعة من الأصدقاء حفلة كبيرة، فأكلوا وشربوا واستمتعوا حتى بزوغ الفجر، وعندما بدؤوا بالانصراف، طلب مالك الفندق من زوجته أن تشكر الله لأنه أرسل لهم هذا العدد الكبير من الزبائن، فإذا استمر هذا المجون فسيصبحون أغنياء. أما المضيف الذي كان يدفع الفاتورة، فقد طلب من المالك أن يصلّي لأجل أن يعودوا مجدداً لكي يزدهر عمله أيضاً.

فسأله المالك: "بالمناسبة، ما هو عملك سيدي؟"

أجاب المضيف: "إنني متعهد دفن الموتى، فعملي يزدهر أكثر عندما يموت الناس".

وبالمثل، فقد تكون مهنة الطبيب معالجة الناس، ولكن كلما مرض الناس أكثر، كلما جنى مالاً أكثر، وهو يأمل ضمنياً بأن لا يتعافى مرضاه بسرعة، ولهذا السبب تتطلب عملية الشفاء وقتا لكي يتعافى المرضى، وخصوصاً الأغنياء منهم. أمّا المرضى الفقراء فيتماثلون للشفاء بسرعة: لأن الطبيب لا يحصل على الكثير من المال إذا مرض الفقير لمدة طويلة.

إن الكسب يأتي من المرضى الأغنياء، ولهذا يعمل الطبيب ببطء عندما يعالج الغني. وعلى أية حال فالأغنياء معتلّون دائماً، وهم الإجابة لصلوات الأطباء.

والواعظ يندرج في الخانة نفسها، إذ كلما كان الناس لا أخلاقيين وعدوانيين، وكلما عمّت الفوضى أكثر، كلما ارتفع منبره أكثر.. عندئذ تزداد الحاجة للواعظ لكي يحض الناس على اللاعنف، وعلى أن يتصرفوا باستقامة، وينتبهوا للنظام، ويلتزموا بالقانون، وهلم جرّا. فإذا تصرّف الناس باستقامة

والتزام وانضباط، وكانوا مسالمين وصادقين وأتقياء، فإن مهنة الخطيب سيصيبها الكساد.

فلماذا يوجد الكثير من الخطباء وما يسمى بزعماء الدين في الهند..أكثر من أي مكان في العالم برمّته؟ لماذا يوجد في كل قرية، وفي كل منزل، عالم دين أو معلّم أو راهب أو كاهن؟ لماذا يوجد هذا الجيش الكبير من زعماء الدين في هذا البلد؟

ينبغي للمرء ألا يفترض أننا أناس متديّنون بشكل عميق باعتبار أن لدينا الكثير من القدّيسين والمعلّمين. ففي الحقيقة: نحن اليوم إحدى أكثر البلدان كفراً ولا أخلاقية في العالم. ولهذا السبب يجد الكثير من الخطباء فرصاً ذهبية في بلدنا، وقد أصبح الوعظ سمتنا القومية.

أرسل صديق لي مقالاً من مجلّة أمريكية، وأراد أن يأخذ رأيي في العيب الذي لاحظه فيه، وكان مقالاً مضحكاً: إذ يقرر أن السمة القومية لأي بلد يمكن التحقق منها: وذلك بأن نأخذ شخصاً ثملاً من ذلك البلد.

فإذا أصبح الهولندي ثملاً، كما يذكر المقال، فسوف ينقضّ على الطعام ويرفض ترك المائدة بعد تناوله الشراب قبل ساعتين أو ثلاث ساعات. وإذا ثمل الفرنسي: فإنه يصبح متوتّراً، ويريد أن يرقص أو يغنّي. أما إذا ثمل الإنكليزي: فسوف يذهب إلى ركن ما ويجلس فيه وينطوي على نفسه. فالإنكليزي عادةً هو شخص هادئ، وعندما يصبح ثملاً يصبح أكثر هدوءاً. وهذه هي ردود الفعل النموذجية المختلفة طبقاً لما ورد في المقال.

ولكن، بطريق الخطأ أو بسبب الجهل، لم يأت المقال على ذكر الهندي. وصديقي يسألني ما إذا كان لدي شيئٌ أقوله عن شخصية الهندي، فما الذي سيحدث إذا أفرط الهندي في الشراب؟ فكتبت له ذالك الجواب الشائع عالمياً: عندما يصبح الهندي ثملاً: يبدأ بالوعظ على الفور، وهذه هي سمتنا القومية.

إن هذا الطابور الذي لا ينتهي من الخطباء، والزهّاد، والرهبان، والمعلّمين: هو دلالة على مرض واسع الانتشار، ودلالة على تفشي اللا أخلاقية بشكل كبير. وأغرب ما في الأمر هو أن لا أحداً منهم يريد لهذا الانحلال أن ينقرض، ولا أحد يريد لهذا المرض أن يُستأصل.. لأنه عندما يبرأ الخطيب من مرض الخطابة فإنه لن يستطيع المقاومة طويلاً. وستستمر رغبته الداخلية في المرض وتزداد تلك العلة.

وأسهل طريقة لكي يسمح لهذا المرض بالاستمرار دون رقيب أو حسيب هي أن يعيق نمو المعرفة الشاملة عن الحياة، وتخويف الناس من فهم السمات العميقة والهامة لها.

والجهل بهذه الحقائق هو الذي يتسبب تلقائياً بانتشار الانحراف والفجور والفساد. فإذا سعى الناس لإدراك ومعرفة هذه الحقائق النيّرة والعميقة للحياة، فعندئذ ستبدأ الهرطقة وأمراضها اللاحقة بالتلاشي تباعاً.

أريدُ أن ألفت انتباهكم إلى حقيقة أن الجنس هو الجانب المسؤول في الحياة بشكل كبير عن العُهر، وهو دائما السبب الأساسي للانحراف والفساد والغباء عند الإنسان. ولهذا السبب لا يريد زعماء الدين التحدّث عنه أبداً.

صديق آخر أرسل لي رسالة يقول فيها أنه لا يوجد أي قدّيس أو معلّم يتحدث عن الجنس، وإن الاحترام الكبير الذي كان يكنّه لي، قَلَّ بسبب أحاديثي عن الجنس. وأنا بدوري أود أن أقول له: إنه لا يوجد سبب يجعل ظنه يخيب فيّ. أولاً وقبل كل شيء، إذا كنت تحترمني فهذا خطؤك. فما الداعي لأن تجلّني؟ وما الذي يدفعك لهذا؟ ومتى طلبت منك الاحترام؟ فإذا كنت تُكنُ الاحترام لي فهذا خطؤك، وإذا لم تعد تميل إلى ذلك: فهذا شأنك. فأنا لست ماهاتما، ولست ميّالاً لأن أكون ماهاتما. فلو كانت لدي أدنى رغبة في أن أصبح ماهاتما، لما اخترت هذا الموضوع في المقام الأول. فالمرء لا يمكن له أن يصبح ماهاتما إذا لم يكن ماهراً في اختيار مواضيع محاضراته. في الحقيقة لست ماهاتما، ولم أكن ماهاتما يوماً، ولا أرغب بالتأكيد بأن أصبح ماهاتما.. فتلك الرغبة بحد ذاتها هي انعكاس لأنا واضحة وماكرة.

إنني إنسان، وهذا جيّد بما فيه الكفاية بالنسبة لي. ألا يكفي أن أكون إنساناً فحسب؟ ألا يستطيع الإنسان أن يكون سعيداً من دون الركوب على أكتاف الآخرين، ومن دون فرض نفسه على الآخرين، ومن دون الحصول على السلطة بشكل أو بآخر؟ ألا يمكن للإنسان ببساطة أن يكون سعيداً ببقائه إنساناً؟ في الحقيقة أجد نفسي في كل الحالات سعيداً وراضياً.

أتوق للعظمة في الإنسانية، وأرغب بأن أرى إنساناً عظيماً. أليس من العظمة أن تصبح إنساناً، وأن تحقق القدر الكافي من الإنسانية؟ إن كل إنسان يمكنه أن يصبح عظيماً بالمعنى الحقيقي للكلمة. فقد ولّت أيام الماهاتمات والمعلّمين، ولم تعد هناك حاجة لهم، فالبشرية العظيمة هي الأساس، والحاجة الراهنة هي

لإنسانية عظيمة. لقد كان هناك رجال عظماء كثر، ولكن ما الذي كسبناه منهم؟ إن الحاجة ليست إلى رجال عظماء بل إلى بشرية عظيمة.

أحتاج إلى إنسان يقول الحقيقة على الأقل، أحتاج إلى شخص واحد يستنتج أنني لست رجلاً عظيماً. لقد أراحني ذلك الرجل عندما خاب أمله فيّ. وقد كتب لي لكي يغويني بالماهاتمية، إذ يقول بأنني سأكون معلّماً عظيماً لو توقّفت عن مناقشة هذه المواضيع. ومثل هذه الأساليب كانت تنطلي لغاية الآن على الماهاتمات والمعلّمين، والنتيجة هي أن هؤلاء العظماء، ولكن الضعفاء، لم يناقشوا المواضيع التي ربما ثبت لهم بأنها مدمّرة لموقعهم كمعلّمين وكماهاتمات. ولكن بسبب اهتمامهم في إنقاذ عروشهم، لم يكترثوا لعدد الناس الذين يتأثرون بها بصورة مؤذية.

وأنا لا يعنيني أن أكون في مركز عالٍ، ولا أحلم بذلك، ولا أخطط للحصول عليه، ولكن جُلّ ما أخشاه: هو أن يأتي شخص ما ذات يوم ويجعلني ماهاتما.

ليس هناك نقص في المعلمين أو الماهاتمات هذه الأيام، والمهم بالنسبة لي كشخص، هو اتخاذ الموقف الصحيح، وهذا ما يحصل دائماً. لكن جوهر الموضوع ليس توفّر الماهاتمات، بل كيف يتطوّر الإنسان الحقيقي. فماذا نفعل لتحقيق ذلك الهدف؟ وكيف نُعدّ أنفسنا لتلك المهمة؟

إنني واثق ومؤمن بأن ما ناقشناه سيرشدكم إلى الطريق المناسب اتجاه تحطيم تلك الحواجز التي تقف في طريق تطور الإنسان الحقيقي. إن الطريق واضح، والتحول التدريجي لرغبتكم هو أمر ممكنك: إذ يمكن للجنس أن يتحول إلى سامادهي. أما الآن، فما أنتم إلا رغبتكم، ولستم أرواحكم، وبالإمكان أيضاً أن تصبحوا أرواحكم، إنما فقط عبر التحويل التدريجي لرغبتكم الجنسية، وعندئذ فقط يمكن أن تبدأ رحلتكم إلى الله.

هناك الكثير من الأسئلة المشابهة التي أرسلت لي، لذلك اسمحوا بأن أستعرض بضعة نقاط مهمّة.

قلت لكم سابقاً بأن عليكم أن تناضلوا باستمرار لكي تدركوا ومضة السمادهي في الجماع، وعلى المرء أن يحاول فهم هذه النقطة: أي ومضة السمادهي التي تومض كالبرق أثناء الجماع، والتي تضيء لمدة ثانية، وبعدها تختفي.

يجب أن ينصبّ جهدك على معرفتها .. لكي تطّلع عليها .. ولأجل أن تمسك بها . فإن نجحت في ذلك تماماً، ولو مرّة واحدة، فستعرف في تلك اللحظة أنك لست جسداً، بل بلا جسد . في تلك اللحظة من الزمن، أنت لست بجسد، إنك تتحوّل في تلك اللحظة إلى شيء آخر: إذ تترك الجسد في الخلف، وتصبحُ روحاً .. تُصبح ذاتك الحقيقية. فإذا حصلت على ومضة من تلك العظَمة ،ولو مرة واحدة، فيمكنك متابعتها من خلال التأمّل لكي تُنشئ علاقة دائمة وعميقة معها . وعندئذ تهتدي إلى الطريق الذي يقودك إلى الساماديهي. وعندما يصبح جزءاً من فهمك ومعرفتك، وجزءاً من حياتك، فلن يعود هناك مكان للرغبة.

صديق آخر يخشى مما قد يحدث لنسلنا ولذرّيتنا برمّتها إذا أسقطنا الجنس بهذه الطريقة: "إذا حقق الجميع العزوبة من خلال الساماديهي، فماذا عن جيل المستقبل؟"

يمكن القول بأن هذا النوع من الأطفال الآن لن يكون موجوداً بالتأكيد . فطريقة الإنجاب الحالية جيدة لإنجاب القطط والكلاب وأنواع الحيوانات الأخرى، لكنها لا تليق بالإنسان بالقدر الكافي. فما هذا الموقف الغريب من التناسل؟ وما هذا الطيش في إنجاب الأطفال؟ إن هذا الصنف من البشر، وهذا النوع من التناسل العرضي هو تناسل بلا هدف، وبلا فائدة. انظروا كم أصبح عدد هذه البشرية! لقد انفجر عدد السكان في بلدنا إلى درجة لا تُصدّق، وإذا لم يتم ضبطها على الفور، كما يقول العلماء، فلن يكون هناك مكان حتى لموطئ قدم في المئة سنة القادمة! وسيشعر المرء بعد مئة عام بأنه في حالة اجتماع دائم، فحيثما نظرت: سترى اجتماعاً منعقداً، ولا حاجة للدعوة إلى الاجتماع.

إن سؤال هذا الصديق هو في صميم الموضوع، وربما يسأل: كيف سيتم إنجاب الأطفال إذا أصبحت العزوبة شيئاً اعتيادياً .

هنا أريد أن أقدم له مفاجأة أخرى، وهي أنه يمكن أن يولد الأطفال أيضاً في ظل حالة العزوبة، إلاّ أن الغرض والمعنى النهائي من إنجاب الأطفال سيكون له بعْد مختلف. فالرغبة ليست الوسيلة الصحيحة للإنجاب.. أما العزوبة فهي البيئة المتميّزة بالقدر الكاف، ذلك أن ولادة الطفل الآن هي ولادة عرضية: فأنت تمارس الجنس بدافع أو بآخر، وتنجب الأطفال، والأطفال ضيوف دخلاء، وأنت لا تستطيع أن تحمل المحبة لهؤلاء الأطفال إلاّ بالقدر الذي تحمله للضيوف المتطفّلين.

فكيف تتعامل مع الضيوف المتطفّلين؟ تجهّز لهم الأسرّة، وتقدم لهم الطعام، وتحييهم بأدب وتدلّلهم.. ولكن كل ما تقوم به سيكون من منطلق آداب السلوك، إذ لا يوجد شعور بالمحبة من الداخل. أما تفكيرك الحقيقي فهو: "متى يغادر هؤلاء الأشخاص المملّون؟"

كذلك تُعاملُ الأطفال غير المرغوب بهم بالطريقة نفسها وذلك لسبب بسيط هو أنك في الحقيقة لم تكن تريدهم في المقام الأول: فقد كنت تجري وراء شيء آخر، والأطفال هم نتيجة عرضية. وأطفال اليوم ليسوا نتاجاً متعمّدا بل هم نتاجٌ عرضيّ. ليسوا الغلّة بحد ذاتها، بل أتوا مع الجنس مثلما تظهر القشور مع الحبوب.

ولهذا كان العالم بأكمله يحاول حماية الجنس من هذه المصادفات، فقد نشأ تحديد النسل من هذا الموقف، واخترعت الوسائل غير الطبيعية لكي نتمتّع بالجنس، وتحمينا في الوقت ذاته من إنجاب الأطفال.

منذ عصور والجهود تبذَل لإنقاذ البشرية من هذا "الشر". حتى إن كتب الطب الفيدي القديمة، تشير إلى أدوية لمنع الحمل. وعلماء اليوم الأنانيون، مهتمون أيضاً بالأمر نفسه الذي اهتم به علماء الطب الفيدي منذ ثلاثة آلاف سنة.

فلماذا يركّز الإنسان على هذه الأبحاث؟ لأن الأطفال يثيرون العواصف، ويباغتون الأهل في حالاتهم الخاصة، ويجلبون عبء المسؤولية، وهناك خطر حصول فتور لدى المرأة تجاه الجنس بعد الولادة. كما أن الرجال أيضاً لا يريدون الأطفال. ربما يرغب الرجل بالأطفال إذا لم يكن لديه أطفال، ولكن ليس لأنه يحبهم، بل لأنه يحب ثروته. فعندما يرغب الرجل بطفل، فلا تنخدعوا بمقولة أن روحه تتلهّف لطفل، أو لكائن بشري جديد وبريء. فقد جمع ثروته بعرق جبينه، فمن يدري بيد من ستقع هذه الثورة بعد موته! وهو بحاجة إلى وريث.. إلى مولود من لحمه ودمه لكي يحفظ ثروته، ويتمتّع بممتلكاته. في الحقيقة، لا أحد يريد طفلاً لأجل الطفل، فنحن نحاول حماية أنفسنا منهم، غير أنهم ببساطة يأتون من تلقاء أنفسهم. إننا لا نريد سوى التمتّع بالجنس، بعدها يهبط الطفل فجأة! وهذا النسل هو نتيجة عرضية للشهوة الجنسية.

إنهم مرضى وضعفاء، يركبهم الهمّ والقلق.

في الحقيقة يمكن للرهبان أيضاً إنجاب الأطفال، غير أن ذلك لن يكون نتاجاً عرضياً للجنس. وعندما يحصل ذلك، سيكون الجنس وسيلة لإنجاب الأطفال ولن يكون غاية في حد ذاته.

إنك تستقل طائرة لكي تذهب إلى نيودلهي. فالطائرة هي وسيلة للوصول إلى نيودلهي. وعندما تصل إليها لن تقول بأنك لا تريد الخروج من الطائرة.

وعندما تصل إلى حالة من الوعي الفائق من خلال الجنس، وعندما تحقق العزوبة، وتصل إلى حالة من التوحّد مع الله، فسيكون طفلك مولوداً حقيقياً.. سيكون خلقاً حقيقاً! بيد أنه لغاية الآن، يتركّز عقل الإنسان المبدع على بناء آليات دفاعية تساعده على تجنب إنجاب الأطفال، ويسمح رغم ذلك بالتمتع بالجنس على أكمل وجه، في حين ينبغي للجهود أن تنصبَّ في الاتجاه المعاكس. لكننا ما زلنا نريد البقاء في مقاعدنا حتى بعد وصولنا إلى المطار. فهل فهمتم قصدي؟ إذا أصبحت العزوبة منتشرة على نطاق واسع، فيمكن لقدرتنا الإبداعية أن تطبَّق في الاتجاه الروحي. ولكن في الوقت الحالي يتم الدفع إلى الجهة المعاكسة وهي: امقتْ فكرة الأطفال وتمتّع بالجنس لأجل الجنس فقط.

أريد أيضاً أن أسأل هذا الشخص: لماذا يحرص كثيراً على إنقاذ العالم من البراهماتشاريين، أي من المترهّبين العازبين؟. إنه يخاف كثيرا في الوقت الحالي من أنه إذا أصبح الناس مترهّبون أن يتوقف إنجاب الأطفال وينتهي العالم.

فلتطمئن يا صديقي، لأن احتمال أن يصبح الناس مترهبين، طبقا للحالة الراهنة، هو احتمال معدوم. وسيظلون هكذا طالما أن هذا الازدراء الواعي والغريب والثابت والصلب موجوداً. كلا يا صديقي، ليس هناك خطر على العالم من هذه الزاوية، لكن إمكانية انقراضه تتزايد يوماً بعد يوم بسبب هذا الولادات العرضية المستمرّة. فإذا استمريتم في إنجاب الأطفال بهذا الشكل فسينتهي العالم بكل تأكيد، ولن تحتاجوا إلى قنابل ذرّية أو هيدروجينية. فهذا التزايد في عدد السكان، وبهذا التناسل العرضي لحشود الديدان هذه، سيدمر العالم نفسه.

إن الإنسان الجديد المولود من العزوبة سيكون ذا منزلة مختلفة. وستكون صحّته ممتازة، وخالياً من الأمراض. وسيكون شكله ومظهره شبيهاً بالتمثال المهيب، وسينبعث منه عبير سماوي، وسيمتاز بالطيبة والمحبة والصدق والجمال

والتديّن. في الحقيقة، سيولد والدين في داخله. وسيكون نوعاً من التجسّد الإلهي.

لقد أنجبنا الكفرة والزنادقة، وابتلينا بالكفر منذ الولادة.. وسنموت في الكفر، ولا زلنا في وسط هذا الكفر، ومن الصباح حتى المساء، ومن يوم مولدنا إلى يوم مماتنا: نتشدق ونتشدق ونتشدق في الدين.

إن الإنسان الأسمى لن يكون ثرثاراً ولن يتفوّه بأي كلام فارغ حول الدين، لأن الدين سيكون طريقته في الحياة.

أما نحن فنتحدث عن أشياء ليست جزءاً من حياتنا، ولا نتحدّث عن الأشياء التي هي جزء منها. فلا نتحدّث عن الجنس لأن الجنس هو منهج حياتنا. بيد أننا نواصل التحدّث عن الله، لأن الطريقة التي نعيش بها لا تمتّ بصلة إلى الله بأي شكل. وفي الحقيقة، نظل راضين عن أنفسنا من خلال الحديث بالذات عن الأشياء التي لا نستطيع الحصول عليها، ولن نستطيع.

ألم تلاحظوا أن النساء يتكلّمن أكثر من الرجال؟ فالنساء دائماً منشغلات بالحديث عن هذا الشيء أو ذاك.. عن الجيران، ومع أي شخص يمكن أن يستمع لهن. وأنا لا اقصد الإساءة، وإنما يقال بأنه من الصعب جداً تخيّل امرأتين تجلسان معاً لفترة من الزمن من دون التحدّث عن شخص آخر.

وقد سمعت ذات مرّة عن مسابقة نُظّمت في الصين لاختيار أعظم كاذب في البلد، على أن يتلقى الكاذب الفائز جائزة كبيرة، فتجمّع أفضل الكذّابين في المكان المختار لهذه المسابقة.

فقال أحد الأشخاص عندما جاء دوره: "ذهبت إلى منتزه، وشاهدت امرأتين تجلسان على مقعد وقد التزمتا الصمت". فحدثت ضجة كبيرة، وهلل الجميع وصفقوا قائلين: "لا يمكن أن تكون هناك كذبة أكبر من هذه! وهي أعظم كذبة إلى الآن". فصوّتَ الجميع لصالح هذا الرجل.

فلماذا تتحدث النسوة بهذا القدر؟ إن الرجال لديهم أعمالهم، لكن النساء ليس لديهن الكثير ليقمن به. وحيث لا يوجد عمل كثير، ولا يوجد نشاط كبير، فهناك دائماً ثرثرة خاملة، وهذه السمة الأنثوية هي السمة القومية للهند.

في الحقيقة لا يوجد تقدّم في هذا البلد، إذ لا يوجد سوى حديث ونقاش فقط.

لن يكون الإنسان الجديد، أي الإنسان المولود من العزوبة، إنساناً ثرثاراً.. بل إنساناً سيعيش الحياة، وهو لن يتحدث عن الدين قط، بل سيعيش في الدين. سوف ينسى الناسُ الدين كموضوع للنقاش التافه، لأن الدين سيكون من طبيعتهم. وإنه لشيء رائع وملهم أن نتخيل ذلك الإنسان ونفكّر به.

لقد وُلد هؤلاء الأشخاص، غير أن وجودهم نادر: فمن حين لآخر كان يولد مثل هذا الإنسان الجميل الذي لا يمكن أن تزينه حتى أغلى الملابس، وهو يظهر عارياً من دون أية ملابس، وينتشر جماله المتألق في كل مكان. ويتحلّق الناس حول هذا الرجل لينظروا إليه ويتعجّبوا من هذه الألوهة الحية. إن أحد الذين كان لهم مثل هذا الوهج ومثل هذه الحيوية، هو ذلك الرجل الذي سمّاه الناس مهافير، أي المنتصر العظيم، بالرغم من أن اسمه كان فاردهامانا. فكانت عظَمَة البراهماتشاريا تتجلى فيه إلى درجة أن الناس كانوا يسجدون أمامه.. أمام رجل الله هذا. فأحيانا يولد بوذا، وأحيانا يولد المسيح، وأحيانا يولد لاوتسي. لأنه بالكاد نجد بضعة أسماء كهذه في مجمل تاريخ البشرية.

في اليوم الذي سيولد فيه أطفال من العزوبة، من اللقاء الإلهي.. وربما أنكم لا تحبون سماع عبارة "أطفال من خلال العزوبة"، إلاّ أنني أتحدث عن مفهوم جديد، وعن إمكانية أكثر نُبلاً.. في ذلك اليوم ستكون البشرية جميلة جداً، وقوية جداً، وستكون عطوفة جداً، ونشيطة وذكية جداً، ولن تكون معرفة الذات أو الوعي الكوني بمنأى عن أي شخص.

وعلى الرغم من أن هذا أمر صعب التخيّل، لكن دعوني أوضّح ذلك بمثال.

إذا قلتُ لشخص يعاني من الأرق بأنه سيخلد إلى النوم لحظة أن يلقي برأسه على وسادة، فعلى الأرجح أنه لن يصدّقني، وسيقول لي بأنه يتقلّب دائماً في السرير أو يجلس أو ينهض منه..أو.. يعدّ الأغنام[1]. سيتّهمني بالكذب ويتساءل: كيف يمكن له أن ينام على الفور بمجرّد أن يستلقي على السرير؟ وسوف يشكو من أنه بالرغم من كل التجارب التي قام بها: لم يتمكن من النوم بشكل عميق، وأحياناً لا ينام الليل بطوله.

[1] عدّ الأغنام: هو أن يشغل الشخص الأرقُ نفسه بعَدّ قطيعٍ متخيّلٍ من الأغنام بغية استجلاب النوم. (المترجم)

إن ثلاثين، أو أربعين بالمئة من سكان مدينة نيويورك يتناولون العقاقير المنوّمة. ويخشى الأطباء النفسيون من أنه في غضون مئة سنة لن يقدر أحد على النوم بصورة طبيعية، وسيتوجب على الجميع أن يتناولوا المهدّئات عندما يخلدون إلى النوم. فإذا كانت الحالة الراهنة للصحة العقلية في نيويورك على هذا النحو، فسوف يحدث في الهند الشيء ذاته خلال المئتي سنة القادمة. فزعماء الهند لا يتلكأون أبداً في تقليد الأجانب. وبالتالي لن نكون متخلفين كثيراً عن اللحاق بأهل نيويورك، وعندما ننتحل كل شيء منهم، فكيف لنا عندئذٍ أن نتجاهل هذا الأمر؟

لذلك سيكون من الممكن جداً في غضون خمسمئة سنة أن يتناول كل إنسان على هذه الأرض العقاقير المنومة قبل أن يذهب إلى السرير. أما الطفل الذي وُلدَ، فسيطلب على الفور مهدّئاً بدل الحليب، ذلك أنه لم يكن في سلام وهو في رحم أمه! بعدها سيكون من الصعب جداً إقناع الناس في ذلك الحين، أن البشر قبل خمسمئة سنة كانوا يخلدون إلى النوم من دون عقاقير منوّمة. وسيقولون بأن هذا غير ممكن، وسوف ستساءلون بعدها: كيف حصل هذا الأمر؟ وبالمثل، سيكون من الصعب جداً إقناع اللذين ولدوا من العزوبة بأن الناس من قبل كانوا منافقين، وبأنه فيما مضى كان هناك لصوص وقتلة، وبأن هناك أناس انتحروا، وأنهم سمموا وطعنوا بعضهم البعض وشنوا الحروب. كما لن يصدّقوا أيضاً أن البشر من قبل كانوا يولدون من جرّاء نشاط جنسي مُبتذَل، ولم يذهبوا إلى ما هو أعمق من مجرّد الاتصال الجسدي قيد أنملة.

خلاصة القول: هو أنه يمكن أن يتطور الجنس الروحي، ويمكن للبشرية أن تبدأ حياة جديدة.

خلال الأيام الماضية، تحدّثت عن إمكانية الوصول إلى مستوى جديد من الوجود الروحي. وقد استمعتم إلى أحاديثي بصبر ومحبّة كبيرة بالرغم من أن الإصغاء بهدوء لمثل هذه الأحاديث كان أمراً في غاية الصعوبة بالنسبة لكم، ولا بد أنكم شعرتم بالحرج أحيانا.

لقد جاءني صديق وعبّر عن خشيته من أن بعض الأشخاص يشعرون أنه لا ينبغي التحدّث بهذا الموضوع، وربما ينهضون ويعلو صراخهم لإيقاف هذه المحاضرات. وشعر بأن البعض قد يحتجّون بقوة وبصوت عال على طرح مثل هذا الموضوع على الملأ. فقلت له: إنه سيكون عالَماً أفضل إذا كان يوجد مثل

هؤلاء الناس الشجعان من حولنا. فأين ستجد شخصاً شجاعاً جداً إلى درجة يقف فيها أمام تجمّع عام، ويطلب من المتحدّث بأن يوقف محاضرته؟ فلو وجد مثل هؤلاء الشجعان في هذه البلاد، لتوقفت تلك الأحاديث السطحية والسخيفة التي تلقى من أعلى المنابر في هذه البلاد من قبل صف طويل من الرجال الحمقى منذ زمن طويل.

لكنهم لم يقفوا بعد، ولن يقفوا أبداً. كنت أنتظر منذ البداية شخصاً شجاعاً ينهض ويطلب مني التوقف عن الحديث، ولو فعل ذلك لكنت حينها ناقشت معه الموضوع بالتفصيل، وسيكون ذلك مصدر سعادة كبيرة لي.

ولذلك، بالنسبة لهذه الأحاديث، وحول هذا الموضوع.. على الرغم من حقيقة أن العديد من الأصدقاء الذين كانوا يخشون من أن يقف شخص ما ويحتج، أو أن يخلق أحدهم شوشرة هنا .. فقد استمعتم بهدوء.

فجميعكم أناس طيبون، وأنا ممتنّ لإصغائكم الهادئ والصبور.

ختاماً أقول من كل قلبي: أتمنى أن تصبح الرغبة داخل كل منّا سلّماً نصل من خلاله إلى معبد المحبة، وأن يصبح الجنس داخل كلٍ منا: العربة التي توصلنا إلى أعلى مراحل الوعي.

أخيراً أنحني للإله المجّد فينا جميعاً.

النهاية

إن وعي الإنسان أصبح أكثر جنسوية. أما أغانينا وقصائدنا ورسوماتنا، وفعلياً، كل الأشكال في معابدنا تتمحور حول الجنس. في حين أنه لا يوجد في العالم حيوان شهواني كالإنسان. فالإنسان شهواني في أي وضع.. مستيقظاً كان أم نائماً، في أساليبه كما في سلوكه. يطارده شبح الجنس في كل لحظة.

وبسبب هذه العدائية تجاه الجنس، وبسبب هذه المعارضة، وهذا القمع للجنس، أصبح الإنسان فاسداً من الداخل. فلا يمكنه أن يحرر نفسه من شيء متجذّر في حياته، وبسبب هذا الصراع الداخلي المستمر أصبح كيانه بالكامل كياناً عصابياً. فهو إذن إنسان مريض. وهذا النشاط المفسد والواضح جداً في الجنس البشري هو خطأ ما يسمّى بزعمائه وقدّيسيه، وهم من يقع اللوم عليهم. فإذا لم يحرر الإنسان نفسه من مثل هؤلاء المعلّمين، والواعظين، وزعماء الدين، ومن عظاتهم المزيفة.. فإن احتمال ظهور الحب هو احتمال معدوم.

دار الطليعة الجديدة
سورية - دمشق - ص ب ٣٤٤٩٤
تلفاكس ٢٣١١٣٧٨